

أبو الفداء
الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

الْبَيْدَانِيُّ وَالنَّهْشَابِيُّ

١٢٣٣

الجزء الثاني كشر

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

بيروت - لبنان

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح

قامت بها هيئة باشراف

حنان

مكتبة المعارف

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض، ثم سكن الفتنة الوزير نغر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح. وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين، والناس عن دفن موتاهم، وأنه أظلت البلاد سحابة في حزيران. فامطرتهم مطرا شديدا. وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبين والمظالم والحج، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى، وقرئ تقليده بحضرة الأعيان، وكان يوماً مشهودا. وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا، وسلم ستة آلاف، وأنهم شربوا بول الأبل من العطش. وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الإذلاء فسلخوا به على بلاد غربية فأنهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فحاض بنفسه الماء أياما وخاض الجيش حتى خلصوا بعد ما غرق كثير من جيشه، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد. ولم ينجح فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الأعراب.

وفيها توفي من الأعيان . . . الشيخ أبو حامد الاسفرايني

إمام الشافعية، أحمد بن محمد بن أحمد إمام الشافعية في زمانه، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة، فدرس الفقه على أبي الحسن ابن المرزبان، ثم على أبي القاسم الداركي، ولم يزل تترقى به الأحوال حتى صارت إليه رئاسة

الشافعية ، وعظم جاهه عند السلطان والعوام ، وكان فقيهاً إماماً ، جليلاً نبيلاً ، شرح المزنى في تعليقه حافلة نحواً من خمسين مجلداً ، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه ، وروى عن الاسماعيلي وغيره . قال الخطيب : ورأيت غير مرة وحضرت تدرسه بمسجد عبد الله بن المبارك ، في صدر قطيعة الربيع ، وحدثننا عنه الازجى والخلال ، وصممت من يذكر أنه كان يحضر تدرسه سبعمائة متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به . وقال أبو الحسن القدوري : ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد ، وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية : وذكر ابن خلكان أن القدوري قال : هو أفقه وأنظر من الشافعي . قال الشيخ أبو إسحاق : ليس هذا مسلماً إلى القدوري فان أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل * ونزلت بالبداية أبعد منزل

قال ابن خلكان : وله مصنفات : التعليقة الكبرى ، وله كتاب البستان ، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول :

جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط * وعذراً أتى سرّاً فأكد ما فرط
ومن ظن أن يحو جلي جفائه * خفي اعتذاره فهو في أعظم الغلط

توفي ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من شوال منها ، ودفن بداره بعدما صلى عليه بالصحراء وكان الجمع كثيراً والبكاء غزيراً ، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمائة . قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهرآ .

أبو أحمد الفرضي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران ، أبو مسلم الفرضي المقرئ . سمع المحاملي ويوسف ابن يعقوب ، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري ، وكان إماماً ثقة ، ورعاً وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن كثيراً ، ثم سمع للحديث ، وكان إذا قدم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، نهض إليه حافياً فتلقاه إلى باب المسجد ، توفي وقد جاوز الثمانين .

الشريف الرضي

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي لقبه بهاء الدولة بالرضي ، ذى الحسينين ، ولقب أخاه المرتضى ذى المجددين ، ولي نقابة الطالبين ببغداد بعد أبيه ، وكان شاعراً مطبقاً ، سخياً جواداً . وقال بعضهم : كان الشريف في كثرة أشعاره أشعر قرئش فن شعره المستجاد

قوله : اشتري العز بما شئت * ت فم العز بفال

بالقصار إن شئت * ت أو بالسمر الطوال

ليس بالمغبون عقلاً * من شرى عزاً بمال
إنما يذخر الما * ل حاجات الرجال
والفتى من جعل الأموا * ل أثمان المعالي

وله أيضاً يا طائر البان غريداً على قنن * ما هاج نوحك لى يا طائر البان
هل أنت مبلغ من هام الفؤاد به * إن الطليق يودى حاجة المعاني
جناية ما جناها غير متلفنا * يوم الوداع وواشوقى إلى الجاني
لولا تذكر أيام بدى سلم * وعند رامة أوطارى وأوطانى
لما قدحت بنار الوجد فى كبدى * ولا بلت بماء الدمع أجفانى

وقد نسب إلى الرضى قصيدة يمتنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى ، ويذكر فيها أباه وباليتيه
كان عنده ، حين يرى حاله ومنزلته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضى أربه
ويعلم الناس كيف حاله . قال فى هذه القصيدة :

أليس الذل فى بلاد الأعدا * ي وبصر الخليفة العلوي !
وأبوه أبى ومولاه مولا * ي إذا ضامنى البعيد القصي

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوى يعاتبه ،
فأرسل إلى ابنه الرضى فأنكر أن يكون قالها بالمره ، والروافض من شأنهم التزوير . فقال له أبوه : فاذا
لم تكن قلتها فقل أبيتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لانصب له ، فقال : إني أخاف غائلة ذلك ،
وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه ، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم فى ذلك ، وهم ينكرون
ذلك حتى بعث الشيخ أبى حامد الاسفراينى والقاضى أبى بكر إليهما ، فحلف لهما بالايان المؤكدة أنه
ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال . توفى فى خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته
الوزير والقضاة ، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنبارى ، وولى أخوه المرتضى ما كان
يليه ، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى ، وقد رثى الرضى أخاه عمرناة حسنة .

باديس بن منصور الحميرى

أبو المعز مناذر بن باديس^(١) نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها ، لقبه الحاكم بنصير
الدولة ، كان ذا همة وسطوة وحرمة وافرة ، كان إذا هزر محاسره ، توفى فجأة ليلة الأربعاء سلخ
ذى القعدة منها ، ويقال إن بعض الصالحين دعى عليه تلك الليلة ، وقام فى الأمر بعده ولده المعز
مناذر . ثم دخلت سنة سبع وأربعمائه

فى ربيع الأول منها ، احترق مشهد الحسين بن على [بكر بلاء] وأرقته ، وكان سبب ذلك

(١) فى النجوم الزاهرة : المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميرى

أن القومة اشعلوا شمعتين كبيرتين فالتا في الليل على الناظر ، وفندت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان . وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة ، واحترق جامع سامرا . وفيها ورد الخبر بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام ، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول (ص) ، بالمدينة ، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها . وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم ، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف . وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس ، ولها على بن حمود بن أبي العيس العلوي ، فدخل قرطبة في الحرم منها ، وقتل سليمان بن الحكم الأموي ، وقتل أباه أيضاً ، وكان شيخاً صالحاً ، وبايمه الناس وتلقب بالمتوكل على الله ، ثم قتل في الحمام في ثامن ذي القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة ، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود ، وتلقب بالمأمون ، فأقام في الملك ست سنين ، ثم قام ابن أخيه يحيى بن ادريس ، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين . وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الزاهر مزمى ، عوضاً عن نجر الملك ، وخلع عليه . ولم ينجح أحد في هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والطرقات .

وفيها توفي من الأعيان **أحمد بن يوسف بن دوست**

أبو عبد الله البزار ، أحد حفاظ الحديث ، وأحد الفقهاء على مذهب مالك ، كان يذكر بحضرة الدارقطني ويتكلم على علم الحديث ، فيقال إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب ، وقد تكلم في غيره بما لا يقدر فيه كبير شيء . قال الأزهرى : رأيت كتبه طرية ، وكان يذكر أن أصوله المتفق غرقت ، وقد أملى الحديث من حفظه ، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان . توفي في رمضان عن أربع وثمانين سنة .

الوزير فخر الملك

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير ، كان من أهل واسط ، وكان أبوه صيرفيا ، فنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة ، وقد اقتنى أموالاً جزيلة ، وبني داراً عظيمة ، تعرف بالفخرية ، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله ، فأنفق عليها أموالاً كثيرة ، وكان كريماً جواداً ، كثير الصدقة ، كسى في يوم واحد ألف فقير ، وكان كثير الصلاة أيضاً ، وهو أول من فرق الخلاوة ليلة النصف من شعبان ، وكان فيه ميل إلى التشيع ، وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز ، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار ، خارجاً عن الاملاك والمجاهر والمنتاع ، قتله سلطان الدولة ، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرًا وقيل إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانها ، فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا ، ورفعت إليه قصصتها ، وكل ذلك لا يلتفت إليها ، فقالت له ذات يوم : أيها الوزير

أرأيت القصص التي رفعتها إليك ، فلم تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوقيع عليها ، فلما مسك قال قد والله خرج توقيع المرأة ، فكان من أمره ما كان .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان ، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً ، يحب أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرة فقتل منهم مائتي ألف مقاتل ، وأسر منهم مائة ألف ، وغنم من أواني الذهب والفضة ، وأواني الصين شيئاً لا يعهد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية . وفي جمادى الأولى منها ولي أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة على بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه ، فقاتله ابن عمه فغلبه وقتله ، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد ، وطمع فيهم العامة ، فنزلوا إلى واسط فقاتلهم مع الترك . وفيها ولي نور الدولة أبو الأغردديس ابن أبي الحسن على بن مزيد بعد وفاة أبيه . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد ، وضرب الطبل في أوقات الصلوات ، ولم تجر بذلك عادة ، وعقد عقده على بنت قرأش على صداق خمسين ألف دينار . ولم ينجح أحد من أهل العراق لفساد البلاد ، وعيث الأعراب وضعف الدولة . قال ابن الجوزي في المنتظم : أخبرنا مسعد الله بن علي البزار أنبأ أبو بكر الطريثي أنبأ هبة الله بن الحسن الطبري . قال : وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة ، فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقاتلات المخالفة للإسلام ، وأخذت خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامتنل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها ، في قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجممية والمشبهة ، وصلبهم وحبسهم ونفاهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونفاهم عن ديارهم ، وصار ذلك سنة في الإسلام .

وفيها توفي من الأعيان الحاجب الكبير . **شباشي أبو نصر**

مولي شرف الدولة ، ولقبه بهاء الدولة بالسعيد ، وكان كثير الصدقة والوقوف على وجوه القربات فن ذلك أنه وقف دباها على المدارس وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والمدارس والناصرية وغير ذلك ، وللمات دفن بمقبرة الأمام أحمد وأوصى أن لا يبنى عليه مخالفوه ، ففقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحنن يبكين ، فلما رجمن رأته عجوز منهن - كانت هي المقدمة فيهن - في المنام كأن تركيا خرج إليهن من

قبره ومعه دبوس فحمل عليهن وزجرهن عن ذلك ، وإذا هو الحاجب السعيد ، فانتبهت مذعورة .
ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرىء بدار الخلافة في الموكب كتاب في منهب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم . وفي النصف من جمادى الأولى منها قاض البحر المالح وتداني إلى الأبله ، ودخل البصرة بعد يومين . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالا عظيما ، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند ، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤا ، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة ، وأخذوا منهم مائتي فيل ، واقتصوا آثار المنهزمين منهم ، وهدموا معامل كثيرة . ثم عاد إلى غزاة مؤيدا منصورا . ولم ينج أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وغيث الأعراب .

وفيها توفي من الأعيان رجاء بن عيسى بن محمد

أبو العباس الأنصاوي ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا ، قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ ، وكان ثقة قبيها مالكي عدلا عند الحكام ، مرضيا . ثم عاد إلى بلده وتوفي فيها ، وقد جاوز الثمانين .
عبد الله بن محمد بن أبي علان

أبو أحمد قاضي الأهواز ، كان ذاملا ، وله مصنفات منها كتاب في معجزات النبي (س) ، جمع فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة ، توفي فيها عن تسع وثمانين سنة .

علي بن نصر

ابن أبي الحسن ، مهذب الدولة ، صاحب بلاد البطيحة ، له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجؤون إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فأرأى من الطائع ، فأواه وأحسن إليه ، وكان في خدمته حتى ولى إمرة المؤمنين ، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء ، وقد ولى البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهورا ، وتوفي فيها عن ثنتين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ زراعه فمات .

عبد الغني بن سعيد

ابن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدي المصري ، الحافظ ، كان عالما بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة . قال أبو عبد الله الصوري الحافظ : ما رأيت عيناي مثله في معناه ، وقال الدارقطني : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغني ، كأنه شعلة نار ، وجمل يفخم أمره ويرفع ذكره . وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتابا فيه أوهام الحاكم ، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغني بالفضل ، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب

فيه من الرد عليه ، رحمهما الله ، ولد عبد الغنى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفى في صفر من هذه السنة رحمه الله .

محمد بن أمير المؤمنين

ويكنى بابي الفضل ، كان قد جملة ولي عهده من بعده ، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ، ولقب بالغالب بالله ، فلم يقدر ذلك . توفى فيها عن سبع وعشرين سنة .

محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد

أبو الفتح البزار الطرسوسى ، ويعرف بابن البصرى ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصورى بيت المقدس ، حين أقام بها ، وكان ثقة مأموناً .

ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة

فيها ورد كتاب بين الدولة محمود بن سبكتكين ، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد ، وألف بيت للأصنام . وفيها من الأصنام شيء كثير ، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار ، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وعندهم صنم معظم ، يقرخون له وبه يجباهتهم ثلاثمائة ألف عام ، وقد سلبتنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد ، وقد غنم المجاهدون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً ، وقد عمموا المدينة بالاحراق ، فلم يتركوا منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفاً ، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً ، واعترض من الأفيال ثلاثمائة وست وخمسين فيلاً ، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم ، ومن الذهب شيء كثير . وفى ربيع الآخر منها قرى عهد أبى الفوارس ولقب قوام الدولة ، وخلع عليه خلماً حملت إليه بولاية كرمان ، ولم ينجح في هذه السنة أحد من العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان الأصغر الذى كان يخفر الحجاج .

أحمد بن موسى بن مردويه

ابن فورك ، أبو بكر الحافظ الأصبهاني ، توفى في رمضان منها .

هبة الله بن سلامة

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر ، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة في جامع المنصور ، روى ابن الجوزى بسنده إليه قال : كان لنا شيخ نقرأ عليه فمات بعض أصحابه فراه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قال : فما كان حالك مع منكر ونكير ؟ قال : لما أجلساتى وسألانى ألهمنى الله أن قلت : بحق أبى بكر وعمر دعائى ، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم بمظلمين فدعه ، فتركاى وذهباً .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربع مائة

فيها عدم الحاكم بمصر ، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر ، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك ، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا ، وشيطانا مريدا . ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة ، وسيرته الملعونة ، أخزاه الله .

كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله ، جاثرا ، وقد كان يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاها فرعون ، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوا ، إعظاما لذكوره واحتراما لاسمه ، فمل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين ، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له ، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم ، ممن كان لا يصلي الجمعة ، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم ، وأمر في وقت لأهل الكتباين بالدخول في دين الاسلام كرها ، ثم أذن لهم في العود إلى دينهم ، وخرّب كنائسهم ثم عمرها ، وخرّب القمامة ثم أعادها ، وابتقى المدارس . وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ، ثم قتلهم وأخرّبها ، وألزم الناس بفتق الأسواق نهارا ، وفتحها ليلا ، فامتلأوا ذلك دهرًا طويلا ، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار . فوقف عليه فقال : ألم أنهكم ؟ فقال : يا سيدي لما كان الناس يتعمشون بالنهار كانوا يسهرون . بالليل ، ولما كانوا يتعمشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر ، فتبسم وبركه . وأعاد الناس إلى أمرهم الأول ، وكل هذا تغيير للرسوم ، واختبار لطاعة العامة له ، ليرقى في ذلك إلى ما هو أشرف وأعظم منه . وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حماره - وكان لا يركب إلا حماراً - فمن وجده قدغش في معيشة أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود ، أن يفعل به الفاحشة العظمى ، وهذا أمر منكر ملعون ، لم يسبق إليه ، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمرًا ، ومنعهم من طبخ الملوخية ، وأشياء من الرعونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج ، وكراهة الخمر ، وكانت العامة تفضيه كثيرا ، ويكتبون له الأوراق بالشقيقة البالغة له ولأسلافه ، في صورة قصص ، فاذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم ، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها . وفي يدها قصة من الشتم والامن والمخالفة شيء كثير ، فلما رآها ظنها امرأة ، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها ، فأغضبه ذلك جدا ، فأمر بقتل المرأة ، فلما تحققت من ورق ازداد غيظا إلى غيظه ، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن ينهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم ، فذهبوا فامتلأوا ما أمرهم به ، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا ، ثلاثة أيام ، والنار تعمل في الدور والحريم ، وهو في كل يوم قبحه الله ، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول : من أمر

هؤلاء العبيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع ورففوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل ، واستفتاوا به ، فرق لهم الترك والمشاركة وأنجازوا إليهم ، وقتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتفانم الحال جدا ، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين ، وكف العبيد عنهم ، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه ، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحتمهم على ذلك في الباطن ، وما أنجلي الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها ، ونهب قريب من نصفها ، وسببت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة ، واشترى الرجال منهم من سبى لهم من النساء والحريم . قال ابن الجوزي : ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عن له أن يدعى الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد يا أحد . يا محي يا محيت قبحهم الله جميعا .

صفة مقتله لعنه الله

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته ، وكان يتهمها بالفاحشة ، ويسمها أغلظ الكلام ، فتبرمت منه ، وعملت على قتله ، فراست أكبر الأمراء ، أميراً يقال له ابن دواس ، فتواقت هي وهو على قتله ودماره ، وتواطأ على ذلك ، فجهز من عنده عبيدين ، أسودين شهمين ، وقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم ، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه أحد إلا ركبتي وصبي ، فاقتلاه واقتلها معه ، واتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : على في هذه الليلة قطع عظيم ، فان نجوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة ، ومع هذا فانتلي حواصلي إليك ، فان أخوف ما أخاف عليك من أختي ، وأخوف ما أخاف على نفسي منها ، فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديق قريب من ثلثمائة ألف دينار ، وجواهر أخرى ، فقالت له أمه : يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحني ولا تترك في ليلتك هذه إلى موضع وكان يجربها . فقال : أفضل ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدار ثم عاد إلى القصر ، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، فاستيقظ وقال : إن لم أركب الليلة فاضت نفسي ، فثار فركب فرسا وصحبه صبي وركبتي ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذاك العبدان فأنزلاه عن مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا بطنه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعتهم على الجلية ، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن على ، ولقب بالظاهر لا عزازدين الله ، وكان بدمشق ، فاستدعت به وجملت تقول للناس : إن الحاكم قال لي : إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود ، فاطمأن الناس ، وجملت ترسل ركابين إلى الجبل فيصهدهونه ، ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الثلاثي ، ويقول الذين بعدهم لأمه : تركناه في موضع كذا وكذا . حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار ، وألني ألف درهم ، فحين وصل ألبسته

تاج جد أبيه المزم، وحلة عظيمة، وأجلسته على السرير، وبايعه الأشراف والرؤساء، وأطلق لهم الأموال، وخاضت على ابن دواس خلعة سنينة هائلة، وعملت عزاء أخوها الحاكم ثلاثة أيام، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيفهم وقوفاً في خدمته، ثم يقولوا له في بعض الأيام: أنت قاتل مولانا، ثم يهبرونه بسيفهم، ففعلوا ذلك، وقتلت كل من اطاع على سرها في قتل أخوها، فعظمت هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها. وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة، ومدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة.

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السنائي الحسبة والمواريث ببغداد، وخلع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير بين الدولة، محمود بن سبكتكين: أنت أكبر ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر، وهذه طريق الحج، قد تعطلت من مدة سنين وفتحك لها أوجب من غيرها. فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب، غير ما جهز من الصدقات، فسار الناس بصحبته، فلما كانوا ببيد اعترضهم الأعراب فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار، فامتنعوا وصمم كبيرهم - وهو جاز بن عدي - على أخذ الحجيج، وركب فرسه وجال جولة واستنهض شياطين العرب، فتقدم إليه غلام من سمرقند [يقال له ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسقط ميتاً، وانهرمت الأعراب، وسلك الناس الطريق فنجوا ورجعوا سالمين والله الحمد والمنة.

ومن توفى فيها من الأعيان - أبو سعد الماليني

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص، أبو سعد الماليني، ومالين قرية من قرى هراة، كان من الحفاظ الكثيرين الراحين في طلب الحديث إلى الآفاق، وكتب كثيراً، وكان ثقة صدوقاً صالحاً، مات بمصر في شوال منها.

الحسن بن الحسين

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي، أبو محمد الاسترأبادي، نزل بغداد وحدث بها عن إسماعيلي وغيره، كان شافعيًا كبيراً، فاضلاً صالحاً.

الحسن بن منصور بن غالب

الوزير الملقب ذا السمادتين، ولد بسيراف سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، ثم صار وزيراً ببغداد ثم قتل وصوره أبوه على ثمانين ألف دينار.

الحسين بن عمرو

أبو عبد الله النزالي ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم . قال الخطيب : كُتبت عنه وكان ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر .

محمد بن عمر

أبو بكر العبدي الشاعر ، كان أديبا ظريفا ، حسن الشعر ، فمن ذلك قوله :

إني نظرتُ إلى الزما * نِ وأهلِ نظراً كفاني
فعرفتهُ وعرفتهم * وعرفتُ عزى من هواني
فلذلك أطرحُ الصد * بقى فلا أراه ولا براني
وزهدتُ فيما في يدي * به ودونه نيلُ الأمانِي
فتعجبوا لمغالبِ * وهبِ الاقاصي للأداني
وانسل من بين الزحاً * م فاله في الغلبِ ثاني

قال ابن الجوزي : وكان متصوفاً ثم خرج عنهم وذهبهم بقصائد ذكرتها في تلبيس إبليس توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى منها .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن روق بن عبد الله بن يزيد بن خالد ، أبو الحسن البزار ، المعروف بابن رزقويه . قال الخطيب : هو أول شيخ كُتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، مديما لتلاوة القرآن ، شديدا على أهل البدع ، وأكب دهرآ على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتي عليكم الحديث ، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء يذهب فقبلوا كلهم غيره ، فانه لم يقبل شيئا ، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي .

أبو عبد الرحمن السلمي

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري ، روى عن الأصم وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهري والعشاري وغيرهما ، وروى عنه البيهقي وغيره . قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفية ، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم ، وسننا وناريجاً ، وجمع شيوخا وتراجم وأبواباً ، له بنيسابور دار معرفة ، وفيها صوفية وبها قبره ، ثم ذكر كلام الناس في تضعفه في الرواية ، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال : لم يكن بثقة ، ولم يكن يسمع

من الأصم شيئاً كثيراً ، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً ، وكان يضع للصوفية الأحاديث . قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها .

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري

كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة ، فمن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دينه ذهب ثلثا دينه ، لأنه خضع له بلسانه وأركانه ، فان اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله . وقال في قوله تعالى [اذ كروني اذ كركم] اذ كروني وأنتم أحياء اذ كركم وأنتم أموات تحت التراب ، وقد نخلني عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب . وقال : البلاء الأكبر أن تريدوا لتراتد ، وتندون وترد إلى الطرد والابعاد ، وأنشد عند قوله تعالى [فتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف]

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقال في قوله (س) « حفت الجنة بالكاره » : إذا كان هذا الخلق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق فما الظن بمن لم يزل ؟ وقال في قوله عليه السلام « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا محبا لمن لم يرحمنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالسلفية

صريح الدلال الشاعر

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد ، الفقيه البغدادي ، الشاعر الماجن ، المعروف بصريح الدلال ، قتيل العواني ذي الرقاعتين ، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

وألف حمل من متاع تستر * أنفع للمسكين من لقط النوى
من طبع الديك ولا يذبحه * طار من القدر إلى حيث انتهى
من دخات في عينه مسألة * فسئل من ساعته كيف العمى
والذقن شهر في الوجوه طالع * كذلك المقصة من خلف الغنى

إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد يسوي

قدم مصر في سنة ثلثي عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتهما الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة ، ومصيبة عامة ، وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء ، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات

متواليات ، وقال : إلى متى نعبد هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا علي يعني مما أفضله ، فاني أهدم اليوم هذا البيت ، وجعل يرتعد ، فاتفاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسما أحمر اللون أشقر الشعر ، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان ، وقوف ليمنوه ممن يريد منعه من هذا الفعل ، وأزاده بسوه ، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثرت الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطما ، وحرقوه بالنار ، وتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة ، ونهبت أهل مكة الركب المعمرى ، وتمدى النهب إلى غيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وفننة كبيرة جدا ، ثم سكن الحال بعد أن تتبعت أولئك النفر الذين تمالؤا على الالحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فاق مثل الأظفار ، وبدا ما تحتها أصمر يضرب إلى صفرة ، محببا مثل الخشخاش ، فأخذ بنوشية تلك الفواق فجنوها بالمسك والاك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر إن تأمله . وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك ، أبو علي الحسن ، وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير ، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

وفيها توفى من الأعيان ابن البواب الكاتب

صاحب الخط المنسوب ، علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب ، صاحب أبي الحسين بن ميمون الواعظ ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته ، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي علي بن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل . قال ابن الجوزي : توفى يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله :

فلقلوب التي أبهجتها حرق * وللعيون التي أقرزتها سهر
فما لعيش وقد ودعته أرج * وما لليل وقد فارقت سحر

قال ابن خلكان : ويقال له الستري ، لأن أباه كان ملازما لستر الباب ، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبدالله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار ، وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره ، وتوفى سنة عشر وأربعمائة ، وأما ابن البواب فإنه توفى في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

استشعرت الكتاب فقدك سالفاً * وقضت بصحة ذلك الأيام
فلذاك سودت الدوى كآبة * أسفأ عليك وشقت الاقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية ، فقيل لإسماعيل عليه السلام ، وقيل أول من

كتب بالعر بية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدرة ، وسأله عن اقتبسيتها ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له مرامر بن مروة ، وهو رجل من أهل الأنبار . فاصل الكتابة في العرب من الأنبار . وقال الهيثم بن عدى : وقد كان لخير كتابة يسمونها المسند ، وهي حروف متصلة غير منفصلة ، وكانوا ينعون العامة من تعلمها ، وجميع كتابات الناس تنهى إلى اثني عشر صنفاً وهي العربية والحميرية ، واليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، والعبيرية ، والرومية ، والقبطية ، والبربرية ، والهندية والاندلسية ، والصينية . وقد اندرس كثير منها قل من يعرف شيئاً منها .

وفيها توفي من الأعيان **علي بن عيسى**

ابن سليمان بن محمد بن أبان ، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر ، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ، وصحب أبا بكر الباقلائي ، وأكثر شعره في مدح الصحابة وذم الرافضة . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله :

نفسٌ ، يا نفسُ كم تهادين في تلني * وتمشين في الفعالي المعيبِ
راقبي الله واحذري موقفَ العر * ضِ وخافي يوم الحسابِ العصيبِ
لا تفرّكي السلامة في العيد * شِ فإنّ السليمَ رهنُ الخطوبِ
كلّ حى فلمنونٍ ولا يد * فَع كَأَس المنونِ كيدُ الأديبِ
واعلمى أن للنبيّة وقتاً * سوف يأتي مجلان غير هبوبِ
إن حبّ الصديق في موقفِ الـ * حشرِ أمانٍ للخائفِ المظلوبِ

محمد بن أحمد بن محمد بن منصور

أبو جعفر البيهقي ، ويعرف بالعتيقي ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وأقام بطرسوس مدة ، وسمع بها وبغيرها ، وحدث بشي يسير .

ابن النعمان

شيخ الامامية الروافض ، والمصنف لهم ، والحامي عن حوزتهم ، كانت له وجهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرتضى ، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في هذه السنة ، منها قوله :

مَنْ لِعَضْلٍ أَخْرَجَتْ مِنْهُ حَسَاماً * وَمَعَانٍ فَضَضْتُ عَنْهَا خَتَاماً ؟
مَنْ يَنْبِرُ الْعَقُولَ مِنْ بَعْدِ مَا * كُنْ هَمُوداً وَيَفْتَحُ الْأَهْطَامَ ؟

من يعير الصديق رأياً * إذا ماسل في الخطوب حساماً ؟
ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربع مائة

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة في الطائرة لتلقيه ، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء ، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف برمته ، والعمامة في الجانبين . وفيها ورد كتاب من بين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه فتح بلاداً ، وقتل خلقاً منهم ، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنوية ، منها فيول كثيرة ، ومنها طائر على هيئة القمرى ، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء ، ومنها حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيطلى بها الجراحات ذات الأفواه الواسعة فياجمها ، وغير ذلك . وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن الفضل بن سهلان

أبو محمد الزاهر رمزي ، وزير سلطان الدولة ، وهو الذى بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قتل في شعبان منها الحسن بن محمد بن عبد الله

أبو عبد الله الكشغلى الطبرى ، الفقيه الشافعى ، تفقه على أبي القاسم الداركي ، وكان فهماً فاضلاً صالحاً زاهداً ، وهو الذى درس بعد الشيخ أبي حامد الاسفرائينى فى مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك فى قطيعة الربيع ، وكان الطلبة عنده مكرمين ، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التى ترد إليه من أبيه ، فأخذه بيده وذهب إلى بعض التجار فاستقرض له منه خمسين ديناراً . فقال التاجر : حتى تأكل شيئاً ، فد السماط فأكلوا وقال : يا جارية هاتى المال ، فأحضرت شيئاً من المال فوزن منها خمسة ديناراً ودفنها إلى الشيخ ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير ، فقال له الكشغلى : مالك ؟ فقال : يا سيدى قد سكن قلبى حب هذه الجارية ، فرجع به إلى التاجر ، فقال له : قد وقعتنا فى فتنة أخرى ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فتسلها الفقيه ، وقال ربما أن يكون قد وقع فى قلبها منه مثل الذى قد وقع فى قلبه منها ، فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار ، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ . توفي فى ربيع الآخر منها ودفن بباب حرب .

علي بن عبد الله بن جهضم

أبو الحسن الجهمضى الصوفى المكي ، صاحب بهجة الأسرار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفي قال ابن الجوزى : وقد ذكر أنه كان كذاباً ، ويقال إنه الذى وضع حديث صلاة الرغائب .

القاسم بن جعفر بن عبد الواحد

أبو عمر الهاشمي البصري ، قاضيا ، سمع الكثير ، وكان ثقة أميناً ، وهو راوي سنن أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي ، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار

أبو الفرج القاضي الشافعي ، يعرف بابن سميقة ، روى عن النجاد وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد

أبو جعفر النسفي ، عالم الحنفية في زمانه ، وله طريقة في الخلاف ، وكان فقيراً متزهداً ، بات ليلة فلما عنده من الفقر والحاجة ، ففرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه ، فانفتح له فقام يرقص ويقول : أين الملوك ؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له ، فتمعجت من شأنه رحمه الله ، وكانت وفاته في شعبان منها .

ملاذ بن محمد

ابن جعفر بن سعدان ، أبو الفتح الحفار ، سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن الصواف ، وكان ثقة توفي في صفر منها عن اثنتين وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة

فيها أزم الوزير جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب ، والشهود ، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة ، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينههم عن الحضور ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة ، واصطالحا وتصافيا ، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر . ولم ينجح فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد ، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم في هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود ، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فخرت بالنار .

ومن توفي فيها من الأعيان ... أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلة ، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وسمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهضمي ودعبلج وغيرهم ، وكان ثقة . سكن الجانب الشرقي من بغداد ، وكان يعمل في أول كل سنة مجلساً في الحرم ، وكان عاقلاً فاضلاً ، كثير المعروف ، داره مألوف لأهل العلم ، وتفقه بأبي بكر الرازي ، وكان يصوم الدهر ، يقرأ في كل يوم سبعاً ، ويعيده بعينه في التهجد ، توفي في ذي القعدة منها

أحمد بن محمد بن أحمد

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي ، أبو الحسن المحاملي ، نسبة إلى الحامل التي يحمل عليها الناس في السفر ، تفقه على أبي حامد الاسفراييني ، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للفقهاء مني ، وله المصنفات المشهورة ، منها اللباب ، والأوسط والمقنع وله في الخلاف ، وعاقى على أبي حامد تلميذة كبيرة . قال ابن خلكان : ولد سنة ثمان وستين وثلثمائة ، وتوفي في يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر منها ، وهو شاب .

عبيد الله بن عبد الله

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السنة ، وحين بلغه موت ابن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكراً . وجلس لآهنته وقال : ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ، ومكث دهرًا طويلًا يصلي الفجر بوضوء العشاء . قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلثمائة ، وأذكر من الخلفاء المقنن والقاهر والرضي والمتقي لله والمستكفي والمطيع والطائع والقادر والغالب بالله ، الذي خطب له بولاية العهد ، توفي في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين .

عمر بن عبد الله بن عمر

أبو حفص الدلال ، قال سمعت الشبلي ينفذ قوله :

وقد كان شيء سمى السرور * قديمًا سمعنا به ما فعل
خليلى ، إن دأبهم النفوس * من قليلًا على ما نراه قتل
يؤمل دنيا لتبقى له * فأتك المؤمل قبل الأمل

محمد بن الحسن أبو الحسن

الاسمى العلوي ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج ، حج بالناس سنين متعددة ، وله فصاحة وشعر ، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين .

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها قوى أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور جبهة ، واستهانوا بأمر السلطان ، وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد والعراق وغير ذلك ، فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزانة ، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر ، وخطب له على المنابر ، وهو إذ ذلك على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة ، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كالجبار ولي عهد أبيه سلطان الدولة ، الذي استخلفه بهاء الدولة علمهم ، فتوقف في الجواب ثم

واقفهم على ما أرادوا ، وأقيمت الخطبة للملك أبي كالجبار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها ، ثم تفاقم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الدورليلا ونهارا ، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون ويستغيث أحدهم فلا يغاث ، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تفن الأتراك شيئا ، وعملت السرايح على أفواه السكك فلم يفد ذلك شيئا ، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها ، وغلت الأسمار جدا . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان **سابور بن ازغشير**

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ، وكان كاتباً شديداً عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الخاطر ، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة ، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة ، وجعل فيها كتباً كثيرة جداً ، ووقف عليها غلة كبيرة ، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة ، وكانت محلتها بين السورين ، وقد كان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سرى ما خوفاً عليهم من الأشر والبطر ، توفى فيها وقد قارب التسعين .

عنان النيسابوري

الجداوى الواعظ . قال ابن الجوزى : صنف كتباً في الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيه أحاديث كثيرة . موضوعة ، وكلمات مردولة ، إلا أنه كان خيراً صالحاً ، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك ، وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلته حتى يحتسى بها من الظلمة ، وقد وقع في بلدة نيسابور موت ، وكان يفصل الموتى محتسباً ، فنسل نحواً من عشرة آلاف ميتاً ، رحمه الله .

محمد بن الحسن بن صالحان

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة ، كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة ، محافظاً على أوقاتها ، وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء ، توفى فيها عن ست وسبعين سنة .

الملك شرف الدولة

أبو علي بن بهاء الدولة ، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، أصابه مرض حار فتوفى لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً .

التهامي الشاعر

علي بن محمد التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً أولها :

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارى * ما هدمَ الدنيا بدارِ قرارِ

ومنها : - إني لأرحمُ حاسدىَ حُرِّماً * ضمتُ صدورهمُ من الاوغارِ

نظروا صنيعَ اللهِ بي فعيونهم * في جنةِ وقلوبهم في نارِ

ومنها في ذم الدنيا :

جبلت على كدير وأنت ترومها * صفوا من الاقدار والا كدار
ومكاف الأيام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فأنما * تبني الرجاء على شفيرهار

ومنها قوله في ولده بعد موته :

جاورت أعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري

وقد ذكر ابن خلكان أنه رآه بعضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له بعض أصحابه : بم نلت هذا ؟

قال : بهذا البيت * شتان بين جواره وجواري *

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة

في العشرين من محرمها وقعت فتنة بين الاسفهلارية وبين العيارين ، وركبت لهم الأتراك بالدبابات ، كما يفعل في الحرب ، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتسب فيها العيارون ، وأحرق من الكرخ جانب كبير ، ونهب أهله ، وتعمدى بالنهب إلى غيرهم ، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة في اليوم الثاني ، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار ، مصادرة ، لاثارتهم الفتن والشروع . وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي ، الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعد ما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال . وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له دوى كدوى الرعد ، ووقع في سلخ شوال برد لم يمهده مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة ، وجمد الماء طول هذه المدة ، وقامى الناس شدة عظيمة ، وتأخر المطر وزيادة دجلة ، وقلت الزراعة ، وامتنع كثير من الناس عن التصرف . ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة لفساد البلاد وضمف الدولة .

وفيها توفي من الأعيان قاضي القضاة ابن أبي الشوارب .

أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو الحسن القرشي الأموي ، قاضي قضاة بغداد بعد ابن الاكفائي بثنتي عشرة سنة ، وكان عفيفاً نزهاً ، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد وعبد الباقي بن قانع ، إلا أنه لم يحدث . قاله ابن الجوزي : وحكى الخطيب عن شيخه أبي العلاء الواسطي : أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد ، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون ، منهم ولوا قضاء قضاة بغداد . قال أبو العلاء : ما رأينا مثل أبي الحسن هذا ، جلالة ونزاهة وصيانة وشرفاً . وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقا

وصاحباً ، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار ، فحملها إليه الماوردي فأبى القاضي أن يقبلها ، وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل ، وقال له : سألتك بالله لا تذكر هذا لأحد مادمت حياً ، ففعل الماوردي ، فلم يخبر عنه إلا بعد موته ، وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها ، وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله . توفي في شوال منها .

جعفر بن أبات

أبو مسلم الخثلي سمع ابن بطة ودرس فقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وكان ثقة ديناً، توفي في رمضان منها
عمر بن أحمد بن عبدويه
أبو حازم الهذلي النيسابوري ، سمع ابن مجيد والاسماعيلي ، وخلقاً ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس ينتفعون بافادته وانتخابه ، توفي يوم عيد الفطر منها .

علي بن أحمد بن عمر بن حفص

أبو الحسن المقرئ المعروف بالحامي ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم ، وكان صدوقاً فاضلاً ، حسن الاعتقاد ، وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها، توفي في شعبان منها عن تسع وثمانين سنة .

صاعد بن الحسن

ابن عيسى الربعي البغدادي ، صاحب كتاب الفصوص في اللغة على طريقة القالي في الامالي ، صنفه للمصور بن أبي عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثم قيل له إنه كذاب متهم ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

قد غاصَ في الماءِ كتابَ الفصوصِ * وهكذا كلُّ ثقيلٍ يغوص
فلما بلغ صاعدا هذا البيت أنشد :

عادُ إلى عنصرِهِ إنما * يخرجُ من قعرِ البحورِ الفصوصُ .

قلت : كأنه سمي هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهري ، ولكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهما بالكذب ، فلماذا رفض الناس كتابه ، ولم يشتهر ، وكان ظريفاً ما جنا سريع الجواب ، سأله رجل أعمى على سبيل التهمك فقال له ما الحُرُّ ثَقُلُ ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه افعل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال : هو الذي يأتي نساء العميان ، ولا يتعداهن إلى غيرهن ، فاستحى ذلك الأعمى وضحك الحاضرون . توفي في هذه السنة سماحه الله .

الغفال المروزي

أحد أئمة الشافعية الكبار ، علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً ، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني ، والقاضي حسنين ، وأبو علي السبخي ، قال ابن خلدكان :

وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر . لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فان القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي ، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة رحمه الله تعالى ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار ، وقتل خلقا كثيرا من الدواب . قال ابن الجوزي : وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر ، وفي واسط بلغت البردة أرطالا ، وفي بغداد بلغت قدر البيض . وفي ربيع الآخر سالت الاسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليبجار ، تهاونه بأمرهم ، وفساده وفساد الأمور في أيامه ، ويولي عليهم جلال الدولة ، الذي كانوا قد عزلوه عنهم ، فما طلبهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليبجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد ، قبل أن يفوت الأمر . وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة ، وأقاموا له الخطبة ببغداد ، وتفاقم الحال ، وفسد النظام . وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنت ، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق ، كما يفدون الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم ، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة ، التي لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الاوقاف عشرة آلاف قرية ، ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالا ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، وثلثمائة رجل يحملون رؤس حجيجيه ، وثلثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه ، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألف يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيد من الهنود يتعنى لو بلغ هذا الصنم ، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات ، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده ، وكثرة الهنود في طريقه ، والمفاوز المهلكة ، والأرض الخطرة ، في نجشتم ذلك في جيشه ، وأن يقطع تلك الأهوال إليه ، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ، ونزلوا بساحة عباده ، فاذا هو بمكان بقدر المدينة المظلمة ، قل : فما كان بأسرع من أن ملكيناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا نبعته النار . وقد ذكر غير واحد أن الهنود بدلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشاره على السلطان محمود بأخذ الأموال وإيقاع هذا الصنم لهم ، فقال : حتى أستخير الله عز وجل ، فلما أصبح قال : إني فكرت في الأمر الذي ذكرنا رأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم فكسره رحمه الله ، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللاكي والذهب والجواهر

النفيسة ما يذيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة ، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقل دائق منه خير من الدنيا وما فيها ، مع ما حصل له من الشناء الجميل الذيوى ، فرحمه الله وأكرم مثواه . وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في طيارة ، ومعه الأكاير والأمراء ، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعات ، ثم سار إلى دار الملك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة ، وصمصامها وشرفها وبهاؤها ، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك فقييل له يحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك ، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس . قال ابن الجوزى : وفيها وقع برد شديد حتى جرد الماء والنبيد وأبوال الدواب والمياه الكبار ، وحافات دجلة . ولم يبحج أحد من أهل العراق .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن محمد بن عبدالله

ابن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو عبدالله الشاهد ، خطب له في جامع المنصور في سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يخطب له إلا بخطبة واحدة جمعات كثيرة متعددة ، فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء وخشعوا لصوته .

الحسين بن علي بن الحسين

أبو القاسم المغربي الوزير ، ولد بمصر في ذى الحجة سنة تسعين وثلثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمدا ، وقصد مكة ثم الشام ، ووزر في عدة أماكن ، وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن * على حالٍ إلا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان ، فقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان في عنفوان

شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنت في سفر الجهل والبطالة * حيناً فخان مني القدم

تبت من كل مأثم فعمى * يحيى بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين تعدت * ألا إن الآله القديم كريم

توفى بميا فارقين في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد على .

محمد بن الحسن بن إبراهيم

أبو بكر الوراق ، المعروف بابن الخفاف ، روى عن القطيعي وغيره ، وقد اتهموه بوضع الحديث

والاسانيد ، قاله الخطيب وغيره .

أبو القاسم الدلكاني

هبة الله بن الحسن بن منصور: الرازي، وهو طبري الأصل، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الاسفراييني، كان يفهم ويحفظ، وعنى بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وقع لنا سماعه على الحجار عاليا عنه، توفي بالدينور في رمضان منها، وراه بعضهم في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال بم؟ قال بشئ قليل من السنة أحييته:

أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر

توفي ليلة الأحد في جمادى الآخرة، وصلى عليه غير مرة، ومشي الناس في جنازته، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا، وقطع الطبل أياماً

ابن طباطبا الشريف

كان شاعراً، وله شعر حسن.

أبو إسحاق

وهو الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران. الشيخ أبو إسحاق الامام العلامة، ركن الدين الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، صاحب التصانيف في الأصولين، جامع الحلي في مجلدات، والتعليقة النافعة في أصول الفقه، وغير ذلك، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الاسماعيلي ودعلج وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي والشيخ أبو الطيب الطبري، والحاكم النيسابوري، وأثنى عليه، توفي يوم عاشوراء منها بنيسابور، ثم نقل إلى بلده ودفن بمشهده.

القنوري

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسن القنوري الحنفي، صاحب المصنف المختصر، الذي يحفظ، كان إماماً بارعاً عالماً، وثبتاً مناظراً، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الاسفراييني من الحنفية، وكان القنوري يطريه ويقول: هو أعلم من الشافعي، وأنظر منه، توفي يوم الأحد الخامس من رجب منها، عن ست وخمسين سنة، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وابعمائه

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره، وجرت له أمور طويلة، آل الحال فيها إلى اتفاقهم على إخراجه من البلد، فمى له برذون رث، ونفج وفي يده طير نهاراً، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب على ذلك البرذون الرث رثاله ورفقاه وهيتته وقبلوا الأرض بين يديه، وانصلحت قضيته بعد فسادها. وفيها قتل الرطب جدا بسبب هلاك النخل في

السنة الماضية بالبرد ، فبيع الرطب كل ثلاثة أرتال بدينار جلالى ، ووقع برد شديد أيضا فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا . ولم ينج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا فى البحر من مدينة مكران فأتوها إلى جدة فنجوا .

ومن توفى فيها من الأعيان **هزة بن إبراهيم بن عبد الله**

أبو الخطاب المنجم ، حظى عند بهاء الدولة وعلماء النجوم ، وكان له بذلك وجهة عنده ، حتى أن الوزراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليه ، ثم صار أمره طريدا بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريباً ، فقيرا مفلوجاً ، قد ذهب ماله وجاهه وعقله .

محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد

أبو الحسن التاجر ، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين ، وتفرد بملو الاسناد ، وكان ذا مال جزيل يخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ، ثم عاد إلى بغداد فاتفق مصادرة أهل محله فسط عليه ما أققره ، ومات حين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئا فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه .

مبارك الانطاقي

كان ذا مال جزيل نحو ثلثمائة ألف دينار ، مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحدة ببغداد ، وتوفى هو بمصر .

أبو الفوارس بن بهاء الدولة

كان ظالما ، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مائة مفرعة ، بعد أن يحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه ، ولا يجتر بذلك أحدا . فيقال إن حاشيته سمومه ، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليبجار .

أبو محمد بن الساد

وزير كاليبجار ، ولقبه معز الدولة ، فلك الدولة ، رشيد الأمة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاعتقله ومات فيها .

أبو عبد الله المتكلم

توفى فيها ، هكذا رأيت ابن الجوزى ترجمه مختصرا .

ابن غلبون الشاعر

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامي ثم الصورى ، الشاعر المطبق ، له ديوان مليح ، كان قد نظم قصيدة بليغة فى بعض الرؤساء ، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين ، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناقب كلها * فلم اقتصر على اثنتين

فأجازه جائزة سنوية ، فقيل له : إنه لم يقلها فيك ، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة ، وله أيضا فى بخيل نزل عنده :

وَأَخِ مَسَهُ نَزُولِي بِقَرْحٍ * مِثْلَ مَا مَسَنِي مِنْهُ جَرْحُ
 بَثِّ ضَيْقًا لَهُ كَمَا حَكَمَ اللَّهُ * زَوْفِي حَكَمَهُ عَلَى الْجَرْفِ فَجَحِ
 فَابْتِدَائِي يَقُولُ وَهُوَ مِنْ آلِ * سَكَّرَ بِالْمِمْ طَافِحًا لَيْسَ يَصْحُو
 لَمْ تَقْرَبْتِ؟ قَابَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ * وَالْقَوْلُ مِنْهُ نَصْحٌ وَنَجْحٌ
 «سَافِرُوا تَقْنَمُوا» قَالَ وَقَدْ * قَالَ تَمَامُ الْحَدِيثِ «صُومُوا تَصْحُوا»
 ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةَ عَشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار. قال ابن الجوزي: حذرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلا، وغاصت في الأرض نحواً من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود ابن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً، وصلبا شنيعاً، وأنه اتهم أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثاً وثلاثين ولماً بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفي رجب منها انقض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت. وفي شعبان منها كثرت العملات وضعت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفي يوم الاثنين منها ثمان عشر رجب غار ماء دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء عن الطحن، وتعذر ذلك. وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسير من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبد العزيز بن يحيى الكتاني من المناظرة، ثم ختم القول بالمواعظ، والقول بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جمعوا أيضاً كلهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر المريسي والكتاني أيضاً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم، وواقفة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة والله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة بمسجد برائنا، وضربوا الخطيب السنن بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلصوا كتفه، فانتهر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤا يمتدرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم، ولم يتمكن أحد من أهل الدراق وخراسان في هذه السنة من الحج.

الحسن بن أبي القين

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو علي الزاهد، أحد العباد والزهاد وأصحاب الأحوال، دخل عليه بعض الوزراء فقبل يده،

فعمت الوزير بذلك فقال: كيف لا أقبل بما امتدت إلا إلى الله عز وجل .

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح

أبو الحسن الربي النهوي ، أخذ العربية أولاً عن أبي سعيد السيرافي ، ثم عن أبي علي الفارسي ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول : قولوا له لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أتقى منه ، كان يوماً يمشي على شاطئ دجلة إذ نظر إلى الشريفة الرضى والمرضى فى سفينة ، ومعهما عثمان بن جنى ، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان معكما ، وعلى بعيد عنكما ، يمشي على شاطئ الفرات . [فضحكوا وقالوا : باسم الله] توفى فى المحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدبر ، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس .

أسد الدولة

أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي ، أول ملوك بني مرداس بجلب ، انتزعها من يدي نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدي ، فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، ثم جاءه جيش كثيف من مصر فاقتلوا فقتل أسد الدولة هذا فى سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

فيها توفى الملك الكبير المجاهد المغازي ، ففتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله ، لما كان فى ربيع الأول من هذه السنة توفى الملك العادل الكبير الثاغر المرابط ، المؤيد المنصور ، بين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار ، وفتح أكثر بلاد الهند قهرا ، وكاسر أصنامهم وندوهم وأوثانهم وهنودهم ، وسلطانهم الأعظم قهرا ، وقد مرض رحمه الله نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش ، ولا توسد وساداً ، بل كان يتكئ جالساً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة عزمه ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله . وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتم أمره حتى عاقصه أخوه مسعود بن محمود المذكور ، فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار ، من الرساتيق الكبار والصغار ، فاستقرت له الممالك شرقاً وغرباً فى تلك النواحي ، فى أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ملك همام ، وبالتحية والاكرام ، وبالخضوع التام ، وسيأتى ذكر أبيه فى الوفيات وفيها استحوذت السرية التى كان بنها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهند وأكبرها مدينة ، وهى المدينة المسماة نرسي ، دخلوها فى نحو من مائة ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، قهروا سوق المطر والجواهر بها نهاراً كاملاً ، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللاالى واليواقيت ، ومع هذا لم يدرأ أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لاتساعها ، وذلك أنها كانت فى غاية الكبر : طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والتحف

والآثاف مالا يحد ولا يوصف ، حتى قيل إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط ، لا قبل هذه السنة ولا بعدها ، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً ، بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالا ورزقا ، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام . وقد كانت محل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات مالا يصحى كثرة . وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء ، وحادتهم الصلحاء ، في يوم عاشوراء ، من تعلق المسوح ، وتعلق الاسواق ، والنوح والبكاء في الأزقة ، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتلوا قتالا شديدا ، قتل من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة . وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله ، بحضور من القضاة والوزراء والأمراء ، وخطب له بذلك ، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها . وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب ، وعليها شبل الدولة نصربن صالح بن مرداس ، فنزلوا على مسيرة يوم منها ، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها ، وأن يستردها إلى دين النصرانية ، وقد قال رسول الله (ص) : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » وقيصر هو من ملك الشام مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا . فلما نزل من حلب كاذرنا أرسل الله عليهم عطشا شديدا ، وخالف بين كلمتهم ، وذلك أنه كان معه الدهستق ، فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ، فهم الملك ذلك فكر من فوره راجماً ، فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلا ونهاراً ، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربع مائة فحل محجل محملة أموالا وثياباً للملك ، وهلاك أكثرهم جوعاً وعطشا ، ونهبوا من كل جانب والله الحمد والمنة . وفيها ملك جلال الدولة واسطا واستناب عليها ولده ، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح ففتحها ، وسار في الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبي كاليجار ، فهزمهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان منها . وفيها جاء سيل عظيم بغرزة فأهلك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار . وفي رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم ، وأدرار زاقا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاد ، على عادة أبيه من قبله ، وفتح بلادا كثيرة ، واتسعت ممالكه جدا ، وعظم شأنه ، وقويت أركانه ، وكثرت جنوده وأعوانه . وفيها دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلا ، فتحصن الناس منهم فأخذوا الخيول كلها حتى خيل السلطان . وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى . وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة ، وبين الهاشميين ، فرفضوا المصاحف ورثتهم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ثم أصلح بين الفريقين . وفيها كثرت العملات ، وأخذت الدور جهرة ، وكثر العيارون ولصوص

الأكراد . وفيها تعطل الحج أيضاً سوى شردمة من أهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الأعراب ، فجازوا بالحج .

ذكر من توفي فيها من الأعيان أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن الأكرات ، صاحب كرامات ومعاملات ، كان من أهل الجزيرة فسكن دمشق ، وكان يهبط الناس بالرفادة القيلية ، حيث كان يجلس القصاص . قاله ابن عساكر . قال : وصنف كتباً في الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة ، ثم قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله أكرات الواعظ ينشد أبياتاً :

أنا ما أصنعُ بالذنا * تِ شغلي بالذنوبِ
إنما العبدُ لمنْ فا * زُ بوصل من حبيبِ
أصبحَ الناسُ على رو * ح وربحانٍ وطيبِ
ثم أصبحتُ على نوح * وحزنٍ ونحيبِ
فرحوا حين أهلوا * شهرم بعد المغيبِ
وهلالي متوارٍ * من ورا حُجبِ الغيوبِ
فلهدنا قلتُ للذنا * تِ غيبى ثم غيبى
وجعلتُ الهمَّ والحز * ن من الدنيا نصيبى
يا حياتي ومماتي * وشقائى وطيبى
جُدْ لنفسٍ تنلظى * منك بالرحب الرحيبِ

الحسين بن محمد الخليل

الشاعر ، له ديوان شعر حسن ، عمر طويل ، وتوفى في هذه السنة .

الملك الكبير العادل

محمود بن سبكتكين ، أبو القاسم الملقب بين الدولة ، وأمين الملة ، وصاحب بلاد غزنة ، وما والاها ، وجيشه يقال لهم السامانية ، لأن أباه كان قد نملك عليهم ، وتوفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فتملك عليهم بعده ولده محمود وهذا ، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة ، وقام في نصر الإسلام قياماً تاماً ، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه ، واتسعت مملكته ، وامنت رعاياه ، وطالت أيامه لمدله وجهاده ، وما أعطاه الله إياه ، وكان يخطب في سائر ممالكه للخليفة القادر بالله ، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفتد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهنم ، فيحرق بهم ويحرق كتبهم وهداياهم ، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة ، لم يتفق لغيره من

المووك ، لا قبله ولا بعده ، وغنم مغنم منهم كثيرة لا تنحصر ولا تنضب ، من الذهب واللاآى ، والسبي ، وكسر من أصنامهم شيئاً كثيراً ، وأخذ من حليتها . وقد تقدم ذلك مفصلاً منفرداً فى السنين المتقدمة من أيامه ، ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له سومنان ، بلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف دينار ، وكسر ملك الهند الأكبر الذى يقال له سينال ، وقهر ملك الترك الأعظم الذى يقال له إيلك الخزان ، وأباد ملك السامانية ، وقد ملكوا العالم فى بلاد سمرقند وما حولها ، ثم هلكوا . وبنى على جيحون جسراً تهجز المووك والخلفاء عنه ، غرم عليه ألفى دينار ، وهذا شئ لم يتفق لغيره ، وكان فى جيشه أربعمائة فىل تقاتل ، وهذا شئ عظيم هائل ، وجرت له فصول يطول تفصيلها ، وكان مع هذا فى غاية الديانة والصيانة وكرامة المعاصى وأهلها ، لا يجب منها شيئاً ، ولا يألوه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خراً فى مملكته ، ولا غير ذلك ، ولا يجب الملامى ولا أهلها ، وكان يجب العلماء والمحدثين ويكرههم ويجالسهم ، ويجب أهل الخير والدين والصلاح ، ويمسح إليهم ، وكان حنيفياً ثم صار شافعياً على يدى أبى بكر القفال الصغير على ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان على مذهب السكرامية فى الاعتقاد ، وكان من جملة من يجالسه منهم محمد بن الهيثم ، وقد جرى بينه وبين أبى بكر بن فورك مناظرات بين يدى السلطان محمود فى مسألة العرش ، ذكرها ابن الهيثم فى مصنف له ، قال السلطان محمود إلى قول ابن الهيثم ، وتقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده وإخراجه ، لموافقته لرأى الجهمية ، وكان عادلاً جيداً ، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت ، فيخرجه من البيت ويختلى بامرأته ، وقد حار فى أمره ، وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفاً وهيبه للملك . فلما سمع الملك ذلك غضب غضباً شديداً وقال للرجل ، ويحك متى جاءك فأتنى فأعلمنى ، ولا تسمع من أحد منك من الوصول إلى ، ولو جاءك فى الليل فأتنى فأعلمنى ، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم : إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلى من ليل أو نهار ، فذهب الرجل مسروراً داعياً ، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله ، فذهب باكياً إلى دار الملك فقبل له إن الملك فأمم ، فقال : قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلاً ولا نهاراً ، فذهبوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد ، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحد ، وعندهما شمعة تقد ، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحترز رأس الغلام وقال للرجل : ويحك الحقنى بشربة ماء ، فأناه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب ، فقال له الرجل : بالله لم أطفأت الشمعة ؟ قال : ويحك إنه ابن أختى ، وإنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح ، فقال : ولم طلبت الماء سريعاً ؟ فقال الملك : إنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب

شرباً حتى أنصرك ، وأقوم بحفك ، فكنت عطاشاً فانهذه الأيام كلها ، حتى كان ما كان مما رأيت . فدعا له الرجل وانصرف الملك راجماً إلى منزله ، ولم يشعر بذلك أحد . وكان مرض الملك محمود هذا بسوء المزاج ، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين ، فكان فيهما لا يضطجع على فراش ، ولا يتكئ على شيء ، لقوة بأسه وسوء مزاجه ، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك ، ويفصل على عادته بين الناس ، حتى مات كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة ، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة ، وخاف من الأوال شيئا كثيراً ، من ذلك سبعون رطلاً من جوهر ، الجوهرة منه لها قيمة عظيمة سماحه الله . وقام بالأمر من بعده ولده محمد ، ثم صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبهه أباه ، وقد صنف بعض العلماء مصنفات في سيرته وأيامه وفتوحاته وممالكه . ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة ، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه . وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ، فقويت عليهم السنة وقتلوا خلقاً منهم ، ونهبوا الكرخ ودار الشريف المرتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض ، وتعدى النهب إلى دور كثيرة ، وانتشرت الفتنة جدا ، ثم سكنت بعد ذلك . وفيها كثرت العملات وانتشرت الحنة بأمر العيارين في أرجاء البلاد ، وتجاسر وأعلى أمور كثيرة ، ونهبوا دوراً وأماكن سرا وجبرا ، ليلاً ونهاراً ، والله سبحانه أعلم .

خادفة القائم بالله

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، بويع له بالخلافة لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة ، عن ست وثمانين سنة ، وعشرة أشهر وإحدى عشر يوماً ، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد إليه ، وأنه أم ولد اسمها منى ، مولاة عبد الواحد بن المقتدر ، وقد كان حليماً كريماً ، محباً لأهل العلم والدين والصلاح ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد ، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس ، وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضها يخضبها ، وكان يقوم الليل كثير الصدقة ، محباً للسنة وأهلها ، مبعوضاً للبدعة وأهلها ، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه ، يبعث منه إلى الجوارين بالخرميين وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره في زى العامة فيزور قبور الصالحين ، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وجلسوا

في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به ، ولتوطيد البيعة لولده المذكور ، وأمه يقال لها قطر الندى ، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، ثم يورع له بمحضرة القضاة والأمراء والكبراء في هذه السنة ، وكان أول من بايحه المرتضى وأنشده أبياتاً : فأما مضي جيلٍ وانقضى * فمك لنا جيلٌ قد رمى
وأما فجعنا بيدٍ التام * فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزنٌ في محل السرور * فكم ضحك في محل البكا
فياصارماً أغمده يده * لنا بعدك الصارم المنتضى
ولما حضرنا لعقد البيع * عرفنا بهديك طرق الهدى
فقابلتنا بوقار المشيب * كما لأوسنك سن الفتي

فطالبته الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم ، لأن أباه لم يترك شيئاً ، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلاً لهم ، نحواً من ثلاثة آلاف دينار ، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستقضى ابن ما كولا . ولم يحج أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فخرجوا .

وفيها توفي من الأعيان غير الخليفة الحفص بن جعفر

أبو علي بن ما كولا الوزير لجلال الدولة ، قتله غلام له وجارية تعاملت عليه فقتلاه ، عن ست وخمسين سنة -
عبد الوهاب بن علي

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق ، صاحب الرحبة ، النغابي البغدادي أحد أئمة المالكية ، ومصنفينهم ، له كتاب التلغين يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ، وقد أقام ببغداد دهرًا ، وولى قضاء داريا وما كسايا ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله ، فدخل مصر فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً كثيراً ، فتمول جدا ، فأنشأ يقول مقشوقاً إلى بغداد .

سلام على بغداد في كل موقف * وحق لها مني السلام مضاعف
فو الله ما فارقتها عن ملالة * وإني بشطبي جانبها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأسرها * ولم تكن الارزاق فيها تساعف
فكانت كخيل كنت أهوى دونه * وأخلاقه تنأى به وتخالف

قال الخطيب : سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك ، وكتبت عنه ، وكان ثقة ، ولم تر المالكية أحداً أفقه منه . قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال ، وحسن حاله ، مرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله ، عند ما عشنا متنا

قال : وله أشعار رائعة فمنها قوله :

ونائمة قبلتها فنذبت * فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحذر
فقلت لها إني فديتك غاصب * وماحكوا في غاصب بسوى الرد
حذيتها وكفى عن أنيم طلبة * وإن أنت لم ترضى فالنأعلى العبد
فقلت قصاص يشهد العقل أنه * على كبد الجاني ألد من الشهد
فباتت يمى وهي هميان خصرها * وباتت يساري وهي واسطة العقد
فقلت ألم تخبر بأنك زاهد * فقلت بلى ، مازلت أزهدي في الزهد

ومما أنشده ابن خلدان للقاضي عبد الوهاب :

بفداد دار لأهل المال طيبة * وللهفليس دار الضنك والضيق
ظلت حيران أمشى في أزقتها * كأنتي مصحف في بيت زنديق
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

في سادس المحرم منها استسقى أهل بغداد لتأخر المطر عن أوانه ، فلم يسقوا ، وكثر الموت في الناس ، ولما كان يوم عاشوراء عملت الروافض بدعتهم ، وكثر النوح والبكاء ، وامتلات بذلك الطرقات والأسواق . وفي صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بغداد مع اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد . وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة فاتفق على خروجه إلى البصرة منفيا ، ورد كثيرا من جواريه ، واستبقى بمضن معه ، وخرج من بغداد ليلة الاثنين سادس ربيع الأول منها . وكتب الغلمان الاسفهلارية إلى الملك أبي كاليبج ليقدم عليهم ، فلما قدم تمهدت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والاحداد ، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها ، وتأخر بجي أبي كاليبج ، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد . فأطاعه في ذلك ، فكثرت العيارون وتفاقم الحال ، وفسد البلد ، وافترق جلال الدولة بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسواق ، وجعل أبو كاليبج يتوهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن ، فلم يتفق ذلك ، وطال الفصل فرجعوا إلى مكتبة جلال الدولة ، وأن يرجع إلى بلده ، وشرعوا يعتذرون إليه ، وخطبوا له في البلد على عادته ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليبج ، وكان فيمن بعث إليه القاضي أبو الحسن الماوردي ، فسلم عليه مستوحشا منه ، وقد تحمل أمرا عظيما ، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان الأعظم مالك الأمم ، فقال الماوردي : هذا مالا سبيل إليه ، لأن السلطان المعظم هو الخليفة ، وكذلك مالك الأمم ، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة ، فأرسل مع الماوردي تحفا عظيمة منها ألف ألف دينار سابورية ، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة ، والتحف والألطف ، واجتمع الجند على

طلب من الخليفة فتصنر ذلك فراموا أن يقطعوا خطبته ، فلم تصل الجمعة ، ثم خطب له من الجمعة القابلة ، وتخطب البهه جدا ، وكثر العيارون . ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفائها ، وأنه على ما يحب من الصديق وصلاح السريرة . ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره . ثم اعتنر إلى الخليفة واصطلحا على فساد . وفي رجب علت الأسعار جدا ببفداد وغيرها ، من أرض العراق . ولم ينجح أحد منهم .

وفيها وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والرى وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة . وفي نواحي الموصل والجليل وبنداد طرف قوى من ذلك بالجمدى ، بحيث لم تخل دار من مصاب به ، واستمر ذلك في حزيران وتموز وآزار وأيلول وتشرين الأول والثاني ، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف . قاله ابن الجوزى في المنتظم . وقد رأى رجل في منامه من أهل أصبهان في هذه السنة مناديا ينادى بصوت جهورى : يا أهل أصبهان سكت ، نطق ، سكت ، نطق ، فانتبه الرجل مذعورا فلم يدر أحد تأويلها ما هو ، حتى قال رجل بيت أبي العتاهية قال : احذروا يا أهل أصبهان فاني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سكت الدهرُ زماناً عنهمُ • ثم أبكاهمُ دماً حين نطق

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود قتل منهم خلقا كثيرا ، حتى قتل الناس في الجوامع . وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليبج بالخادم جنبدل قتلته ، وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم ، فاستراح منه . وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، واسمه قديخان .

وفيها توفي من الأعيان روح بن محمد بن أحمد

أبو زرعة الرازى . قال الخطيب : سمع جماعة ، وقد علينا حاجاً فكتبت عنه ، وكان صدوقاً فهماً ، أديباً ، يتفقه على مذهب الشافى ، وولى قضاء أصبهان . قال : وبلغنى أنه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

علي بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصرى ، المعروف بالنعيمى ، الحافظ الشاعر ، المتكلم الفقيه الشافى . قال البرقانى : هو كامل فى كل شىء لولا بادرة فيه ، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره قوله :

إذا أظلمتكَ أ كَفُ الثامِ • كَفَتِكَ القناعَةُ شيباً وريا

فكن رجلاً رجله فى الثرى • وهامته همُّه فى الثريا

أيتاً لنائل ذي نعمة • تراه بما فى يديه أيتا

فان إراقة ماء الحيا • دون إراقة ماء الحيا

محمد بن الطيب

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ ، حدث عن النجاد وأبي بكر الشافعي ، وكان صدوقا ، حكى الخطيب أنه تزوج تسعمائة امرأة ، وتوفى عن خمس وتسعين سنة .

علي بن هلال

الكاتب المشهور ، ذكر ابن خلكان أنه توفى في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

فيها تفاقم الحال بأمر الميارين ، وتزايد أمرهم ، وأخذوا العملات الكثيرة ، وقوى أمر مقدمهم البرجمي ، وقتل صاحب الشرطة غيلة ، وتواترت العملات في الليل والنهار ، وحرس الناس دورهم ، حتى دار الخليفة منه ، وكذلك سور البلد ، وعظم الخطب بهم جدا ، وكان من شأن هذا البرجمي أنه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئا ، وهذه سرودة في الظلم ، وهذا كما قيل • حنانيك بعض الشر أهون من بعض • وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز ، فأقام بها الخطبة لأبيه ، وقطع منها خطبة أبي كاليبج في هذه السنة والتي بعدها ، ثم استرجعت ، وأخرج منها ولده . وفيها تارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم ، وأخرجوه من داره ، ورحموا عليه في المسجد ، وأخرجت حريمه ، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى فترها ، ثم اصطلمت الأتراك عليه وحلفوا له بالسمع والطاعة ، وردوه إلى داره ، وكثر الميارون واستطالوا على الناس جدا . ولم يجمع أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن الحسين بن أحمد

أبو الحسين الواعظ المروف بابن السماك ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسمع جعفر الخليلي وقبیره وكان يمظ بجامع المنصور وجامع المهدي ، ويتكلم على طريق الصوفية ، وقد تكلم بمض الأئمة فيه ، ونسب إليه الكذب . توفى فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند ، وفتح حصونا كثيرة ، وكان من جعلتها أنه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور مجوز كبيرة ساحرة ، فأخذت مكفسة فبلتها ورشتها من ناحية جيش المسلمين ، فرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا ، فارتحل عن تلك القلعة ، فلما استقل ذاهبا عنها هوفى عافية كاملة ، فرجع إلى غزنة سالما . وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الشرقي من بغداد ، لما تفاقم أمر الميارين . وفيها ولي سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه ، فقصد معه قر وانشا فأقره

وساعده على أمره . وفيها هلك ملك الروم أرماتوس ، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم ، قد كان صيرفيا في بعض الأحيان ، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين . وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعا تقطعا ، وخرج أهلها منها هاربين ، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا إليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلمت الحجر ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقراها وغنمها ، وساخت في الأرض . وكذلك قرى كثيرة هناك ، وذكر ذلك ابن الجوزي . ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية ، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالتوت والجوز والمانب ، واقتامت قصرا مشيداً بمجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأوكف ، والزنود والأصابع ، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خائف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا . وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يفتق الباب على من في الدار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفا . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والروافض حتى بين العيارين من الفريقين مع ابنا الاصفهاني وهما مقدمي عيارين أهل السنة ، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضاقت عليهم الحال ، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة . ولم ينجح أحد من أهل العراق .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وسمع الكثير ، ورحل إلى البلاد ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وكان علماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة نافلة . قال الأزهري : إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أتعن منه . وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث . توفي يوم الخميس مستهل رجب ، وصلى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أَعْلَلُ نَفْسِي بِكُتُبِ الْحَدِيثِ * وَأَجَلُّ فِيهِ لَهَا الْمَوْعِدَا
وَأَشْغَلُ نَفْسِي بِتَصْنِيفِهِ * وَتَحْرِيجِهِ دَائِمًا سَرْمِدَا
فَطَوَّرَا أَصْنَفَهُ فِي الشُّبُو * خِ وَطَوَّرَا أَصْنَفَهُ مُسْتَدَا
وَأَقْفُو الْبَخَارِيَّ فِيهَا حَوَا * هُ وَصَنَّفَهُ جَاهِدًا مُجْهَدَا
وَمُسْلِمٌ إِذْ كَانَ زَيْنَ الْأَنَامِ * بِتَصْنِيفِهِ مُسْلِمًا مُرْشِدَا
وَمَالِي فِيهِ سِوَى أَنِّي * أَرَاهُ هَوًى صَادِقَ الْمَقْصِدَا

وأرجو الثواب بكتب الصلاة * ة على السيد المصطفى أحمد

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد

أبو العباس الأبيوردي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا ، وكان يدرس في قطيعة الربيع ، وولى الحكم ببغداد نيابة عن ابن الألفاني ، وقد سمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كما ماله ، وكان يقول الشعر الجيد ، وكان كما قال تعالى [يحسبهم الجاهل أغنياء من التعنف تعرفهم بسبام لا يسألون الناس إلحافاً] توفي في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب :

أبو علي البندنجي

الحسن بن عبد الله بن يحيى ، الشيخ أبو علي البندنجي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبي حامد أيضاً ، ولم يكن في أصحابه مثله ، تفقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان ديناً ورعاً . توفي في جمادى الآخرة منها أيضاً .

عبد الوهاب بن عبد العزيز

الحارث بن أسد ، أبو الصباح التميمي ، الفقيه الحنبلي الواعظ ، سمع من أبيه أثراً مسلسلاً عن علي « الحنان : الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالتوال قبل السؤال » توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

غريب بن محمد

ابن مفتي سيف الدولة أبو سنان ، كان قد ضرب السكة باسمه ، وكان ملكاً متمكناً في الدولة ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وتقوى بعمه قرواش ، واستقامت أموره ، توفي بالكرخ ساور عن سبعين سنة .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

في محرما كثر زرد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن ، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيارين وكثرت شروهم ، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة نحو من ألفي دار . وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بأنه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفاً وأسر تسعين ألفاً ، وغنم شيئاً كثيراً ، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين ، ووقع حريق في أماكن من بغداد ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم ينج أحد من هؤلاء ولا من أهل خراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن كليب الشاعر

وهو أحد من هلك بالمشق ، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المقتدر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجعد ، من بني خلد^(١) وكان فيهم وزارة ، أي كانوا وزراء للملوك وحجابا ، فأشده فيه أشمارا تحدث الناس بها ، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحي من الناس وانقطع في دارهم ، وكان لا يجتمع بأحد من الناس ، فزاد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا ، بحيث عاده منه الناس ، ولا يدرون ما به ، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء ، فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون ذلك ، ومن أي شيء مرضي ، وفي أي شيء دوائى ، لو زارنى أسلم ونظر إلى نظرة ونظرته نظرة واحدة لبرأت ، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مخفياً ، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته ، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته تجبن الغلام واستحي من الدخول عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه ، وقد ذكرى وتوه باسمى ، وهذا مكان ريبة وتهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم ، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه ، فقال له : إنه ميت لا محالة ، فاذا دخلت عليه أحييته . فقال : يموت وأنا لا أدخل مسخلاً يسخط الله على وينفضه ، وأبى أن يدخل ، وانصرف راجعاً إلى دارهم ، فسئل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه ، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدم مشوقه عليه ، ففرح بذلك جدا ، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه ، وقال لتلك الرجل السامع بينهما : اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول ، ثم

أنشده : أسلم ياراحة الليل * رقاً على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى ، ما هذه العظيمة ؟ فقال : قد كان ما سمعت ، أو قال القول ما سمعت . قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه ، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك . وهذه زلة شفاء ، وعظيمة صلحاء ، وداهية دهباء ، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولى الألباب ، وتنبية لذوى البصائر والعقول ، أن يسألوا الله رحمة وعافيته ، وأن يستعينوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد .

قال الحميدى : وأنشدنى أبو على بن أحمد قال : أنشدنى محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح للثعلب :

(١) فى النجوم الزاهرة : أسلم بن أحمد بن سعيد قاضى قضاة الاندلس .

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح * وهبته لك طوعاً * كما وهبتهك روي
الحسن بن أحمد

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز ، أحد مشايخ الحديث ،
سمع الكثير ، وكان ثقة صدوقاً ، جاء يوماً شاب غريب فقال له : إني رأيت رسول الله (س) في
المنام فقال لي : اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام . ثم انصرف الشاب فبكي
الشيخ وقال : ما أعلم لي عملاً أستحق به هذا غير صبري على سماع الحديث ، وصلاتي على رسول
الله (س) ، كما ذكر . ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرما ، عن سبع وثمانين سنة
ودفن بباب الدبر .
الحسن بن عثمان

ابن أحمد بن الحسين بن سورة ، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الغلو ، سمع الحديث عن جماعة .
قال ابن الجوزي : وكان يعظ ، وله بلاغة ، وفيه كرم ، وأمر بمحروف ونهى عن منكر ، ومن شعره
قوله : دخلت على السلطان في دار عزه * بقتر ولم أجلب بجخيل ولا رجل
وقلت : انظروا ما بين قري ومملككم * بمقدار ما بين الولاية والعزل
توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين ، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السكك رحمهما الله .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في الحرم منها تكملت قنطرة عيسى التي كانت سقطت ، وكان القتي ولي مشاركة الاتفاق عليها
الشيخ أبو الحسين القسوري الحنفي ، وفي الحرم وما بعده تقام أسر الميارين ، وكبسوا النور
وتزايد شرم جدا .

وفيها توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم الفاطمي ، وله من العمر ثلاث وثلاثون
سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين ، واسمه معد ، وكنيته أبو تميم ، وتكفل
بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش ، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي ، وكان الظاهر هذا
قد استوزر الصحابي أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني ، وكان مقطوع اليدين من المرقين ، في سنة
ثمانى عشرة ، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر ، ثم لولده المستنصر ، حتى توفي الوزير الجرجاني
المذكور في سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة ، وكان الذي يعلم عنه القاضي
أبو عبد الله القضاة صاحب كتاب الشهاب ، وكانت علامته الحمد لله شكراً نعمه ، وكان الذي
قطع يديه من المرقين الحاكم ، لجنابة ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة ، ثم استعمله في بعض
الأعمال سنة تسع ، فلما قد الحاكم في السابع والعشرين من شوال ، سنة إحدى عشرة ، تنقلت
بالجرجاني المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا ، وقد هجاه بعض الشعراء

قال : يا أجمعا اسمع وقل * ودع الرقاعة والتحامق
 أأقت نفسك في النقا * وتوهبك فيما لقت صادق
 أمن الأمانة والتقى * قطعت يدك من المرافق
 وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي

ويقال الثعلبي أيضا - وهو لقب أيضاً وليس - بنسبة ، النيسابوري المفسر المشهور ، له التفسير الكبير ، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير ، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به ، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرم منها ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وقال السمعاني : ونيسابور كانت مفضبة فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزيني ، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة . وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كالجار ، ثم أعادوا الخطبة ، واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم ، ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه ، منهم البساسيري ، وديبس بن علي بن مرند ، وقر واش بن مقلد ، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهرا ، واصطاح هو وأبو كالجار نائب جلال الدولة على يدى قاضى القضاة الماوردي ، وتزوج أبو منصور بن أبي كالجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار واتفقت كلمتهما وحسن حال الرعية . وفيها نزل مطر ببلاد قم الصلح ومعه سمك ووزن السمكة رطل ووظلان ، وفيها بهت ملك مصر بمال لاصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك ، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال في المسلمين ، يصرف في مصالحهم . فأذن في صرفه في مصالح المسلمين . وفيها نار الميارون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي ، وأخذوا منه رجلا وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلا ، وانتشرت الشرور في البلاد جدا . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

وممن توفي فيها من الأعيان القنوري أحمد بن محمد

ابن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القنوري الحنفي البغدادي ، سمع الحديث ولم يحدث إلا بشيء يسير . قال الخطيب : كتبت عنه . وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره في درب خلف .

الحسن بن شهاب

ابن الحسن بن علي ، أبو علي المكبري ، الفقيه الحنبلي الشاعر ، ولد سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

سمع من أبي بكر بن مالك وغيره ، وكان كما قال البرقاني ثقة أميناً ، وكان يسترزق من الوراقة - وهو النسخ - يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيديعه بمائتي درهم ، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك ، وكان قد أوصى بثلاث ماله في منفقة الخنابلة ، فلم تصرف .

لطف الله أحمد بن عيسى

أبو الفضل الهاشمي ، ولي القضاء والخطابة بدرب ريجان ، وكان ذا لسان ، وقد أضر في آخر عمره ، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه ، توفي في صفر منها .

محمد بن أحمد

ابن علي بن موسى بن عبد المطلب ، أبو علي الهاشمي ، أحد أئمة الخنابلة وفضلائهم .

محمد بن الحسن

ابن أحمد بن علي أبو الحسن الأهوازي ، ويعرف بابن أبي علي الأصبهاني ، ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعماني أجزاء من حديثه ، فسمها منه البرقاني ، إلا أنه بان كذبه ، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب ، أقام ببغداد سبع سنين ، ثم عاد إلى الأهواز فمات بها .

مبيار الديلمي الشاعر

مبيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي ، ويقال له الديلمي ، كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم ، من سب الصحابة وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مبيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار ، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فمن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغي عندكم قلباً سمحت به * وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعرف مقدار حبكم * حتى هجرت وبعض المهجر تأديب
ولمبيار أيضاً : أجاتنا بالنور والركب منهم * أيعلم خال كيف بات المتيم
رحلتم وجرم القلب فينا وفيكم * سواء ولكن ساهرون ونوم
فبنتم عنا ظاعنين وخلفوا * قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حذرته * ولم يبق إلا نظرة لي تقم
بكيث على الوادي وحرمت مائه * وكيف به ماءً وأكثره دم

قال ابن الجوزي : ولما كان شعره أكثره جيداً اقتصرت على هذا القدر . توفي في جمادى

الآخرة

هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب ، كان من أهل الفضل والأدب والدين ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا ليلةً سلكَ الزما * نٌ في طيِّبها كل مسلكٌ
 إذ ترتقى روحى المسر * ة مدرَكًا ما ليس يدركُ
 والبدْرُ قد فضحَ الزما * نٌ وسرُّه فيه مهتِكُ
 وكأنما زهرُ النجو * م بلعها شملٌ تحركُ
 والغيبُ أحياناً يلو * ح كأنه نوبٌ ممسكُ
 وكانُ نجميدَ الريا * ح لدجلة نوبٌ مفركُ
 وكانَ نشرَ المسكِ * ينفع في النسيم إذا تحركُ
 وكأنما المنثورَ مصفر * الذرى ذهبٌ مسبكُ
 والنورُ يبسمُ في الريا * ض فإن نظرت إليه سرُّكُ
 شارطتَ نفسى أن أفو * م بمحقها والشرطُ أملاكُ
 حتى تولى الليلَ م * نهزم أوجاه الصبحُ بضحكُ
 وذا الفتى لو أنه * في طيبِ العيش يتركُ
 والدهرُ يحسبُ عمره * فاذا آناه الشيبُ فنلكُ

أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف ، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس ، كان بارعاً في الطب في زمانه ، كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها قرأ القرآن وأتقنه ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطى ، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناطلي الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وعالج بعض الملوك السامانية ، وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سنوية ، وحكاه في خزانة كتبه ، فرأى فيها من المعجائب والمحاسن مالا يوجد في غيرها ، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه ، وله في الآلهيات والطبيعات كتب كثيرة ، قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف ، صفار وكبار ، منها القانون ، والشفا ، والنجاة ، والاشارات ، وسلامان ، وانسان ، وحى بن يقظان ، وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الاسلام ، أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها :

هبطت إليك من المقام الأرفع * وراقاً ذاتُ تعزيرٍ وتمنع
 محجوبةً عن كل مقلبة عارفٍ * وهى التي سفرت ولم تبرقع

وصلت على كرم إيلك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجع
وهي قصيدة طويلة وله :

اجمل غداك كل يوم مرة * واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فانه * ماء الحياة براق في الأرحام

وذكر أنه مات بالقولنج في همدان ، وقيل بأصبهان ، والأول أصح ، يوم الجمعة في شهر رمضان منها ، عن ثمان وخمسين سنة . قلت : قد حصر الفزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ، ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له ، كفزه في ثلاث منها ، وهي قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجنائي ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدعه في البواقي ، ويقال إنه تاب عند الموت فأنه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها كان بدو ملك السلاجقة ، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، على نيسابور ، وجلس على سرير ملكها ، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها ، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين . وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، واستولوا على حلب وأعمالها . وفيها سأل جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة ، فأجابته إلى ذلك بعد تمنع . وفيها استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود ، وألزموا بالنيار . وفي رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب له بذلك على المنابر ، فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالأجر ، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك ، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك فأفتى أبو عبد الله الصيرى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية ، وقد قال تعالى [إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا] وقال [وكان وراءهم ملك] وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض ، وأعظم من بعض ، وليس في ذلك ما يوجب التكبير والمماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب القاضي أبو الطيب الطبري أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض ، وإذا جاز أن يقال كافي الكفاة وقاضي القضاة ، جاز أن يقال ملك الملوك ، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهم أصلح الملك ، فيصرف الكلام إلى المخلوقين وكتب التيمي الحنبلي نحو ذلك ، وأما الماوردي صاحب الحاوي الكبير فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضاً ، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المفتي أنه منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك ، مع صحبته للملك جلال الدولة ، وكثرة ترداده إليه ، ووجاهته عنده ، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد ، فلما دخل عليه ،

دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكر وها ، فلما واجهه قال له جلال الدولة : قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجهتك عندي ، دينك واتباعك الحق ، وإن الحق آثر عندك من كل أحد ، ولو حايت أحدا من الناس لحايتني ، وقد زادك ذلك عندي محبة ومحبة ، وعلو مكانة .

قلت : والذي حمل القاضى الماوردى على المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه . قال الامام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي (س) ، أنه قال : « أخرج اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » . قال الزهري : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخرج اسم قال : أوضع . وقد رواه البخارى عن علي بن المديني عن ابن عيينة ، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي (س) : أنه قال : « أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى بملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل » . وقال الامام أحمد : حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله (س) ، « اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عز وجل » .

ومن توفي فيها من الأعيان **الثعالبي صاحب يتيمة الدهر**

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابورى ، كان إماماً فى اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار فى النظم والنثر والبلاغة والفضاحة ، وأكبر كتبه يتيمة الدهر فى محاسن أهل المصر . وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمة * أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم * فلذلك سميت اليتيمة

وإنما سمي الثعالبي لأنه كان رفاة يخط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، ومات فى هذه السنة .

الاستاذ أبو منصور

عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادي الفقيه الشافى ، أحد الأئمة فى الأصول والفروع ، وكان ماهراً فى فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذاملاً وثروة أنفقه كله على أهل العلم ، وصنف ودرس فى سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الاسفرائينى ، وأخذ عنه ناصر المروزى وغيره . ثم دخلت سنة ثلاثين و أربعمائة فيها التقى الملك مسعود بن محمود ، والملك طغرل بك السلجوق ، ومعه أخوه داود ، فى شعبان ،

فزههما مسعود ، وقتل من أصحابهما خلقا كثيرا . وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم العباسي بمران والرحبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي . وفيها خطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه ، لما طغوا وتمردوا وبنوا وتسموا بملك الأملاك ، فسلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك في غيرهم ، كما قال الله تعالى [إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] الآية . وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ما كولا خلمة تشریف . وفيها وقع نجاح عظيم ببغداد مقدار شهر . قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو ساجوق بلاد خراسان والجبل ، وتقسوا الأطراف ، وهو أول ملك السلجوقية ولم يجمع أحد فيها من العراق وخراسان ، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل .

ومن توفى فيها من الأعيان . الحافظ أبو نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، أبو نعيم الأصبهاني ، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة ، دلت على اتساع روايته ، وكثرة شايخه ، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث ، وشعب طرقه ، وله معجم الصحابة ، وهو عندي بخطه ، وله صفة الجنة ودلائل النبوة ، وكتاب في الطب النبوي ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد قال الخطيب البغدادي : كان أبو نعيم يخلط السموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر . وقال عبد العزيز النخشي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بن تامة ، فحدث به كله ، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير وصف الكثير ، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا ، توفى أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله ، لأنه ولد فيها ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة . قال وله تاريخ أصبهان . وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم ، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . وذكر أن معنى أصبهان وأصله بالفارسية شاهان ، أي جمع المساكين ، وأن الاسكندر بناها .

الحسن بن حفص

أبو الفتوح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو علي البرجمي ، وزر لشرف الدولة سنتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذي بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن الحسن

ابن علي بن عبد الله المؤدب ، وهو أبو محمد الخلال ، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميني ، وسمع غيره ، توفى في جمادى الأولى ودفن بباب حرب .

عبد الملك بن محمد

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والأجري وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله ، ومات في ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه في جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيرا حافلا ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي ، وكان قد أوصى بذلك .

محمد بن الحسين بن خلف

ابن الفراء ، أبو حازم القاضي أبو يعلى الحنبلي ، سمع الدارقطني وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لا بأس به ، ورأيت له أصولا سمعته فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر واشتري من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان ينهب إلى الاعتزال . توفي بتنيس من بلاد مصر .

محمد بن عبد الله

أبو بكر الدينوري الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزويني يثني عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح ، وكان مبلغه ألفي دينار فتركه من أجله ، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنائزه وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

الفصل بن منصور

أبو الرضى ، ويعرف بابن الظريف ، وكان شاعرا ظريفا ومن شعره قوله :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم • ولست أدهى إلا من النصيح
قد ذهب الدهر بالكرام • وفي ذاك أمور طويلة الشرح
أطلبون النوال من رجل • قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمشون بالحسن والظرف • وجوها في غاية القبح
من أجل ذا نحرمون رزقكم • لأنكم تكذبون في المدح
صنوا التواني فما أرى • أحدا يفتخر فيه بالنجح
فإن شككتم فيما أقول لكم • فكذبوني بواحد سمح

هبة الله بن علي بن جعفر

أبو القاسم بن ماكولا ، وزير لجلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بالشعر والأخبار ، خفق بهيت في جمادى الآخرة منها .

أبو زيد الدبوسي

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله

ابن خلكان، وكان يضرب به المثل، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى، قال: وله كتاب الأبرار والتعويم للادلة، وغير ذلك من التصانيف والتماليك، قال وروى أنه ناظر قصبها فبقي كلما أزمه أبو زيد إزاماتبسم أو ضحك، فأنشد أبو زيد في ذلك:

مالي إذا أزمته حجة * قابلي بالضحك والقهقهة
إن ضحك المرء من قهقهه * فالذب بالصحراء ما أقهقهه
الحوفي صاحب إعراب القرآن

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، له كتاب في النحو كبير، وإعراب القرآن في عشر مجلدات، وله تفسير القرآن أيضاً، وكان إماماً في العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة، انتفع بها الناس. قال ابن خلكان: والحوفي نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية، وقصبتها مدينة بلبليس، فجميع ريفها يسمون حوف، واحدم حوفي وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فألقتهم بأسفل البلد وسلوا، وفيها وقع بين الجنند وبين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض واتسع الخرق على الراقع، ونهبت دور كثيرة جداً، ولم يبق للملك عندهم حرمة، وغلت الأسعار. وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين، ومشى حافياً في بعض تلك الأزوار. ولم يجمع أحد من أهل العراق. وفيها بمث الملك أبو كاليجار وزيره العادل إلى البصرة فلما له.

ومن توفى فيها من الأعيان إسماعيل بن أحمد

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الخيري، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأماناء، قدم بغداد حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخاري في ثلاث مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهني، عن الفربري عن البخاري، توفى فيها وقد جاوز التسعين.

بشرى الفاتني

وهو بشرى بن مسيس من سبي الروم، أهده أمراء بني حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال: كان صدوقاً صالحاً ديناً، توفى يوم عيد الفطر منها رحمه الله.

محمد بن علي

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي، وأصله من فم الصلح، سمع الحديث وقرأ

القراآت ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث فإله أعلم. توفي في جمادى الآخرة
مها وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها عظم شأن السلجوقية ، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك ، وأخيه داود ، وهما ابنا ميكائيل بن
سلجوق بن بفاق، وقد كان جدهم بفاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم رأى ومكيدة ومكانة
عند ملكهم الأعظم ، ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً ، قدسه الملك ولقبه شباسى ، فأطاعته الجيوش
وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين ، فأسلم فزاد عزا
وعلوا ، ثم توفي عن مائة وسبع سنين ، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى ، فأما ميكائيل فإنه اعتنى بقتال
الكفار من الأتراك ، حتى قتل شهيداً ، وخلف ولديه طغرل بك محمد ، وجعفر بك داود ، فعظم شأنهما
في بني عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الإيمان الذين يقول لهم الناس تركان ،
وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا ، فأخذوا بلاد خراسان بكالها بعد موت محمود بن سبكتكين ،
وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف ، فللمات وقام ولده مسعود بعده فقاتلهم وقتلوه مراراً ،
فكانوا يهزمونه في أكثر المواضع ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثم قصدهم مسعود في جنود
يضيق بهم الفضاء فكسروه ، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس
على سريره ، وفرق الغنائم على جيشه ، وهكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفاً
من دهمة العدو ، وبمثل هذا تم لهم ما راموه ، وكل لهم جميع ما أملوه ، ثم كان من سماعاتهم أن
الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسبي بها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً بسبب قتال السلاجقة ،
فلما عبر الجسر الذى على سيمون نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود ،
وخلموا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه ، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك
على شرفنيك إلى ، ولكن اختر لنفسك أى بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختر قلعة كبرى ،
وكان بها ، ثم إن الملك محمداً أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده ، وبأيع الجيش له ، وكان ولده
اسمه أحمد ، وكان فيه هرج ، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفوهم الأمر ،
ويتم لهم الملك ، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله ، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه
عتباً شديداً ، وبعث إلى ابن أخيه يمتد إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك ، حتى كان ما كان . فكتب
إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولدك الممتوه عقلاً يعيش به ، فقدارت كبراً عظيماً ، وقدم على إراقة
دم مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أى حيف تورطتم ،
وأى شراً بطتم [وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون] ثم سار إليهم في جنود فقاتلهم قهرهم

وأسرهم ، قتل عمه محمداً وابنه أحمد وبنى عمه كلهم ، إلا عبد الرحمن وخلقا من رؤس أمرائهم ، وابتنى قرية هنالك وسماها فتحاً أباناً ، ثم سار إلى غزنة فدخلها في شعبان ، فأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود ، فأطاعه الناس ، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والانبعاث والطاعة ، غير أنه أهلك قومه بيده ، وهذا من جملة سعادة السلاجقة .

وفيهما اختلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية ، فسار إليهم فحاصرهم قريباً من سنتين ، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر ، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، قتل بينهم خلق كثير من الفريقين . ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان . محمد بن الحسين

ابن الفضل بن العباس ، أبو يعلى البصرى الصوفى ، أذهب عمره في الاسفار والتفرير ، وقدم ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين ، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقي ، وأبي الحسين بن جميع النيسابوري ، وكان ثقة صدوقاً ديناً حسن الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

ففيها ملك طبرليك جرجان وطبرستان ، ثم عاد إلى نيسابور مؤيداً منصوراً . وفيها ولي ظهير الدولة بن جلال الدولة أبي جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه ، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكسانيف . وفيها دخل أبو كاليجار همدان ودفع الغز عنها . وفيها شعنت الأكراد ببغداد لسبب تأخر المطر عنهم . وفيها سقطت قنطرة بنى زريق على نهر عيسى ، وكذا القنطرة الكشيبة التي تقابلها . وفيها دخل ببغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر أنه من كبارهم ، فأنزله بدار الخلافة وأجرى عليه الأرزاق ، وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة ، وأنهم في أقصى بلاد الترك ، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات ، وكذلك الليل ، وعندما عيون وزروع وثمار ، على غير مطر ولا سقي . وفيها قرى الاعتقاد القادري الذي جمعه الخليفة القادر ، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين ، ومن خالفه فسق وكفر ، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني ، ثم كتب بعده العلماء ، وقد سرده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي بتامه في منتظمه ، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف .

ومن توفى فيها من الأعيان . بهرام بن منافيه

أبو منصور الوزير لأبي كاليجار ، كان عفيفاً نزهة صينياً ، عادلاً في سيرته ، وقد وقف خزانة

كتب في مدينة فيروزباد ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي
على وأبي عبد الله بن مقلة (١)

محمد بن جعفر بن الحسين

المعروف بالجرمي ، قال الخطيب : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم ، وكان يجيد القول ،
ومن شعره : يا ويح قلبي من تقلبه * أبداً نحن إلى معذبه
قالوا كنتمت هواه عن جلد * لو أن لي جلد لبحث به
ما بي جننت غير مكترث * عني ولكن من تغيبه
حسبي رضا من الحياة وما * يلقي وموتى من تغضبه

مسعود الملك بن الملك محمود

ابن الملك سبكتكين ، صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم
له ابنه مودود بن مسعود ، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته ، من أجل أبيه ، واستتب له
الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم بنت أمير المؤمنين المتقى بالله تأخرت مدتها حتى
توفيت في هذه السنة في رجب منها عن إحدى وتسعين سنة ، بالحر يم الظاهر ، ودفنت بالرصافة .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالى ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ،
فانزعج لذلك الخليفة القائم بالله ، وعزم على الخروج من بغداد . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة
تبريز ، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، ومن دار الامارة عامة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون
ألفاً ، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم . وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية
من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والرى وبلاد العجل وكرمان وأعمالها ، وقزوين . وخطب
له في تلك النواحي كلها ، وعظم شأنه جدا ، واتسع صيته . وفيها ملك سماك بن صالح بن مرداس
حلب ، أخذها من الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه . ولم يحج أحد من أهل العراق
وغيرها ، ولا في اللواتي قبلها .

ومن توفى فيها من الأعيان . أبو زر الهروي

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكي ، سمع الكثير ورحل إلى الاقاليم ، وسكن مكة ، ثم
تزوج في العرب ، وكان يحج كل سنة ويقم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ، ومنه أخذ المغاربة
مذهب الأشعري عنه ، وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن الباقلاني ، كان حافظاً ، توفى في

(١) كذا في الاصل . وابن مقلة هو أبو على محمد بن علي .

محمد بن الحسين

ذى القعدة .

ابن محمد بن جعفر ، أبو الفتح الشيباني العطار ، ويعرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد ، وسمع الكثير ، وكان شيخا ظريفا ، سلك طريق النصف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية ، ثم سماني بعض أهلي محمداً .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها هدت الجوالي إلى نواب الخليفة . وفيها ورد كتاب من الملك طغرل بك إلى جلال الدولة يأمره بالاحسان إلى الرعايا والوصاة بهم ، قبل أن يحل به ما يسوءه .

أبو كاليبجار يملك بغداد بعد أخيه جلال الدولة

وفيها توفى جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليبجار بن بهاء الدولة ، وخطب له بها عن مملأة أمرائها ، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل في البلاد وتسرب من مملكته إلى غيرها حتى توفى سنة إحدى وأربعين ، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قریش . وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكريا كشيئا إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود السلجوقي فاقنتلا قتالا عظيما ، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خروكة ، وضحوا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا في البلاد ، ولم يسلم من خطا والتتر أحد وهم بنواحي الصين . وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة . وفيها خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلادة للخليفة العباسي ، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة الخلع واللواء المنشور ، وفيه تعظيم له وثناء عليه . وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرل بك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبي كاليبجار ، فسار إليه فالتقاه بمرجان فتلقاه الملك على أربعة فراسخ إكراما للخليفة ، وأقام عنده إلى السنة الآتية . فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته وإكرامه لأجل الخليفة .

الحسين بن عثمان

وفيها توفى من الأعيان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي ، أبو سعد أحد الرحالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها ، وروى عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقا ، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات في شوال منها .

عبد الله بن أبي الفتح

أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر ، أبو القاسم الأزهرى ، الحافظ المحدث المشهور ، ويعرف

بابن السوارى ، سمع من أبى بكر بن مالك وخلق يطول ذكرهم ، وكان ثقة صدوقا ، دينا ، حسن الاعتقاد والسيرة ، توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

الملك جلال الدولة

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمى ، صاحب العراق ، كان يحب العباد ويوزرهم ، ويلتمس الدعاء منهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وأخرج من داره ، وتارة أخرج من بغداد بالكفاية ، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فأت من ذلك فى ليلة الجمعة خامس شعبان منها ، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر ، تولى العراق من ذلك ستة عشرة سنة وإحدى عشر شهرا والله أعلم .
ثم دخلت سنة ست وثلاثين واربعمائة

فيها دخل الملك أبو كالجار بغداد وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك تفعل ذلك ، إنما كان يضرب لعهد الدولة ثلاث أوقات ، وما كان يضرب فى الأوقات الخمس إلا للخليفة ، وكان دخوله إليها فى رمضان ، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة ، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار ، وخام على مقدمى الجيوش وهم البساسيرى ، والنشاورى ، والهمام أبو اللقاء ، ولقبه الخليفة محيى الدولة ، وخطب له فى بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخطب له بهمذان ، ولم يبق لنواب طنبرك فيها أمر . وفيها استوزر طنبرك أبا القاسم عبد الله الجوينى ، وهو أول وزير وزر له . وفيها ورد أبو نصر أحمد بن يوسف صاحب مصر ، وكان يهوديا فأسلم بعد موت الجرجارى . وفيها تولى نقابة الطالبين أبو أحمد بن عدنان بن الرضى ، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى . وفيها بولى القضاء أبو الطيب الطبرى ، قضاء الكرخ ، مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق ، وذلك بعد موت القاضى الصيمرى . وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلم فى كتاب ديوان الخليفة ، وكان عنده بمنزلة عالية . ولم يمحج فيها أحد من أهل العراق
ومن توفى فيها من الأعيان .
الحسين بن علي

ابن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيمرى نسبة إلى نهر البصرة يقال له صيمر ، عليه عدة قرى ، أحد أئمة الخنفة ، ولى قضاء المدائن ثم قضاء ربيع الكرخ ، وحدث عن أبى بكر المفيد ، وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقا وافر العقل ، جميل المعاشرة ، حسن العبادة ، عارفاً بحق العلماء .
توفى فى شوال عن خمس وثمانين سنة .

عبد الوهاب بن منصور

ابن أحمد ، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازى ، كان قاضياً بالأهواز^(١) ونواجهها ،

(١) فى ابن الأثير : قاضى خوزستان وفارس .

شافعي المذهب ، كان له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان صدوقا كثير المال ، حسن السيرة .

الشريف المرتضى

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف الموسوي ، الملقب بالمرتضى ، ذي المجدين ، كان أكبر من أخيه ذي الحسين وكان جيد الشعر على مذهب الامامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده في كل المذاهب ، وله تصانيف في التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع ، فن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجزئ في المناط لافي البول ، وأن الكتائيات حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بمحضرة شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن قام من صلاة العشاء حتى اتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جرت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه في مصيبة يجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يملكه يجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رؤس الأصابع . قال ابن الجوزي : نقلته من خط أبي الوفاء ابن عقيل . قال : وهذه مذاهب مجيبة ، تخرق الاجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم . ثم سرد من كلاله شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرنض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزي قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما ، فأنا أقول ارتدا بعد ما أسلما ؟ قال فتمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلكان فلس عليه على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائعة . قال ويقال : إنه هو الذي وضع كتاب نهج البلاغة .

محمد بن أحمد

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل ، أبو منصور الروياني ، صاحب الشيخ أبي حامد الاسفراييني قال الخطيب : سكن بغداد وحدث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا يسكن قطيعة الربيع . توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

أبو الحسين البصري المعتزلي

محمد بن علي بن الخطيب ، أبو الحسين البصري المتكلم ، شيخ المعتزلة والمنتصر لهم ، والحامى

عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة ، توفي في ربيع الآخر منها ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري ، ودفن في الشونيزي ، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد ، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه : حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرئ على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي ، بالبصرة وأنا أسمع ، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجى وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي والغلابي والمازني والزريني قالوا : حدثنا القعنبى عن شعبة عن منصور عن ربيع عن أبي مسعود البدرى . قال قال رسول الله (س) : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . والغلابي اسمه محمد ، والمازني اسمه محمد بن حامد ، والزريني أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصرى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

فيها بعث السلطان ظفر بك السلجوق أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فلكها ، وأخرج عنها صاحبها كرشاف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فلكها أيضاً ، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك ، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم فلك حلوان قهرا ، وأحرق داره وغنم أمواله ، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه ، فلم يمكنه ذلك لقلّة الظهر ، وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخليل فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فارس ، بحيث جافت بغداد من جيف الخليل . وفيها وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العتيقة ، التي لهم ، واتفق موت رجل من أكار النصارى بواسطة مجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جبرا ، ومعها طائفة من الأتراك بحرسونها ، فحملت عليهم العامة فهزمومهم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ، ورموا رماده في دجلة ، وعضوا إلى الدبر فهبوه ، وعجز الأتراك عن دفنهم . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق ومن توفي فيها من الأعيان . فارس بن محمد بن عتاز

صاحب الدينور وغيرهم ، توفي في هذا الأوان .

خديجة بنت موسى

ابن عبد الله الواعظة ، وتعرف ببنت البقال ، وتكنى أم سلمة ، قال الخطيب : كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة .

أحمد بن يوسف السليكي المنازي

الشاعر الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميفارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد في الترس إلى القسطنطينية غير مرة ، وحصل كتباً عزيزة أوقفها على جامعى آمد

وميفارقين ، ودخل يوما على أبي العلاء المرعي فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتركت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة يا قاضي ؟ قال : نعم . وله ديوان قليل النظير عزيز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها . ومن شعره في وادي نزاعة .

وقانا لفةحة الرضاءِ وادٍ * وقاه مضاعفُ النبتِ العميمِ
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنوا المرضعاتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظلمة زلالاً * ألز من المدامة للنديمِ
براعى الشمسِ أنى قابلته * فيحجبها ليأذن للنسيمِ
تروغ حصاة حالية المذاري * فتلمس جانب المقدر النظيمِ

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بدیعة في بابها .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

استهلت هذه السنة والموتان كثير في الدواب جدا ، حتى جافت بغداد قال ابن الجوزي : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لاجل دوابهم فيسقونها ماء الشير ويطيبونها . وفيها حاصر السلطان بن طغرل بك أصبهان فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه ، وأن يخطب له بها ، فأجابوه إلى ذلك . وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور . وفيها تأمر على بني خفاجة رجل يقال له رجب بن أبي منيع بن شمال ، بعد وفاة بدران بن سلطان بن شمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام ، فلا جزاهم الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان .

الشيخ أبو محمد الجويني

إمام الشافعية : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجويني ، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها سنابس ، وجوين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وتفقه بابي الطيب سهل ابن محمد الصملاوكي ، ثم خرج إلى مرو إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال ، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيبا لا يجرى بين يديه إلا الجدد ، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم وكان زاهدا شديد الاحتياط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين . وقد ذكرته في طبقات الشافعية وذكرت مقاله الأئمة في مدحه ، توفي في ذي القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم ، وله في الفقه التبصرة والتذكرة ، وصنف مختصر المختصر ، والفرق والجمع ، والسلسلة وغير ذلك ، وكان إماما في الفقه والاصول والأدب والعربية . توفي في هذه السنة ، وقيل سنة أربع وثلاثين . قاله السمعاني في الانساب ، وهو في سن الكهولة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها اصطلح الملك طغرلبيك وأبو كاليجار ، وتزوج طغرلبيك بابنته ، وتزوج أبو منصور بن كاليجار ، بابنة الملك داود أخي طغرلبيك . وفيها أسرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك وأحضروه بين يدي أميرهم ينال ، فأمر بقلع إحدى عينيه . وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه . وفيها ظهر رجل يقال له الأصغر التغلي ، وادعى أنه من المذكورين في الكتب ، فاستفوى خلقا ، وقصد بلادا فغنم منها أموالا تقوى بها ، وعظم أمره . ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر ، فاعتقله وسد عليه باب السجن . وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة ، بسبب جيف الدواب التي ماتت ، فمات فيها خلق كثير ، حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة ، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا . وفيها وقع غلاء شديد أيضاً ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد ، قتل فيها خلق كثير . ولم يهج فيها أحد من ركب العراق ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو الفضل القاضي الهاشمي ، الرشيدى ، من ولد الرشيد ، ولى القضاء بسجستان ، وسمع الحديث من الفطريفي . قال الخطيب : أنشدني لنفسه قوله :

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف * عدل وذو الانصاف ليس بجور
فأجبتهم إني سلاة مشر * لهم لواء في الندى منشور
تالله إني شائد ما قدموا * جدى الرشيد وقبله المنصور

عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالمطرز ، ومن شعره قوله

يا عبدكم لك من ذنب ومصيبة * إن كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به * ووقمة لك يدي القلب ذكراها
إذا عرضت على قلبي تذكراها * وساء ظني فقلت استغفر الله

محمد بن الحسن بن علي

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير ، وزر للملك جلال الدولة ست مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن موسى

أبو عبد الله الواعظ الشيرازي ، قال الخطيب : قدم ببغداد وأظهر الزهد والتشف والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنه بعد حين كان

يمرض عليه الشيء فيقبله ، فكثرت أمواله ، ولبس الثياب الناعمة ، وجرت له أمور ، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير ، فمسكر بظاهر البلد ، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان ، فالتف عليه خاق كثير ، وضاهأ أمير تلك الناحية ، وكانت وفاته هناك في هذه السنة . قال الخطيب : وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه ، وأنشد هو لبعضهم :

إذا ما أطمعت النفس في كل لذة * نسبت إلى غير الحجي والتكرم

إذا ما أجبته الناس في كل دعوة * دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

المظفر بن الحسين

ابن عمر بن برهان ، أبو الحسن الغزال ، سمع محمد بن المظفر وغيره ، وكان صدوقاً .

محمد بن علي بن إبراهيم

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر ، من شعره قوله :

ما حكم الحب فهو ممتلئ * وما جناه الحبيب محتمل

يهوى ويشكو الضنى وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بعمرة النعمان فامتدحه أبوالملاء المعري بأبيات ، فأجابه مرتجلاً عنها . وقد كان حسن العيين حين سافر ، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى . توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فأنه أعلم .

الشيخ أبو علي السنجي

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه ، أخذ عن أبي بكر القفال ، وشرح الفروع لابن الحداد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري ، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لابن القاص ، شرحاً كبيراً ، وله كتاب المجموع ، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط . قال ابن خلكان : وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين . توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة . ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة .

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليبج في جمادى الأولى منها ، صاحب بغداد ، مرض وهو في برية ، ففصد في يوم ثلاث مرات ، وحمل في محفة فمات ليلة الخميس ، ونهبت الغلمان الخزائن ، وأحرق الجوارى الخليام ، سوى الخليفة التي هو فيها ، وولى بدمه ابنه أبو نصر ، وصموه الملك الرحيم ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع ، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء ، ووصاه الخليفة ، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه . وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثني عشر

ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر باباً . وفيها غزا إبراهيم ابن نبال بلاد الروم ففتم مائة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل تسع عشرة ألف درع ، ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً ، وحمل ماغثم على عشرة آلاف عجلة . وفيها خطب لذكيرة الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، على المنابر بولاية المهدي بعد أبيه ، وحي بذلك . وفيها اقتتل الروافض والسنة ، وجرت ببغداد قتل يطول ذكرها . ولم يحج أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان **الحسن بن عيسى بن المقtedir**

أبو محمد العباسي ، ولد في المحرم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري ، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب ، وكان فاضلاً ديناً ، حافظاً لأخبار الخلفاء ، عالماً بأيام الناس صالحاً ، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها ، وآثر بها القادر . توفي فيها عن سبع وتسعين سنة . وأوصى أن يدفن بباب حرب ، فدفن قريباً من قبر الامام أحمد بن حنبل .

هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ، سمع من أبي بكر بن ملك ، وابن ماسي والبرقاني . قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقاً ، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي في ربيع الآخر

منها ، ودفن بباب حرب **علي بن الحسن**

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم ، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق . قال الخطيب : سمع القطيعي وغيره ، وكان شيخاً صالحاً ، صدوقاً ديناً ، حسن المذهب .

محمد بن جعفر بن أبي الفرج

الوزير الملقب بندي السماعات ، وزر لأبي كالجبار بقارس وبغداد ، وكان ذا مردودة غزيرة ، مليح الشعر والترسل ، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فكتب إليه الموصي ، وقيل غيره : إن فلاناً قد مات وخلف ولداً عمره ثمانية أشهر ، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فإن رأى الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل . فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله ، واليقيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لئنه الله ، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام . اعتقل ثم قتل في رمضان منها ، عن إحدى وخمسين سنة .

محمد بن أحمد بن إبراهيم

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حلیم بن غيلان ، أخو طالب البزار ، يروي عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي ، كان صدوقاً ديناً صالحاً ، قوى النفس على كبر السن ، كان يملك ألف دينار ، وكان يصبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردّها إلى موضعها ، وقد خرج له

الدارقطني الأجزاء الفيلانيات ، وهي سماعنا . توفي يوم الاثنين سادس شوال منها عن أربع وتسعين سنة ، ويقال إنه بلغ المائة فآله أعلم . الملك أبو كاليجار

واسمه المرزبان بن ساطان الدولة بن بهاء الدولة ، توفي عن أربعين سنة وأشهر ، ولى العراق نحواً من أربع سنين ، ونهبت له قلعة كان له فيها من المال ما يزيد على ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

في عاشر المحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح ، فجزى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد ، من الجراح والقتل ، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلائين ، ثم نقض كل من الفريقين أبنيتهم ، وحملوا الآجر إلى مواضع بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك ، وسخف لا تنحصر ولا تنضب ، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة . وثلبهم ، فآله وإنا إليه راجعون . ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها ، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً . وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرل بك وبين أخيه ، فجمع أخوه جموعاً كثيرة فاقتتل هو وأخوه طغرل بك ، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها ، بعد محاصرة أربعة أيام ، فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عنده مكرماً ، وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم بن نبال ، وبذل له مالا كثيراً ، فبغضه إليه مكرماً من غير عوض ، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية ، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة ، وخطب فيه لذلك طغرل بك ، فبلغ هذا الأمر المعجيب سائر الملوك فعظموا الملك طغرل بك تعظيماً زائداً ، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة . وفيها ولى مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً ، فسكت أياماً ثم عدل عنه إلى عمه علي بن مسعود ، وهذا أمر غريب جداً . وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها نعال بن صالح بن مرداس . وفيها كان بين البساسيري وبين بن عقيل حرب . وفيها ملك البساسيري الأتبار من يدقرواش فأصلح أمورهما . وفي شعبان منها سار البساسير إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها ، وغنم مالا كثيراً كان فيها ، وقد كان سعدى بن أبي الشوك قد حصنها ، قال ابن الجوزي : في ذى الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء فزادت على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة ، فانزعج الناس وخافوا وأخذوا في الداء والتضرع ، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت قد هبت ربح شديدة جداً قبل ذلك ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة . ولم ينج أحد من أهل العراق .

وفيهما توفى من الأعيان . أحمد بن محمد بن منصور
 أبو الحسن المعروف بالمتيق ، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقا ، سمع من ابن شاهين وغيره ،
 وكان صدوقا . توفى في صفر منها وقد جاوز التسعين .

علي بن الحصن

أبو القاسم العلوي ويعرف بابن محي السنة . قال الخطيب : سمع من ابن مظفر وكتب عنه ، وكان
 صدوقا ديننا حسن الاعتقاد ، يورق بالأجرة ويأكل منه ، ويتصدق . توفى في رجب منها وقد جاوز
 الثمانين . عبد الوهاب بن القاضي الماوردي

يكنى أبا الفار شهيد عند ابن ما كولا في سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراماً لأبيه ،
 توفى في الحرم منها . الحافظ أبو عبد الله الصوري

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ ، طلب الحديث بعد ما كثر
 وأسن ، ورحل في طلبه إلى الآفاق ، وكتب الكثير وروى واستفاد على الحافظ عبد الغنى المصري ،
 وكتب عن عبد الغنى شيئا من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث ، همه في الطلب وهو شاب
 ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمته في حال كبره ، كان يسرد الصوم لإيومي العبيدين
 وأيام التشريق ، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وكان يكتب
 بالأخرى المجلد في جزء . قال أبو الحسن الطيوري : يقال إن عامة كتب الخطيب سوى التاريخ
 مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري ، كان قدمات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند
 أخيه ، فلما صار الخطيب أعطا أخاه شيئا وأخذ بعض تلك الكتب فحوها في كتبه ، ومن شعره :

تولى الشبابَ بريمانه * وأنى المشيبَ بأحزانه
 قلبي لفقدانِ ذا مؤلم * كتيبٌ لهذا ووجدانه
 وإنْ كانَ ماجارَ في حكمه * ولا جاءَ في غيرِ إيانه
 ولكنْ أتى مؤذناً بالرحمة * لـ فويلي من قربِ إيدانه
 ولولا ذنوبٌ تحملتها * لما راعى إتيانه
 ولكن ظهري ثقيلٌ بما * جناهُ شبابي بطغيانه
 فن كانَ يبكي شباباً مضى * ويندبُ طيبَ زمانه
 فليسَ بكأني وما قد ترو * نَ مني لوحشةِ فقدانه
 ولكن لما كان قد جره * على بوئباتِ شيطانه
 فويلي وويلي إن لم يجد * على مليكي برضوانه

ولم يتغمّد ذنوبى وما قد * جنيت برحمته وغرانه
ويجمل مصيرى إلى جنة * يحمل بها أهل رضوانه وغفرانه
فان كنتُ مالى من طاعة * سوى حسن ظنى باحسانه
وإنى مقرّ بتوحيده * عليمّ بعزّة سلطانه
أخالف فى ذلك أهل الهوى * وأهل الفسوق وعدوانه
وأرجو به الفوز فى منزل * ممدّد مهياً لسكّانه
وان يجمع الله أهل الجحوى * د ومن أقرّ بنيرانه
فهذا ينجيهِ إيمانه * وهذا يوهى بخسرانه
وهذا نعم فى جنة * وذاك قرين لشيطانه
ومن شعره أيضاً :

قل لمن عاند الحديث وأضحى * عائباً أهله ومن يدعيه
أبلم تقول هذا ابن لى * أم يجهل فاجهل خلق السفيه
أيما الذين هم حفظوا الد * ين من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه * راجع كل عالم وفقه

كان سبب موته أنه افتصد فورمت يده ، وعلى ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره
فغاط ففصده بها ، فكانت فيها منيته ، فحمل إلى المارستان فمات به ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ،
وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

فيها فتح السلطان طغرل بك أصبهان بعد حصار سنة ، فنقل إليها حواصله من الرى وجعلها دار
إقامته ، وخرّب قطعة من سورها ، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وإنما حصننى عساكرى
وسيفى ، وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كلويه ، فأخرجه منها وأقطعته
بعض بلادها . وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس . وفيها استولت الخوارج على
عمان وأخرّبوا دار الامارة ، وأسروا أبى المظفر بن أبى كاليبجار . وفيها دخلت العرب بأذن المستنصر
الفاطى بلاد إفريقية ، وجرت بينهم وبين المزمز بن باديس حروب طويلة ، وعاتوا فى الأرض فسادا
عدة سنين . وفيها اصطاح الروافض والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين ،
وترضوا فى الكرخ على الصحابة كلهم ، وترحموا عليهم ، وهذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب
التقية ، ورخصت الأسعار ببغداد جدا . ولم يمح أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . علي بن عمر بن الحسن

أبو الحسن الحربى المعروف بالقزوينى ، ولد فى مستهل المحرم فى سنة ستين وثلثمائة ، وهى الليلة التى مات فيها أبو بكر الأجرى ، وضع أبو بكر بن شاذان وأبا حفص بن حيويه ، وكان وافر العقل ، من كبار عباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، وكان يقرأ القرآن ويروى الحديث ، ولا يخرج إلا إلى الصلاة . توفي فى شوال منها . فغلقت بغداد لموته يومئذ ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً مشهوداً رحمه الله .

عمر بن ثابت

الثمانينى النحوى الضربى . شارح اللع ، كان فى غاية العلم بالنحو ، وكان يأخذ عليه . وذكر ابن خلكان أنه اشتغل على ابن جنى ، وشرح كلامه ، وكان ماهراً فى صناعة النحو ، قال ونسبته إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودى ، يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى السفينة .

قرواش بن مقلد

أبو المنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرها ، كان من الجبارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر فى بعض الأحيان فاستماله إليه ، فخطب له ببلاده ثم تركه ، واعتذر إلى الخليفة فغدره ، وقد جمع هذا الجبار بين أختين فى النكاح ، ولأمته العرب ، فقال : وأى شئ عملته ؟ إنما عملت ما هو مباح فى الشريعة ^(١) وقد نكب فى أيام المعز الفاطمى ونهبت حواصله ، وحين توفي قام بالأمر بعده ابن أخيه قریش بن بدران بن مقلد .

مودود بن مسعود

ابن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة : توفي فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

فى صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر . فأنكرت السنة إقران على مع محمد (س) ، فى هذا ، فنشبت الحرب بينهم ، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول ، فقتل رجل هاشمى فدفن عند الامام أحمد ، ورجع السنة من دفنه فتهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد ، وقبور بنى بويه ، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور ، ومحمد الأمين ، وأمه زبيدة ، وقبور كثيرة جداً ، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود ، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة ، وبعثوا قبوراً قديمة ، وأحرقوا من فيها من الصالحين ، حتى هموا بقبر الامام أحمد ، فمنهم النقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسلط على الرافضة عيار يقال له القطيعى ، وكان يتبع رؤسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة ، وعظمت المحنة بسببه جداً ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان فى غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك دبب بن

(١) وفى النجوم الزاهرة « خبرونى ، ما الذى نستعمله مما تبيحه الشريعة ؟ فهذا من ذلك » .

علي بن مزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة ، ثم رُوسل فأعادها . وفي رمضان منها جاءت من الملك طفرليك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألثي دينار ، وقد كان طفرليك حين عمر الري وخرّب فيها أماكن وجد فيها دنانير كثيرة من الذهب والجوهر ، فعظم شأنه بذلك ، وقوى ملكه بسببه .

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن محمد بن أحمد

أبو الحسن الشاعر البصري ، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصري باسم المدينة التي هي أم حوران ، وقد سكن بغداد ، وكان متكلماً مطبوعاً ، له نوادر ، ومن شعره قوله :

نرى الدنيا وشهوتها فنصبوا * وما يخلو من الشهواتِ قلبُ
فلا يفرركُ زخرفُ ما تراهُ * وعيشُ ليلِ الاعطافِ رطبُ
فضولُ العيشِ أكثرها هومٌ * وأكثرُ ما يضرُكُ ما تحبُ
إذا ما بلفه جاءتكُ عفواً * نغذها فالغنى مرعى وشربُ
إذا اتفقَ القليلُ وفيه سلمٌ * فلا تُردُ الكثيرُ وفيه حربُ

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أدعياء كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله (س.) ، نسجاً كثيرة ، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشراف . وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد ، تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرقات القصور ، وحكى بعض من يعند قوله أنه انفرج إبانته وهو يشاهد ذلك ، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير . وفي ذى القعدة منها تجددت الحرب بين أهل السنة والرافض ، وأحرقوا أماكن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلائق ، وكتبوا على مساجدهم : محمد وعلى خير البشر ، وأذنوا بحج على خير العمل ، واستمرت الحرب بينهم ، وتساط القطيبي العيار على الرافض ، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار ، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفي من الأعيان . الحسن بن علي

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شنبل بن قرّة بن واقد ، أبو علي التميمي الواعظ ، المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع مسند الامام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيبي عن عبد الله بن الامام أحمد ، عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق ، وكان ديناً خيراً ، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيبي

غير أنه ألقى اسمه في أجزاء . قال ابن الجوزي : وليس هذا بقدر في سماعه ، لأنه إذا نحتق سماعه جاز أن يباحق اسمه فيما نحتق سماعه له ، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

علي بن الحسين

ابن محمد ، أبو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي ، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وعمه علي أهلها ، وعمل أشياء من الخيل يوم بها أنه من ذوى الأحوال والمكاشفات ، وهو في ذلك كاذب قبحه الله وقبح عمه ، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاً قرمطياً ، توفي في هذا العام فله الحمد والشكر والانعام .

القاضي أبو جعفر

محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السمناني القاضي ، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، كان عالماً فاضلاً سخياً ، تولى القضاء بالموصل ، وكان له في داره مجلس المناظرة ، وتوفي لما كف بصره بالموصل وهو قاضها ، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ، سماحه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين السنة والرافض ، وسرى الأمر وتفاقم الحال . وفيها وردت الأخبار بأن المزمع الفاطمي عازم على قصد العراق . وفيها نقل إلى الملك طغرل بك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكنا وكذا ، وذكر بشيء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة ، فأمر بابعنه ، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك ، فضيغ أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك ، وصنف رسالة في شكايه أهل السنة لما نالهم من المحنة ، واستدعى السلطان جماعة من رؤس الأشاعرة منهم القشيري فسألهم عما أنهى إليه من ذلك . فأنكروا ذلك ، وأن يكون الأشعري قال ذلك . فقال السلطان : نحن إنما لعنا من يقول هذا . وجرت فتنة عظيمة طويلة . وفيها استولى فولاً بسور الملك أبي كاليجار على شيراز ، وأخرج منها أخاه أبا ساعد ، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد وأعراب أفسدوا في الأرض قهرهم وأخذواهم . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان أحمد بن عمر بن روح

أبو الحسن النهر واني ، كان ينظر في الميار بدار الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شاطئ النهر وان ، فسمعت رجلاً يتغنى في سفينة منحدره يقول :

وما طلبوا سوى قتلى * فهان علي ما طلبوا

قال فاستوقفته وقلت : أضف إليه غيره فقال :

علي قتلى الأجب * في التماذي ، بالجفا غلبوا

وبالمهجران من عيني * طيب النوم قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلي * فهان علي ما طلبوا

اسماعيل بن علي

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه ، أبو سعيد الرازي ، المعروف بالسمان ، شيخ المعتزلة ، سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ ، وكان عالماً عارفاً فاضلاً مع اعتزاله ، ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الاسلام ، وكان حنفي المذهب ، عالماً بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه .

عمر بن الشيخ أبي طالب المكي

محمد بن علي بن عطية ، سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقاً يكنى بأبي جعفر .

محمد بن أحمد

ابن عثمان بن الفرج الأزهر ، أبو طالب المعروف بابن السوادى ، وهو أخو أبي القاسم الأزهرى توفى عن نيف وثمانين سنة .

محمد بن أبي تمام

الزيبى تقيب النقباء ، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها غزا السلطان طغرل بك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فنقم من بلاد الروم وسبي وعمل أشياء حسنة ، ثم عاد سالماً فأقام بأذربيجان سنة . وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار ، وخطب بها وبالموصل لطغرل بك ، وأخرج منها نواب البساسيري . وفيها دخل البساسيري بغداد مع بنى خفاجة منصرفه من الوقعة ، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة ، فراسله الخليفة لتطيب نفسه ، وخرج في ذى الحجة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه ديبس بن علي بن مزيد ، وخرّب أماكن وحرّق غيرها ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت النبوة ليخام عليه ، فجاء إلى أن حاذى بيت النبوة قبل الأرض وانصرف إلى منزله ، ولم يعبر ، فقويت الوحشة . ولم يمض أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفى فيها من الأعيان . الحسين بن جعفر بن محمد

ابن داود ، أبو عبد الله السلماسي ، سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطني ، وكان ثقة مأموناً مشهوراً باصطناع المعروف ، وفعل الخير ، وافتقار الفقراء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على الشهادة فأبى ذلك ، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله .

عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن

أبو عبدالله الأصهباني ، المعروف بابن اللبان ، أحد تلامذة أبي حامد الاسفرايني ، ولى قضاء الكرخ ، وكان يصلى بالناس التراويح ، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصلى إلى أن يطلع الفجر ، وربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع إلى الأرض رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها ملك طغرل بك بغداد ، وهو أول ملوك السلجوقية ، ملكها وبلاد العراق . وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيري ، واشتكت الأتراك منه ، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه ، وذكر قبيح أفعاله ، وأنه كاتب المصريين بالطاعة ، وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين ، وقال الخليفة وليس إلا إهلاكه . وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على العادة ، فاقتتلوا قتالا مستمرا ، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين . وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة ، أقوى جانب الحنابلة قوة عظيمة ، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات .

قال الخطيب : كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل ، لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك ، واستولى على البلاد وطار اسمه ، وخافته أمراء العرب والعجم ، ودعى له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها ، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه ، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة ، وأنه يريد القبض على الخليفة ، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بطغرل بك يستنهضه على المسير إلى العراق ، فانفض أكثر من كان مع البساسيري وعادوا إلى بغداد سريعا ، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي فأحرقوها ، وهدموا أبنيتها ، ووصل السلطان طغرل بك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين ، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب ، ودخل بغداد في أهبة عظيمة جدا ، وخطب له بها ثم بعده الملك الرحيم ، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم ، ورفع إلى القامةمتنلا عليه ، وكان آخر ملوك بني بويه ، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشرين سنين ، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام ، ونزل طغرل بك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها ، ونزل أصحابه دور الأتراك وكان معه ثمانية أفيلة ، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعلامة ، ونهب الجانب الشرقي بكمله ، وجرت خطبة عظيمة . وأما البساسيري فانه فر من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق ، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها ، ليكون على أهبة الأمر الذي يريد .

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة ، وخلع عليه به ، وذلك بعد موت ابن ما كولا ، ثم خلع الخليفة علي الملك طفرل بك بعد دخوله بغداد بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه اللباب والبوقات .

وفي هذا الشهر توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو ولي عهد أبيه فعظمت الرزية به . وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن ، وخطب للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين . وفيها كثر فساد الغز ونهبوا دواب الناس حتى يبيع النور بمخمسة قراريط . وفيها اشتد الفلاء بمكة وعمدت الأتوات ، وأرسل الله عليهم جرادا فتعضوا به عن الطعام . ولم ينج أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان **المحسن بن علي**

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضي القضاة ، المعروف بابن ما كولا الشافعي ، وقد ولي القضاء بالبصرة ، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المنتدر ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها في القضاء سبع وعشرون سنة ، وكان صينادينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده ، وله شعر حسن فنه :

تصابى برهةً من بعد شيبٍ * فما أغنى المشيبَ عن التصابي
وسودَ عارضيه بلونِ خضبٍ * فلم ينفعه تسويدُ الخضبِ
وأبدى للأحبة كلَ لطفٍ * فإزادوا سوى فرطِ اجتنابِ
سلامَ اللهِ عوداً بعد بدئٍ * على أيامِ ريعانِ الشبابِ
تولى عزمه يوماً وأبقى * بقلبي حسرةً ثم اكتتابِ

علي بن المحسن بن علي

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي ، قال ابن الجوزي : وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، ونحالفوا على التناصر والتآزر ، فسما تنوخاً . ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكام في حدائته ، وولى القضاء بالمدائن وغيرها ، وكان صدوقاً محتاطاً ، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

في يوم الخميس ثمان بقين من المحرم عقد الخليفة علي خديجة بنت أخي السلطان طفرل بك على صدق مائة ألف دينار ، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندري ، وزير طفرل بك ، وبقية الملويين

وقاضى القضاة الدامغانى والموردى ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة . فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرل بك وقال له : أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها] وقد أمرنى أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس ، فجمعت معها وفى خاتمها الوزير عميد الملك والحشم ، فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والاحسان إليها ، فلما دخلت إليه قبلت الأرض مراراً بين يديه ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلعاً سنياً وقاجاً من جوهر نمين ، وأعطاه من القدمائة ثوب ديباجاً ، وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجواهر والياقوت والفير وزج ، وأقطعها فى كل سنة من ضياعه ما يقل اثنا عشر ألف دينار ، وغير ذلك . وفيها أمر السلطان طغرل بك ببناء دار الملك المضدية فخرت بحال كثيرة فى عمارتها ، ونهبت العامة أخشاباً كثيرة من دور الأتراك ، والجانب الغربى ، وباعوه على الخبازين والطباخين ، وغيرهم .

وفيهارجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغيز غسل ولا تكفين ، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيراً ، واعتري الناس موت كثير ، واغبر الجو وفسد الهواء . قال ابن الجوزى : وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجيال والدنيا كلها . هذا لفظه فى المنتظم . قال : وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب التى كورها ليأخذها فلم يمل .

وفيه أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود فى الكرخ ، فانزعج أهلها لذلك ، وكان كثير الأذى للرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندرى ، وزير طغرل بك . وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحى ، فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس فى الأسواق وغيرها إلى السرج . قال ابن الجوزى : وفى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها فى رأى العين نحو من عشرة أذرع ، وفى عرض نحو الذراع ، ولبث كذلك إلى النصف من رجب ، ثم اضمحل . وذكروا أنه طلع مثله بمصر فلكت وخطب بها للمصريين . وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكك وخطب بها للمصريين . وفيها أزم الرافض بترك الأذان بحى على خير العمل ، وأمروا أن ينادى مؤذنين فى أذان الصبح ، بمدحى على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلى خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ، ينشدون بالتصائد التى فيها مدح الصحابة ، وذلك أن نوه الرافضة اضمحل ، لأن بنى بويه كانوا حكاما ، وكانوا يقرونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا ، وذهبت دولتهم ، وجاء بعدهم قوم آخرون

من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم و يرفعون قدرهم ، والله الحمود ، أبناً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبي عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه ، فقتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره .

وفيهما جاء البساسيري قبحة الله إلى الموصل ومعه نور الدولة ديبس ، في جيش كثيف ، فاقتتل مع صاحبها قریش ونصره قتلش بن عم طفرلبك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزهما البساسيري ، وأخذ البلاد قهراً ، فخطب بها للمصريين ، وأخرج كاتبه من السجن ، وقد كان أظهر الاسلام ظناً منه أنه ينفعه ، فلم ينفعه فقتل ، وكذلك خطب للمصريين فيها بالسكوفة وواسط وغيرها من البلاد . وعزم طفرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فنهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار ، فلم يقبل فخرج بجيشه فاصدا الموصل بمجافل عظيمة ، ومعه الفيلة والمنجنيقات ، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى ، وربما سطوا على بعض الحرمين ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهيه عن ذلك ، فبعث إليه يمتدركثرة من معه ، واتفق أنه رأى رسول الله (س) في المنام فسلم عليه فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله لأى شئ تعرض عنى ؟ فقال : يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل . فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادى في الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحد أحدا . ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً ، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أما كن كثيرة هناك .

وفيهما ظهرت دولة الملتمين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأول ملوك الملتمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر ، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفى سنة ثنتين وستين كما سيأتى بيانه ، ثم ولى بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين ، وتلقب بأمر المؤمنين ، وقوى أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب . وفيها أزم أهل الذمة بلبس الفيار ببغداد ، عن أمر السلطان . وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله . وفيها كان الغلاء والفناء أيضاً مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم ينجح أحد من أهل العراق فيها .

وفيهما توفى من الأعيان **علي بن أحمد بن علي بن سلك**

أبو الحسن المؤدب ، المعروف بالفالي^(١) ، صاحب الأمالي ، وقالة قرية قريبة من إيندج ، أقام

(١) لان صاحب الامالى اسمه أبو علي اسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦ هـ فجملة صاحب الامالى

خطأ بلا شك وانما هو الفالي بالفاء كما في النجوم الزاهرة .

بالصرة مدة ، وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل . ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالسُ أوجهاً * غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأولي * كانوا ولاةً صدورها وفنائها
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما الخيام فاتها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نساءها
ومن شعره أيضاً : تصدّر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقير المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ

الفتية الشافعي ، وليس بصاحب الشامل ، ذلك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة ، وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي قبله ، وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل القدر .

هلال بن المحسن

ابن إبراهيم بن هلال ، أبو الخير الكاتب الصابي ، صاحب التاريخ ، وجده أبو إسحاق الصابي صاحب الرسائل ، وكان أبوه صابئياً أيضاً ، أسلم هلال هذا متأخراً ، وحسن إسلامه ، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب ، فلما أسلم نفعه ذلك ، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي : بسنده مطولاً ، أنه رأى رسول الله (ص) ، في المنام مراراً يدعوهُ إلى الله عز وجل ، ويأمره بالدخول في الإسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة ، فنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر ، فسمه محمداً ، فولدت ذكراً ، فسماه محمداً ، وكناه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً . توفي عن تسعين سنة ، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المار في الطريق لا يلتقي الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة نخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية

في الأتون وأكلها ، فقيل وسقط طأرميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقسموه وأكلوه ، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصى من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف ، وخمسة آلاف وخمسين ألف إنسان ، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يبرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية ، وأبوابا مغلقة ، ووحشة وعدم أنس . حكاه ابن الجوزي . قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا المدد اليسير جدا . قال : ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها ، حتى طبق البلاد ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات ونجيزهم ودقهم ، فكان يحفر الحنير فيدفن فيه المشرون والثلاثون ، وكان الانسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة ، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الانسان من وقته ، وقاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم ، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدرام والثياب فيقول : أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي ، فلا يجد ذلك ، وأراق الناس الخور وكسروا آلات اللهو ، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن ، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ، ودخل على مريض له سبعة أيام في الترع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة ، ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم ، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها ، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حتى ، بل ماتوا جميعا . وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه ، فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ، ولما اصطلح السلطان ديبس بن علي رجوع إلى بلاده فوجدها خرابا لقلة أهلها من الطاعون ، فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة قتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطعة عيسى وسوق الطعام والكنيس ، وأصحاب السقط وباب الشمير ، وسوق المطارين وسوق المروس والانتماطين والخشابين والجزارين والتارين ، والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباعين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والفناء والفناء ، ضعف الناس حتى طفت النار فعملت أعمالها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها كثر العيارون ببغداد ، وأخذوا الأموال جهارا ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة ، وأحرقت كتبه ومآثره ، ودقاره التي كان يستعملها في ضلالتة وبدعته ، ويدعو إليها أهل

ملته ونحلته ، والله الحمد . وفيها دخل الملك طفر بلك بغداداً عادياً إليها من الموصل فتلقاه الناس والكبراء إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجواهر فلبسها ، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرسا من سراكب الخليفة ، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة النبوية ، ويده القضيب ، فقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة ، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفعلك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فاتق الله فيما ولاك ، واجتهد في عمارة البلاد وإصلاح المباد ونشر العدل ، وكف الظلم ، ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبيده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلتى له واستخدمني فيه ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق . ثم أمره الخليفة أن ينهض للبس الخلعة فقام إلى بيت في ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع وناج ، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة ، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التناج ، فأخرج الخليفة سييفا فقلده إياه وخوطف بملك الشرق والغرب ، وأحضرت ثلاثة ألوية فمقد منها الخليفة لواء بيده ، وأحضر العهد إلى الملك ، وقرئ بين يديه بمحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل في الرعية ، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عينيه ، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكامله ، وجاء الناس للسلام عليه ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاما أتراكا ، براكبهم وسلاحهم ومناطقهم ، وخمسمائة ثوب أنواعا ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة قماش وغير ذلك .

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازري ، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير قهبا حنфия ، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرهين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثنى عليه ويمدحه .
ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن عبدالله بن سليمان

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعري التنوخي الشاعر ، المشهور بالزندقة ، اللاعوى ، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدري وله أربع سنين أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة ، ودخل

بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها ليريدا مهزماً ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فإلنا إلا السكوت له * وأن نعوذُ بولانا من النارِ

يدَ بخمس مئينِ عسجدٍ وديتُ * ما بالها قطعُت في ربعِ دينارِ

وهذا من إفكك يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فالكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقه فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتضان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت نمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت . ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه . وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه ، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للتنبي إلا قصيدته التي أولها * لك يا منازل في القلوب منازل * لكفاه ذلك . فغضب الخليفة وأمر به فسحب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عنى هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذكره لها ؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتتكَ منمتى من ناقصٍ * فهى الدليلُ على أنى كالمِ

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا من فرط ذكاه الخليفة ، حيث تنبه لهذا . وقد كان المرعى أيضاً من الأذكياء ، ومكث المرعى خمساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض ، ولا شيئاً من حيوان ، على طريقة البراهمة الفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده ، فشكك في دين الاسلام ، وكان يتقوت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان يأكل المدس ويتحلى بالدبس والبالنين ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول : أكل الاعمى عورة ، وكان في غاية الذكاه المفرط ، على ما ذكره ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهم فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم ، أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذى وضع تحته ، فهذا لا أصل له . وكذلك يذكرون عنه أنه مر في بعض أسفاره بمكان فطأ رأسه فقيل له في ذلك فقال : أما هنا شجرة ؟ قالوا : لا ، فنظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذى طأ رأسه فيه ، وقد قطعت ، وكان قد اجتازها قدماً مرة فأمره من كان معه عطأ رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شئ منها ، فهذا

لا يصح . وقد كان ذكياً ، ولم يكن زكياً ، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته ، وأنحلاله من الدين ، ومن الناس من يمتدح عنه ويقول : إنه إنما كان يقول ذلك مجوناً ولعباً ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان باطنه مسلماً . قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذي ألبأه أن يقول في دار الاسلام ما يكفره به الناس ؟ قال : والمنافقون مع قلة عقلمهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه ، والله يعلم أن ظاهره كباطنه . قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته . قال : وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم مالا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الاسلام أشياء كثيرة فن ذلك قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ * وترزق مجنوناً وترزق أحقماً
فلا ذنب يارب السماء على امرئ * رأى منك مالا يشتهي قزندقا
وقوله ألا إن البرية في ضلالٍ * وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحى أناه * وقال الناظرون بل افتراها
وما حجيتي إلى أحجار بيتٍ * كروس الحجر تشرف في ذراها
إذا رجعت الحليم إلى حجاجه * تهاون بالمذاهب وازدراها
وقوله عفت الخنيفة والنصارى اهتدت * ويهود جارت والمجوس مضلة
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا * دين وآخر ذودين ولا عقل له
وقوله فلا تحسب مقال الرسل حقاً * ولكن قول زور سطره
فكان الناس في عيش رغيدٍ * فجاؤا بالمحال فكدره
وقلت أنا معارضة عليه :

فلا تحسب مقال الرسل زوراً * ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهلٍ عظيمٍ * فجاؤا بالبيانر فأوضحوه
وقوله إن الشرائع ألفت بيننا إحناً * وأوردتنا أفانين العداوات
وهل أيسح نساء الروم عن عرضٍ * للعرب إلا باحكام النبوات
وقوله وما حمدي لآدم أو بنيه * وأشهد أن كلهم خسيس

- وقوله أفيقوا أفيقوا ياغواةً فانما * دياناتكم مكرًا من القسما
 وقوله صرفُ الزمانِ مفرقُ الالفينِ * فاحكمِ إلهي بينَ ذلكِ وبيني
 نهيتُ عن قتلِ النفوسِ تَعمداً * وبعثتُ تقبضها مع الملكينِ
 وزعمتُ أن لها مَعداً ثانياً * ما كانَ أغناها عن الحالينِ
 وقوله ضحكنا وكان الضحكُ مناسفاهاً * وحقُّ لسكانِ البسيطةِ أن يبكوا
 نخطمنا الأيامُ حتى كأننا * زجاجٌ ولكن لا يعودُ له سبكُ
 وقوله أمورٌ تستخفُّ بها حلومٌ * وما يدرى الفقى لمن الثبورُ
 كتابُ محمدٍ وكتابُ موسى * وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزبورُ
 قالتُ معاشرُ لم يبعثُ إلهكمُ * إلى البريةِ عيساهوا ولا موسى
 وإنما جعلوا الرحمنَ مأكلةً * وصيروا دينهم في الناسِ ناموساً

وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره ، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره وزندقته وانحلاله ، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناهُ أباي علي * وما جنيتُ على أحدٍ

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله . وقد زعم بعضهم أنه أقلع عن هذا كله وقاب منه ، وأنه قال قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله ، ويتصل منه ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

يا من برى مدَّ البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل
 ويرى مناطاً عروقها في نحرها * والمنخ في تلك العظام النحل
 امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الأول

توفي في ربيع الأول من هذه السنة بحيرة النعمان ، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوماً ، وقد رئاه جماعة من أصحابه وتلامذته ، وأنشدت عند قبره ثمانون مرآة ، حتى قال بعضهم في مرآة له : إن كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من جفني دما

قال ابن الجوزي : وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه : إما جهال بأمره ، وإما ضلال على مذهبه وطريقه . وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريباً على عاتقه حيطان مدليتان على صدره ، رافعتان رؤسهما إليه ، وهما ينشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعري الملحد وقد ذكره ابن خلكان فرفع في نسبه على عادته في الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأليك والغصون ،

وهو المعروف بالهمز والرذف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سـمد النحوى ، وأخذ عنه أبو القاسم على بن الحسن التنوخى ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جنابة عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقد الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقطع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت فائضة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان يحيفاً ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً منها قوله :

لا تطلبنَّ باللهِ لكِ رتبةً * قلمُ البليغِ بغيرِ جدٍ مغزَلُ
سكنَ السماءِ كان السماءُ كلاهما * هذا له رمحٌ وهذا أعزَلُ

الأستاذ أبو عثمان الصابوني

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابورى ، الحافظ الواعظ المفسر ، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكر الناس ، وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة عظيمة ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فن ذلك قوله :

إذا لم أصبْ أموالكم ونوالمكم * ولم آملِ المعروفِ منكم ولا البرا
وكنتم عبداً للذى أنا عبده * فن أجلِ ماذا أتعبُ البدن الحرا ؟

وروى ابن عساکر عن إمام الحرمين أنه قال : كنت أتردد وأنا بمكة فى المذاهب فرأيت النبى (س) ، وهو يقول : عليك باعتقاد أبى عثمان الصابونى . رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة

فبها كانت فتنة الخبيث البساسيرى ، وهو أرسلان التركى ، وذلك أن إبراهيم ينال أخا الملك طغرل بك ترك الموصل الذى كان قد استعمله أخوه عليها ، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره ، ولكن فى غضون ذلك ركب البساسيرى ومعه قريش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها ، وأخرب قلعها ، فسار إليه الملك طغرل بك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيرى وقريش خوفاً منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم ، وعصى عليه ، وهرب إلى همدان ، وذلك بإشارة البساسيرى عليه ، فسار الملك طغرل بك وراه أخيه وترك عساکره وراه ، ففترقوا وقتل من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندرى إلى بغداد ، ثم جاء الخبير

بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأن طغرل بك محصور بهمدان ، فانزعج الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وجاء الخبر بأن البساسيري على قصد بغداد ، وأنه قد اقترب من الأنبار ، فقوى عزم الكندي على الهروب ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربي ، ونهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين ، وركبت الخاتون في جمهور الجيش ، وذهبت إلى همدان لأجل زوجها ، وسار الكندي ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز و بقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة ، فعزم الخليفة على الخروج منها ، وليته فعل ، ثم أحب داره والمقام مع أهله ، فمكث فيها اغترارا ودعة ، ولما خلى البلد من المقاتلة قيل للناس : من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء ، فانزعج الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي ، وبلغت المعبرة دینارا ودينارين لعدم الجسر . قال ابن الجوزي : وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً ، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل ، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة ، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية ، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ، فتلقاها أهل الكرخ الراضة وسألوه أن يجتاز من عندهم ، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاوية ، فغيمها والناس إذ ذاك في مجاعة وضر شديد ، ونزل قریش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة ، وكان البساسيري قد جمع العيارين وأطمعهم في نهب دار الخلافة ، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة ، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغانی ، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكيمية ، وبيعت للمطارين ، ونهبت دور المتعلقةين بخدمة الخليفة ، وأعادت الروافض الأذان بجي على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد في الجماعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدي ، على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فحاحف الوزير أبو القاسم بن المسلة الملقب برئيس الرؤساء ، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يند ذلك شيئاً ، فركب الخليفة بالسواد والبردة ، وعلى رأسه اللواه وبيده سيف مصلت ، وحواله زمرة من العباسيين والجواري حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، معهن المصاحف على رؤس الزمات ، وبين يديه الخدم بالسيوف ، ثم إن الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قریش ليمنمه وأهله ووزيره ابن المسلة ، فأمنه على ذلك كله ، وأنزله في خيمة ، فلامه البساسيري على ذلك ، وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك ، من أنك لا تبت برأى دوني ، ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا بيني وبينك . ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلة

فوبخه توبيخاً مفضحاً ، ولامه لوماً شديداً ، ثم ضرب به ضرباً مبرحاً ، واعتقله مهانا عنده ، ونهبت العامة دار الخلافة ، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس ، والديباج والذهب والفضة ، والثياب والأثاث ، والدواب وغير ذلك ، مما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتفق رأى البساسيري وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة ، وهو مهارش بن مجلى الندوى ، وهو من بنى عم قريش بن بدران ، وكان رجلا فيه دين وله مروءة . فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئا ، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش حولا كاملا ، وليس معه أحد من أهله ، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المنجاة ، ثم دعوت الله عز وجل بما سئلت ، ثم قلت : اللهم أعدنى إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسر اجتماعنا ، وأعدروض الانس زاهراً ، وربع القرب عامراً ، وفلفل العزا وبرج الجفا ، قال : فسمعت قائلاً على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت في السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول ، فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك ، خرج من داره في ذى القعدة من هذه السنة ، ورجع إليها في ذى القعدة من السنة المقبلة ، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة شعرا يذكر فيه حاله منه :

سأمت ظنوني فيمن كنت آملهُ * ولم يحل ذكر من واليت في خلدي
 تعلموا من صروف الدهر كاهم * فما أرى أحداً يحنو على أحبر
 فأرى من الأيام إلا موعداً * فتى أرى ظفري بذلك الموعد
 يومى يمر وكلمة قضيتهُ * عللت نفسى بالحديث إلى غد
 أقبح بنفسى تستريح إلى المنى * وعلى مطامعها تروح وتفتدى

وأما البساسيري وما اعتمده في بغداد : فإنه ركب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذنين البياض ، وكذلك أصحابه ، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وخطب للخليفة المصرى ، والروافض فى غاية السرور ، والأذان بسائر العراق بحى على خير العمل ، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً ، وغرق خلقاً ممن كان يعاديه ، وبسط على آخرين الأرزاق ممن كان يحبه ويواليه ، وأظهر العدل . ولما كان يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ذى الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلة الملقب رئيس الرؤساء ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفى رقبته مخنقة من جلود كالتعاويد ، فأركب جملاً أحمر وطيف به فى البلد ، وخلفه من يصنعه بقطعة جلد ، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات ، وبصقوا فى وجهه ولعنوه وسبوه ، وأوقف بازاء دار الخلافة وهو

في ذلك ينلو قوله تعالى [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتنزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير] ثم لما فرغوا من التطواف به جئ به إلى المسكر فألبس جلد ثور بقرنيه ، وعلق بكلوب في شذقيه ، ورفع إلى الخشبة ، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فات رحمه الله . وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذي أحياني سعيدا ، وأماتني شهيدا . وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من الغلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة كثيرة ، وزلزلت ببغداد في هذه السنة قبل الفتنة بشهر زلزالا شديدا ، قهدمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصت بهمدان وواسط ، وتكريت ، وعانة ، وذكر أن الطواحين وقتت من شدتها . وفيها كثرت النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤس ، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر بن الصباغ ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفي أواخر السنة خرج السلطان طغرل بك من همدان فقاتل أخاه وانتصر عليه ، وفرح الناس وتباشروا بذلك ، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيري ، واستنجد طغرل بك بأولاد أخيه داود . وكان قد مات - على أخيه إبراهيم فغلبوه وأسروه في أوائل سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا على عمهم طغرل بك ، فسار بهم نحو العراق ، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية إن شاء الله . وفيها توفي من الأعيان .

الحسن بن محمد أبو عبدالله الوثني

الفرضي ، وهو شيخ الحربي ، وكان شافعي المذهب ، قتل في بغداد في فتنة البساسيري ، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها .

داود اخو طغرل بك

أبو الطيب الطبري

الفتية ، شيخ الشافعية ، طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر ، ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، سمع الحديث بمرجان من أبي أحمد الغطريفي ، وبديسابور من أبي الحسن الماسرجسي ، وعليه درس الفقه أيضاً وعلى أبي علي الزجاجي ، وأبي القاسم بن كنج ، ثم اشتغل ببغداد على أبي حامد الاسفرايني ، وشرح المختصر وفرغ ابن الحداد ، وصنف في الأصول والجدل ، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وسمع ببغداد من الدارقطني وغيره ، وولى القضاء بربيع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، وكان ثقة دينا ورعا ، عالما بأصول الفقه وفروعه ، حسن الخلق سليم الصدر مواظبا على تعليم العلم ليلا ونهارا . وقد ترجمته في طبقات الشافعية ، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه - وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده في الحلقة - أن أبا الطيب أسلم خفا له - وكان متقللا من الدنيا فقيرا - عند خفاف ليصلحه له فأبطأ عليه فكان كلما مر عليه أخذته فمسه في الماء وقال : أيها الشيخ الساعة

أصلحه ، فقال الشيخ : أسلمته لتصاحبه ولم أسلمه لتعلمه السباحة . وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة ، وقيص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت لا يخرج منه ، وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه ، وإذا غسلهما جلسا في البيت إلى أن يببسا وقد قال في ذلك أبو الطيب :

قومٌ إذا غسلوا ثيابَ جملهم * لبسوا البيوتَ إلى فراغِ الغاسل

وقد توفي في هذه السنة عن مائة سنة وسنتين ، وهو صحيح العقل ، والفهم ، والاعضاء ، يفق ويشتمل إلى أن مات ، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب فقيل له : ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة تنفعنا في الكبر رحمه الله .

القاضي الماوردي

صاحب الحاوي الكبير ، علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي البصري ، شيخ الشافعية ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين . قال : بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، يعني الاقناع . وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة ، وكان حليماً وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه فزاعه يوماً من الدهر من شدة تجرزه وأدبه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب

رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ، وزير القائم بأمر الله ، كان أولاً قد سمع الحديث من أبي أحمد الغرضي وغيره ، ثم صار أحد المعدلين ، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوزراء ، كان منضماً بعلوم كثيرة مع سداد رأى ، ووفور عقل ، وقد مكث في الوزارة ثنقى عشرة سنة وشهراً ، ثم قتله البساسيري بعد ما شهره كما تقدم ، وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

منصور بن الحسين

أبو الفوارس الأسدي ، صاحب الجزيرة ، توفي فيها وأقاموا ولده بعده .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

استهلت هذه السنة وبنداد في حكم البساسيري ، بخطب فيها لصاحب مصر الفاطمي ، والخليفة العباسي بمحديثة عانة ، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف ، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي ، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة ، فنقض بعض الشراريف ، ثم

قيل له إن التبيح في هذا أكثر من المصلحة . فتركه ، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة ، وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه ، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحرم الظاهري ، وأن تنصب على دجلة . وكتبت إليه أم الخليفة - وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت التسمين وهي مختفية في مكان - تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ، فأرسل إليها من نقلها إلى الحرم ، وأخدمها جاريتين ، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلا من خبز ، وأربعة أرتال من لحم .

فصل في تاريخ

ولما خلاص السلطان طغرل بك من حصره بهمدان وأسر أخاه إبراهيم وقتله ، وتمكن في أمره ، وطابت نفسه ، ولم يبق له في تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه ، وداره وتوعده على أنه إن لم يفعل ذلك وإلا أحل به بأساً شديداً ، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه ، ويقول : أنا مطك على البساسيري بكل ما أقدر عليه ، حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون على عارها ، ولكن سأعمل على ما أمرتني به بكل ما يمكنني ، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها ، ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره ، وخوفه من جهة الملك طغرل بك ، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي ، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده ، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد ، قريب منا ، وقد جاءني منه كتاب عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرل بك ، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلاجوق ، وعلى رأس الكتاب السلامة السلطانية بخط السلطان . حسبي الله ونعم الوكيل . وكان في الكتاب : والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أهبة إمامته على سرير عزه ، فان الذي يلزمننا ذلك ، ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بمجنود المشرق وخبولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إيانة النجح الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته ، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى موافق خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلبه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجيب له ، ونحن نوليك الدراق بأسرها ونصفي لك مزارع برها وبحرها ، لا يطاؤها حافر خيل من خيول المعجم

شبراً من أراضي تلك المملكة ، إلامتمساً لمعاونتكم ومظاهرتك ، وإما أن تحافظ على شخصه الغالى بنحو يله من القلعة إلى حين نحظى بخدمته ، فليمثل ذلك ويكرن الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء فنولية العراق كلها ، ونستخلفه في الخدمة الامامية ، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، فممتنا لا تقتضى إلا هذا .

فعمد ذلك كتب قريش إلى مهارش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلى ، حتى آخذلى ولك به أماناً ، فامتنع عليه مهارش وقال قدغرنى البساسيرى ووعدى بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله فى عنق أيمان كثيرة لأغدرها ، وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً ، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضى أن نسير إلى بلد بدر بن مهامل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغرلبك ، فان ظهر دخلنا بغداد ، وإن كانت الأخرى نظرنا لأنفسنا ، فانى أخشى من البساسيرى أن يأتينا فيحضرنا . فقال له الخليفة : افعل ما فيه المصلحة . فسارا فى الحادى عشر من ذى القعدة إلى أن حصلوا بقلعة تل عكبرا ، فتلقته رسل السلطان طغرلبك بالهدايا التى كان أنفدها ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغرلبك قد دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهبوا البلد غير دار الخليفة ، وصوردر خلق كثير من التجار ، وأخذت منهم أموال كثيرة ، وشرعوا فى عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها ، وسرادق وملابس ، وما يليق بالخليفة فى السفر ، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندرى ، ولما انتهوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه ، وقالوا : اضربوا السرادق ولبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجىء نحن ونستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه ، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته ، وبما حصل من العود إلى بغداد ، وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يله بصفة ماجرى ، وأحب أن يضع الخليفة علامته فى أعلا الكتاب ليكون أقر لعين السلطان ، وأحضر الوزير دواته ومعها سيف وقال : هذه خدمة السيف والقلم ، فأعجب الخليفة ذلك ، وترحلوا من منزلم ذلك بعد يومين ، فلما وصلوا النهران خرج السلطان لتلقى الخليفة ، فلما وصل السلطان إلى سرادق الخليفة قبل الأرض سبع مرات بين يدى الخليفة ، فأخذ الخليفة محدة فوضها بين يديه فأخذها الملك فقبلها ، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة ، وقدم إلى الخليفة الحبل الباقوت الأحمر الذى كان لبني بويه ، فوضه بين يديه ، وأخرج اثنتى عشرة حبة من لؤلؤ كبار ، وقال أرسلان خاتون - يعنى زوجة الملك - تخدم الخليفة ، وسأله أن يسبح بهذه المسبحة ، وجعل يمتد من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله ، واتفق موت أخى الأكبر أيضاً ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة

أمير المؤمنين ، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيري ، فأقتله إن شاء الله ، ثم أدخل الشام وأقبل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقابلة ، فدعاه الخليفة ، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة ، فرفعت الأستار عن جوانب الحركات ، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً : الجيش كله معه والقصة والأعيان والسلطان آخذ بالجام بقلته ، إلى أن وصل باب الحجرة ، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان في الذهاب وراء البساسيري ، فأرسل جيشاً من ناحية الكوفة لينموه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر . وأما البساسيري فإنه مقبم بواسط في جمع غلات وأموارهميها لقتال السلطان ، وعنده أن الملك طغربك ومن عنده ليسوا بشيء يخاف منه ، وذلك لما يريد الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله .

مقتل البساسيري على يدي السلطان طغربك

لما سار السلطان وراءه وصات السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد ، فاقتتلوا هناك وانهمزم أصحابه عنه ، ونجا البساسيري بنفسه على فرس ، فتبعه بعض النلمان فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض ، فجاء الفلام فضر به على وجهه ولم يعرفه ، وأسره واحد منهم يقال له كسكين ، فحز رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما همجوا عن حمله ، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد ، وأن يرفع على رمح ، وأن يطاف به في المحال وأن يطرف معه الدبادب والبوقات والنفاطون ، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففعل ذلك ، ثم نصب على الطيارة تجاه دار الخليفة ، وقد كان مع البساسيري خلق من البغادة خرجوا معه ، ظانين أنه سيعود إلى بغداد ، فهلكوا ونهبت أموالهم ، ولم ينج من أصحابه إلا القليل ، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة ، ومعه أولاد البساسيري وأمههم ، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئاً . ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان ودخل معه بغداد ، وقد نهبت المساكن ما بين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته . وأما الخليفة فإنه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عايه أن لا ينام على وطاء ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائماً ، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد ، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذى أحداً ممن آذاه ، وأن يصفح عن من ظلمه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيهما تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه ، بتقر برعمه طغربك ، وكان له من الأخوة سليمان وقاروت بك ، وياقوتى ، فتزوج طغربك بام سليمان .

وفيهما كان بمكة رخص لم يسمع بمثله ، بيع النمر والبركل مائتي رطل بدينار . ولم يبحج أحد من أهل العراق فيها

ترجمة أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي

كان من مماليك بهاء الدولة ، وكان أولاً مملوكاً لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه فقيل له البساسيري ، وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونه ، وخطب له على منابر العراق كلها ، ثم طغى وبنى وتمرد ، وعتا وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين ، ثم انقضى أجله في هذه السنة ، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذى القعدة من سنة خمسين وأربعمائة ، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذى القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين ، بعد سنة كاملة ، ثم كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثاني عشر من كانون الأول ، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول ، بعد سنة شمسية ، وذلك في ذى الحجة منها .

الحسن بن الفضل

أبو علي الشرمقاني المؤدب المقرئ الحافظ للقرآن والقراءات ، واختلافها ، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها ، فأعلم ابن المسلمة بحاله ، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة السكر ، فظن أبو علي الشرمقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها ، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة ، فكتمه زماناً وجعل ينشد :

من أطلعوه على سرِّ فباح به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبدوه فلم يظفّر بقرهم * وأبدلوه فكان الأئس إباحا

فلما كان في بعض الأيام ذا كره ابن العلاف في أمره ، وقال له فيما قال : أراك قد سمحت فما هذا الأمر ، وأنت رجل فقير ؟ فجعل يلوح ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح ، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفيه ، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها ، فقال له : ادع لابن المسلمة فانه الذي يفعل ذلك ، وشرح له صورة الحال ، فكسره ذلك ولم يعجبه .

علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره

أبو الحسن الروزني ، شيخ الصوفية ، وإليه ينسب الرباط الروزني ، وقد كان بني لأبي الحسن شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة .

محمد بن علي

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحرابي ، المعروف بالمشاري ، لطول جسده ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، توفي في جمادى الأولى منها ، وقد نيف على الثمانين

الوئي الفرضي

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوئي ، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان ، الفرضي شيخ الحرابي ، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ، كان الوئي إماماً في الحساب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفي فيها ببغداد شهيداً في فتنة البساسيري والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيري ، وفي يوم الحادي والعشرين جلس الخليفة في داره وأحضر الملك طغرل بك ، ومدسماطاً عظيماً فأكل الأمراء منه والعامّة ، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان سماطاً للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأيرعدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمته ، وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبي الغنائم ، فنلقاه الناس إجلالاً لجلده ، وقد ولي الخلافة بعد ذلك ، وصمى المقتدى بأمر الله . وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابي دار كتب ، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ . وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم ينج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

أبو منصور الجيلي

ومن توفي فيها من الأعيان .
من تلاميذ أبي حامد ، ولي القضاء بباب الطاق . وبجرّيم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة . قال الخطيب : وكتبنا عنه وكان ثقة .

الحسن بن محمد

ابن أبي الفضل أبو محمد الفسوي ، الوالي ، سمع الحديث ، وكان ذكياً في صناعة الولاية ، ومعرفة التهم والمتهومين من الفرماة ، بلطيف من الصنيع ، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأثنى بكوز يشرب منه ، فرمى به فانزعج الواقفون إلا واحداً ، فأصر به أن يقرر ، وقال السارق يكون جرّيماً قوياً ، فوجد الأمر كذلك ، وقد قتل مرة رجلاً في ضرب بين يديه فأدعى عليه عند القاضي أبي الطيب ، فحكّم عليه بالقصاص ، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلس .

محمد بن عبيد الله

ابن أحمد بن محمد بن عروس ، أبو الفضل البزار ، انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكيين ببغداد ، وكان من القراء المجيدين ، وأهل الحديث المسندين ، سمع ابن حبانة والمحاص وابن شاهين ، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغانى ، وكان أحد المعدلين .

قطر الندى

ويقال الدجى ، ويقال علم ، أم الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، بلغت التسعين ، وهى التى احتاجت فى زمان البساسيرى فأجرى عليها رزقا ، وأخذها جاريتين ، ثم لم تمت حتى أقر الله عينها بولدها ، ورجوعه إليها ، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه ، ثم توفيت فى هذه السنة ، فحضر ولدها الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جدا .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فيها خطب الملك طغرل بك ابنة الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وقال : هذا شئ لم يجر العادة بمثله ، ثم طالب شيئا كثيرا كهيئة الفرار . من ذلك ما كان لزوجه التى توفيت من الاقطاعات بأرض واسط ، وثمانمائة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحدا ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة ، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة ، والنار والجواري ، ومن الجواهر ألغان ومائتى قطعة ، من ذلك سبعمائة قطعة من جواهر ، ووزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المثقال ، وأشياء أخرى . فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب عميد الملك الوزير لخدمته السلطان ، وجرت شروط طيلة اقتضت أن أرسل السلطان كتابا يأمر الخليفة بانزعج ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك ، حتى تنفصل هذه القضية ، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد ، فانزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشتق يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف فى مقابلة رد أصحابه بالحرمان ، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة ، وأرسل من يحملها إلى البلد التى هو فيها ، كل ذلك غضبا على الخليفة . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله (س) فى المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أنفس ، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم ؟ فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد ، فأخذ بيده فقال قم فقام وانتبه . فاذا هو قد برأ وأصبح يمشى فى حوائجه . وفى ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازى ، وخلع عليه وجلس فى مجلس الوزارة . وفى جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفاً عظيماً ، جميع القرص غاب ، فمكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها ، وتركت الطيران

لشدة الظلمة . وفيها ولي أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية . وفيها ولي ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر . وفيها ولي قریش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين . وفيها خلع على طراد ابن محمد الزينبي الملقب بالكامل نقابة الطالبين ، ولقب المرتضى . وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوائى ، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار ، وسبع عشرة ألف كر من غلة . ولم ينجح أحد من أهل العراق هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . **أحمد بن مروان**

أبو نصر الكردي ، صاحب بلاد بكر وميا فارقين ، لقبه القادر نصر الدولة ، وملك هذه البلاد فئتين وخمسين سنة ، وتنعّم تنعم لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمه من ، وعنده خمسمائة خادم ، وكان عنده من المغنيات شئ كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار ، وأكثر ، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهب والأوائى ما يساوى مائتي ألف دينار ، وتزوج بعدة من بنات الملوك ، وكان كثير المهادة للملوك ، إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصلح به ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرلبك بهدية عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك حبل من ياقوت كان لبني بويه اشتراه منهم بشئ كثير ، ومائة ألف دينار ، وغير ذلك ، وقد وزرله أبو القاسم المغربي مرتين ، ووزرله أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن جبير ، وكانت بلاده آمن البلاد ، وأطيبها وأكثرها عدلا ، وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجتمع في الشتاء من الجبوب التي في القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح الأهرام وإلقاء ما يكفئها من الغلات في مدة الشتاء ، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره ، توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين . قال ابن خلسكان : قال ابن الأزرقي في تاريخه : إنه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تقته صلاة مع كثرة مباشرته للذات ، وكان له ثلاثمائة وستون حظية ، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة ، وخلف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى في التاسع والعشرين من شوال منها .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرلبك يشكو من قلة إنصاف الخليفة ، وعدم موافقته له ، ويذكر ما أسداه إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف ، وقاضى للقضاة الدامغاني ، فلما رأى الخليفة ذلك ، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة ، كتب إلى الملك يجيبه إلى ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة ، واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق ، فوكل الخليفة في العقد . فوقع العقد بمدينة تبريز بحضور

الملك طغرل بك ، وعمل سباطاً عظيماً ، فلما جرى بالوكالة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها ، ودعا للخليفة دعاء كثيراً ، ثم أوجب المقد على صدق أربعاً ألف دينار ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحفة كثيرة ، وجوهر وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة لأم العروس وأهلها ، وقال الملك جهره للناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما على من الثياب . وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، استقدمه من ميفارقين . وفيها عم الرخص جميع الأرض حتى يبيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بنان قراريط ، ولم يمحج فيها أحد .

ومن توفي فيها من الأعيان **ثمال بن صالح**

ميرالدولة ، صاحب حلب ، كان حليماً كريماً وقوراً . ذكر ابن الجوزي أن الفراش تقدم إليه ليفسل يده فصدمت ببللة الأبريق ثنيته فسقطت في الطست ، فمنا عنه **الحسن بن علي بن محمد**

أبو محمد الجوهري ، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين ، وصحح الحديث على جماعة ، وتفرد بمشايخ كثيرين ، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في ذي القعدة منها **الحسين بن أبي يزيد**

أبو علي الدياغ . قال رأيت رسول الله (ص) ، في المنام . قلت : يا رسول الله ادع الله أن يميتني على الإسلام . فقال : وعلى السنة **سعد بن محمد بن منصور**

أبو المحاسن الجرجاني ، كان رئيساً قديماً ، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء ، تخرج به جماعة ، وروى الحديث عن جماعة ، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة ، وقتل ظلماً باستراياذ في رجب منها رحمة الله تعالى . ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها دخل السلطان طغرل بك ببغداد ، وعزم الخليفة على تلقيه ، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من الجيش أذية كثيرة للناس في الطريق ، وتعرضوا للحريم حتى هجموا على النساء في الحمامات ، فخلصن منهم العامة بعد جهد . فأنالله وإنا إليه راجعون .

دخول الملك طغرل بك علي بنت الخليفة

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال : إنكم إنما سأتم أن يعقد المقد فقط بمحصول التشريف والتزمت لها بعدد المطالبة ، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار

ومائة وخمسين ألف درهم ، ونحفاً آخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة ، وضربت الدباب والبوقات عند دخولها إلى الدار ، فلما دخلت أجلس على سرير مكلل بالذهب ، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طغربك فوقف بين يديها فقبل الأرض ، ولم تقم له ولم تره ، ولم يجاس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجاب والأترك برقصون هناك فرحاً وسروراً ، وبعث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة يا قوت حمراء ، كبيرة هائلة ، ودخل من الغد فقبل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة بازائها ساعة ، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكلل بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بازائها ، ثم يخرج عنها ويبعث بالتحف والهدايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، مقدار سبعة أيام ، ويمد كل يوم من هذه الأيام السبعة سباطاً هائلاً ، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء ، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ، ثم يعود بها ، فأذن له بعد تمتع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة ، برسم خدمتها ، وقد تأملت والدتها لفقدها ألماً شديداً ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأبوس منه ،

فلما كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأنه توفي في ثامن الشهر ، فنار العيارون فقتلوا العميدى وسبعمائة من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتل نهاراً ، حتى انسلخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود ، وكان طغربك قد نص عليه وأوصى إليه ، لأنه كان قد تزوج بأمه ، واتفقت الكلمة عليه ، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخى سليمان ، وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان ، محمد بن داود ، فان الجيش كانوا يميون إليه ، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره ، ولما رأى الكندري قوة أمره خطب له بالرى ، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

وقد كان الملك طغربك حليماً كثير الاحتمال ، شديد الكتمان للسر ، محافظاً على الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظباً على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولداً ، وملك بمحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً ، واثني عشر يوماً ، ولما مات اضطربت الأحوال وانتقضت بمده جدا ، وعانت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق ، ينهبون ، وتمذرت الزراعة إلا على المخاطرة ، فانزعج الناس لذلك .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسطة أرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان بالجدرى والفتحة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها

ملك الصليحي صاحب اليمن مكة ، وجلب الاقوات إليها ، وأحسن إلى أهلها . وفي أوائلها طلبت
الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمها ، وذلك لما هجرها وبارت عنده ، فبعثها مع
الوزير للكندري إلى عمها ، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدنفاً ، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في
تهاونها بها ، فكتب الخليفة إليه ارجعها :

فهبث شرقي وولي الغرام * وارجع الشباب ملا يرام
أذهبت مني الليالي جديداً * والليالي يضمنن الأيام
فعل ما عهدته من شبابي * وعلى الغانبات مني السلام

ومن توفي فيها من الأعيان **زهير بن علي بن الحسن بن حزام**
أبو نسر الحزامي ، ورد بغداد وتلقه على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع بالبصرة سنن
أبي داود على القاضي أبي عمر ، وحدث بالكثير ، وكان يرجع إليه في الفتاوى ، وحل المشكلات ،
وكانت وفاته بسرخس فيها **سعيد بن مروان**
صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب ميا فارقين من سمه ، فقطعه قطعاً .

الملك أبو طالب

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك ، كان أول ملوك السلاجقة ، وكان خيراً مصلياً ،
محافظاً على الصلاة في أول وقتها ، يديم صيام الاثنين والخميس ، حلماً عن أساء إليه ، كتوماً للاسمرار
سعيدياً في حركاته ، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه
إبراهيم بن نيال ، وأولاد إخوته ، على كثير من البلاد ، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم
ذلك كله مبسوطاً . توفي في ثامن رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له في الملك
ثلاثون سنة ، منها في ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربع مائة

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزيره عميد الملك الكندري ، وسجنه ببيته ثم أرسل
إليه من قتله ، واعتمد في الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء ، ولما
عصى الملك شهاب الدولة قتلش ، وخرج عن الطاعة ، وأراد أخذ ألب أرسلان ، خاف منه ألب
أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فاني قد استدمت لك جنداً ما بارزوا عسكرياً إلا
كسروه ، كائناً ما كان . قال له الملك : من هم ؟ قال : جنود يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم
وخلاواتهم ، وهم العلماء والفقراء الصالحاء . فطابت نفس الملك بذلك ، فحين التقى مع قتلش لم ينظره
أن كسره ، وقتل خلقاً من جنوده ، وقتل قتلش في المعركة ، واجتمعت الحكامة على ألب أرسلان .

وفيها أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ ، ففتحوا حصوناً كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزفت إليه ، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل الملكين السلجوقي والمحمدي .

وفيها أذن ألب أرسلان لابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخات بغداد في نجل عظيم ، وخرج الناس لينظروا إليها ، فدخلت ليلاً ، ففرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب ، فقيل في الدعاء : اللهم وأصلح السلطان العظيم ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود ، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالخلع والتقايد مع الشريف تقيب النقيب ، طراد بن محمد ، وأبي محمد التميمي ، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق . قال ابن الجوزي : وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيدون فراوا في البرية خياماً سوداً ، سمعوا بها لطماً شديداً ، وعويلاً كثيراً ، وقائلاً يقول : قد مات سيدوك ملك الجن ، وأى بلد لم يلطم به عليه ، ولم يقم له مأتم فيه . قال : فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر يلطمن ثلاثة أيام ، ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من الفساق يفعلون ذلك ، وفعل هذا بواسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وهذا من الحق لم ينقل مثله . قال ابن الجوزي : وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي بن الوليد ، المدرس للمعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدرسه للناس بهذا المنصب ، وأهانوه وجروه ، ولعنت المعتزلة ، في جامع المنصور ، وجلس أبو سعيد بن أبي عمارة وجعل يلعن المعتزلة . وفي شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلداً عظيماً فيه ستمائة ألف دنليز ، وألف بيعة ودبر ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفي ذي القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية ، وقتل الترهندي ، وزاد الحر في تشارين ، وفسد الهواء ، وفي هذا الشهر خلع على أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي بنقابة الطالبين ، وولاية الحج والمظالم ، ولقب بالظاهر ذي المناقب ، وقرئ تقليده في الموكب . وحج أهل العراق في هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان **ابن حزم الظاهري**

هو الأمام الحافظ العلامة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي ، أصل جده من فارس ، أسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلدهم قرطبة ، فولد ابن

حزم هذا بها في سايخ رمضان ، سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها رفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة ، وكان أديباً طيباً شاعراً فصيحاً ، له في الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري ، وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها . وكان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلبه ، فأورثه ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه ، وما زالوا به حتى بفضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين . والمعجب كل المعجب منه أنه كان ظاهرياً حارثاً في الفروع ، لا يقول : بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره ، وهذا الذي وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولاً قد تزلع من علم المنطق ، أخذته عن محمد بن الحسن المدحجي الكنتاني القرطبي ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

عبد الواحد بن علي بن برهان

أبو القاسم النحوي ، كان شرس الأخلاق جداً ، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد ، وذكر عنه أنه كان يقبل المردان من غير ريبة . قال ابن عقيل : وكان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفي خلود الكفار في النار ، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التثني لوجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى [خالدن فيها أبداً] أي أبداً من الآباد . قال ابن الجوزي : وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الأجماع ، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة ، فلم يمكنهم المسير فعدلوا إلى الكوفة ورجعوا . وفي ذى الحجة منها شرع في بناء المدرسة النظامية ، ونقض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا ، وباب البصرة وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن الزبير وباديس ، وأولاد حماد ، والعرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة . وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الفناهم .

وفيها كان مقتل عميد الملك الكندري ، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري ، وزير طبرلبك ، وكان مسجوناً سنة تامة ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طريث ، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان

ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لديه فضائل جمّة ، حاضر الجواب سريعه . ولما أرسله طغرل بك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلاً بقول الشاعر * ما كل ما يتمنى المرء يدركه * فأجابه الوزير تمام قوله * تجرى الرياح بما لا يشتهي السفن * فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان في الناس ضيقٌ عن منافسي * فالوت قد وسع الدنيا على الناس

مضيتُ والشامتُ المغيبُ يتبعني * كلُّ لكاس المنيا شاربٌ حاسي

وقد بعته الملك طغرل بك يخطف له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، فخصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكره بخوارزم ، وسفح دمه حين قتل بمرور الروذ ، ودفن جسده بقرينته ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أي صفة كانوا سبحانه وتعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين ، كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة المخالفة ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا الغنائم وأنكر عليه ذلك . فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به ، وأنه حين علم أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع . قال ابن الجوزي : في ربيع الأول ولد بيباب الأزعج صببية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيد ، على بدن كامل ثم ماتت . قال : وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً ، تصدعت منها الجبال ، وهلك جماعة ، وخسف بمدة قري ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هناك ، ووقع حريق بنهر يعلى فاحترق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شيء كثير ، ونهب بعضهم بعضاً . قال ابن الجوزي وفي شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزي : والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو في ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال ، وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الامارة ، وهي الخضراء ، فاحترقت وتمدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقفه ، وبادت زخرفته ، وتلف رخامه ، وبقي كأنه خربة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعد ما كانت في غاية الاحكام والانتقان ، وطيب الفناء ، ونزهة المجالس ، وحسن المنظر ، فهى إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم ، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والامارة ، منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان ، وأما الجامع الأموي فإنه لم يكن على وجه الأرض

شئ أحسن منه ولا أبهى منظراً ، الى أن احترق فدق خراباً مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه ، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولم يزالوا في تحسين معاملة إلى زماننا هذا ، قتائل وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شئ ، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين بتكتزين عبد الله الناصري ، في حدود سنة ثلاث وسبعمائة ، وما قبلها وما بعدها ييسر .

وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصاً كثيراً ، ونقصت دجلة نقصاً بينا . وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ، ومشى بين يديه بالفأشية والأمرء يمشون بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً . وحج بالناس فيها نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي وجاور بمكة .

وفيها توفي من الأعيان . **الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي**

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكان أوحداً أهل زمانه في الاتقان والحفظ والفقهاء والتصنيف ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شيئاً كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة ، لم يسبق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، منها كتاب السنن الكبير ، وأصول الشافعي كل في عشر مجلدات ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمدخل ، والآداب وشعب الإيمان ، والخلافات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة ، التي لا تسامى ولا تدانى ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، كثير العبادة والورع ، توفي بنيسابور ، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى منها .

الحسن بن غالب

ابن علي بن غالب بن منصور بن صملوك ، أبو علي التميمي ، ويعرف بابن المبارك المقرئ ، صحب ابن سمعون ، وقرأ القرآن على حرuf أنكرت عليه ، وجرب عليه الكذب ، إماماً وإماماً خطأ ، واتهم في رواية كثيرة ، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليه ، وكتب عليه محضر بعدم الإقراء بالحروف المنكرة ، قال أبو محمد السمرقندي كان كذاباً ، توفي فيها عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن عند إبراهيم الحربي . قال ابن خلدكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمد العمري المروزي ، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه .

القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، ومهد مذهبهم في الفروع ، ولد في محرم سنة ثمانين وثلثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدث عن ابن حبانة . قال

ابن الجوزي : وكان من سادات العلماء الثقات ، وشهد عند ابن ما كولا وابن الدامغاني قبلاه ، وتولى النظر في الحكم بحريم الخلافة ، وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مناهج أحمد ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الامامة والفقه والصدق ، وحسن الخلق ، والتعبد والتشف والخشوع ، وحسن السمات ، والصمت عما لا يعني توفي في العشرين من رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان ، وكان يوماً حاراً ، فأفطر بعض من اتبع جنازته ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا الحسين وأبا حازم ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي وأكرمني ، ورفع منزلي ، وجعل يمد ذلك بأصبعه ، فقال : بالعلم ؟ فقال : بل بالصدق .

ابن سيده

صاحب المحكم في اللغة ، أبو الحسين علي بن إسماعيل الرمسي ، كان إماماً حافظاً في اللغة ، وكان ضريب البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريباً أيضاً ، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وله المحكم في مجلدات عديدة ، وله شرح الحماسة في ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطلمنكي كتاب الغريب لأبي عبيد سردا من حفظه ، فتمعجب الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب ، فسمع الناس بقراءته من حفظه ، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين ، والأول أصح ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها بنى أبو سعيد المستوفى الملقب بشرف الملك ، مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، وعقد عليه قبة ، وعمل بازائه مدرسة ، فدخل أبو جعفر بن البياض زائراً لأبي حنيفة فأنشد :

ألم تر أن العلم كان مضيئاً * فجمعه هذا المغيَّب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشرها جود العميد أبي السعد

وفيها هبت ريح حارة فأت بسببها خلق كثير ، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والارج . وفيها احترق قبر معروف الكرخي ، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه فتعدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد . وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران ، وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب : كانت تفتخ رؤسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي ، وكانوا يأفون من أكلها .

قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي يوم السبت عاشور ذي القعدة جمع العميد أبو سعيد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد ، ودين لتدريسها وشيخها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فلما

تكمال اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيه فقيه شاب فقال : يا سيدي تذهب تدرس في مكان مفصوب ؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور ورجع إلى بيته ، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فدرس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تفيظ على العميد وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق فرده إلى التدريس بالنظامية ، في ذي الحجة من هذه السنة ، وكان لا يصلح فيها مكتوبة ، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلح ، لما بلغه من أنها مفصوبة ، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ، ثم عاد أبو إسحاق إليها . وفي ذي القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب للقائم بأمر الله العباسي . وفيها حج بالناس أبو الغنائم النقيب .
ومن توفي فيها من الأعيان . محمد بن اسماعيل بن محمد

أبو علي الطرسوسي ، ويقال له المراق ، لظرفه وطول مقامه بها ، سمع الحديث من أبي طاهر الخالص ، وتفقه على أبي محمد الباقي ، ثم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وولى قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ودمت شراريف من مسجد رسول الله (ص) ، ولحقت وادي الصفر وخيبر ، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران فقط ، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة ، وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم ، وساخ في الأرض وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ، ودخل الناس في أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك كثيراً منهم ، أو أكثرهم . وفي يوم النصف من جمادى الآخرة قرئ الاعتقاد القادري الذي فيه منهد أهل السنة ، والانكار على أهل البدع ، وقرأ أبو مسلم الكجبي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين . وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام ، واعترفوا بالموافقة ، ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدى بالله بباب البصرة ، وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ، الملقب بفر الدولة ، وبعث إليه يماثبه في أشياء كثيرة ، فاعتذر منها وأخذ في الترفق والتذلل ، فأجيب بأن يرحل إلى أي جهة شاء ، فاختر ابن مزيد فباع أصحابه أملاكهم وطلقوا نساءهم وأخذ أولاده وأهله وجاء ليركب في سفينة لينحدر منها إلى الحلة ، والناس يتباكون حوله لبكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعت

والخليفة في الشباك ، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيعتي وغبني وأولادي ، فأعيد إلى الوزارة بشفاة ديبس بن مزيد ، في السنة الآتية ، وامتدحه الشعراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما توفي من الأعيان **عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور**

الملقب بالشيخ الأجل ، كان أوحده زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادي عند أهلها ، من أهل السنة ، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم ، وافتقاد المستورين بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنساناً في كل يوم بعشرة دنانير ، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان ، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال : ادفع إلى ما كان يصرف لي الشيخ ، فقال له ابن رضوان : إنه قد مات ولا أصرف لك شيئاً ، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئاً من القرآن ودعاه وترحم عليه ، ثم التفت فاذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير ، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له ، فقال : هذه سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك عندى في كل يوم مثلها . توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، فرحمه الله تعالى .

ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

فقيه الشيعة ، ودفن في مشهد على ، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ ، وكتبه ، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

في ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقت نار بدار الملك ، وهي الخضراء المناخحة للجامع من جهة القبلة ، فأحترقت ، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المنهوبة ، وتغيرت معالمه ، وتقلعت النفسيفساء التي كانت في أرضه ، وعلى جدرانها ، وتبدلت بضدها ، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها ، والجلونات من فوقها ، وجدرانها مذهبة ملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا ، بحيث إن الانسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلاد وجدته في الجامع مصوراً كميته ، فلا يسافر إليه ولا يعنى في طلبه ، فقد وجدته من قرب الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقاً وغرباً ، كل إقليم في مكان لائق به ، ومصور فيه كل شجرة مشمرة وغير مشمرة ، مصور مشكل في بلدانه وأوطانه ، والسور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وبقي الجدران

بالفصوص الملوثة ، وأرضه كلها بالفصوص ، ليس فيها بلاط ، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها ، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال السكامل بضده ، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء ، وغباراً في زمن الصيف ، محفورة مهجورة ، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعد الستمائة سنة من الهجرة ، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعاً في المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهر زوري ، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي ، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم تزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا ، فتقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام ، وقد تقدم أن ابن الجوزي أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن الساعي أيضاً في هذه السنة ، وكذلك شيخنا الذهبي مؤرخ الاسلام ، وغير واحد . والله أعلم .

وفيهما وقعت الحنابلة على الشيخ أبي الوثاب بن عقيل ، وهو من كبارهم ، بترده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي ، واتهموه بالاعتزال ، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علماً بمذهبه ، ولكن شرقة الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم ، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلمحوا فيما بينهم ، بعد اختصام كبير .

وفيهما زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة . وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلاً بحبة . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي وعن توفي فيها من الأعيان .

الفوراني صاحب الابانة

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني ، المروزي ، أحد أئمة الشافعية ، ومصنف الابانة التي فيها من النقول الغريبة ، والأقوال والأوجه التي لا توجد إلا فيها ، كان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن القفال ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير ، فلم يلتفت إليه ، نصار في نفسه منه ، فهو بخطئه كثيراً في النهاية . قال ابن خلكان : فتى قال في النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغطا في ذلك وشرع في الوقوع فيه فراده أبو القاسم الفوراني . توفي الفوراني في رمضان منها بمر و ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المعري المدرس بالانظامية بعد أبي إسحاق وقبل ابن الصباغ ، وبعده أيضاً ، كتاباً على الابانة ، فسماه تنمة الابانة ، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه ، فتممه أسعد العجلي وغيره ، لم يلحقوا شأوه ولا حاموا حوله ، وسموه تنمة التنمة .

ثم دخلت سنة إثنين وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : فن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات في يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى ، وهو ثامن عشرين أذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، فذهب أكثرها وانهدم سورها ، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس ، وانخسفت إيليا ، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير ، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان . وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلثمائة ألف مقاتل ، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وفزع المسلمون بحلب وغيرها منه فرعا عظيما ، فأقام ستة عشر يوماً ثم رده الله خاسئا وهو حسير ، وذلك لثة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، والله الحمد والمنة .

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة ، فضرب ذلك دراهم ودنانير ، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي . وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب ، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفئدت الدواب فلم يبق اصحاب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته ففعل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبجوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية ، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد ، لا يتجاسرون يدخلون لثلا يخطف وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهاراً ، وإنما يدفنه ليلا خفية ، لثلا ينبش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف محلي ، وثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة ، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري .

وفيها وردت النقاد من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة . وفيها اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدرهم ، ومنع التعامل بغيرها ، وسمى المضروب عليه الأُميري . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو بخراسان يخبره باقامة الخطبة بمكة للقاء بأمر الله وللسلطان ، وقطع خطبة المصريين ، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار وخلمة سنوية ، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهير بابنة نظام الملك بالرى . وحج بالناس أبو الغنائم العلوي ،

وفيها توفي من الأعيان والمشاهير . **الحسن بن علي**

ابن محمد أبو الجواز الواسطي ، سكن بغداد دهرا طويلا ، وكان شاعرا أديبا ظريفا ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة ، ومات في هذه السنة عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله
واحسرتني من قولها * قد خان عهدي ولها * وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطري * إلا كستني ولها

محمد بن أحمد بن سهل

المعروف بابن بشران النحوي الواسطي ، ولد سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان عالما بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة في اللغة ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا شائداً للقصور مهلاً * أقصر قصر الفتي المات
لم يجتمع شمل أهل قصر * إلا قصارام الشتات
وإنا العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات
ودعتم ولي الدنيا مودعة * ورحت مالي سوى ذكراهم وطرد
وقلت يا لذي بيني وبينهم * كأن صفو حياتي بعدهم كدر
لولا تملق قلبي بالرجاء لهم * ألفتة إن حدوا بالعيس ينظرو
يا ليت عيسهم يوم النوى نحر * أوليتها للضواري بالفلا جزر
يا ساعة البين أنت الساعة اقتربت * يالوعة البين أنت النار كستعرت
طلبت صديقا في البرية كلها * فأعيا طلابي أن أصيب صديقا
بلى من ممي بالصديق مجازه * ولم يك في معنى الوداد صدوقا
فطلقت ود العالمين ثلاثة * وأصبحت من أسرار الحفاظ طليقا

وفيها أقبل ملك الروم أرماتوس في جمافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج ، وعدد عظيم وعدد ، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة ، مع كل بطريق مائتا ألف فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا ، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا ، ومعه مائة ألف نقاب وحفار ، وألف روزجاري ، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير ، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق ، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل ، ومن عزمه قبحة الله أن يبديد الاسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقه البلاد حتى بغداد ، واستوصى نائبها بالخليفة خيرا ، فقال له : ارفق بذلك الشيخ فانه صاحبنا ، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة ، فاستعادوه من أيدي المسلمين ، والقدر يقول (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)

فالتقاء السلطان ألب أرسلان في جيشه وم قريب من عشرين ألفاً ، بمكان يقال له الزهوة ، في يوم الأربعاء الخامس بقين من ذي القعدة ، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه القتيبي أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للجهاديين ، فلما كان ذلك الوقت وتوافق الفريقان وتواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره ، فأنزل نصره على المسلمين ، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسر ملكهم أرماتوس ، أسره غلام رومي ، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال : كل قبيح ، قال : فما ظنك بي ؟ فقال : إما أن تقتل وتشهرني في بلادك ، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتميدني . قال : ما عزمت على غير العفو والفداء . فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبيل الأرض بين يديه ، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً ، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها ، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعة فرسخاً ، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره ، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه ، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار ، وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك .

وفيها خطب محمود بن مرداس للقائم وللسلطان ألب أرسلان ، فبعث إليه الخليفة بالخلع والهدايا والتحف ، والمهدم مع طراد . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العسوي ، وخطب بمكة للقائم ، وقطعت خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فانقطع ذلك .
وفيها توفي من الأعيان .

أحمد بن علي

ابن ثابت بن أحمد بن مهدي ، أبو بكر الخطيب البغدادي ، أحد مشاهير الحفاظ ، وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنفًا ، ويقال بل مائة مصنف .
فأله أعلم . ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين ، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة ، ونشأ ببغداد ، وتفقه على أبي طالب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز ، وسمى الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريجان ، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد وحظي عند الوزير أبي القاسم بن مسلمة ، ولما ادعى اليهود الخيابة أن معهم كتاباً نبويًا فيه إسقاط الجزية

عنهم أوقف ابن مسleme الخطيب علي هذا الكتاب . فقال : هذا كذب ، فقال له : وما الدليل علي كذبه ؟ فقال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل ، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد ، ولما وقعت فتنسة البساسيري ببغداد سنة خمسين خرج الخطيب إلى الشام فأقام بدمشق بالمأذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ علي الناس الحديث ، وكان جهوري الصوت ، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ علي الناس يوماً فضائل العباس فنار عليه الروافض من أتباع الفاطميين ، فأرادوا قتله فقتلهم بالشريف الزينبي فأجاره ، وكان مسكنه بدار العقبي ، ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستميرها من زوجته ، فلم يزل مقبياً بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته ، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور ، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً ، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يعضى ذلك ، فانه لا يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتاب التاريخ ، وكتاب الكفاية ، والجامع ، وشرف أصحاب الحديث ، والمتفق والمفترق ، والسابق واللاحق ، وتلخيص المتشابه في الرسم ، وفضل الوصول ، ورواية الآباء عن الأبناء ، ورواية الصحابة عن التابعين ، واقتضاء العلم للعمل ، والفقيه والمتفقه ، وغير ذلك . وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم . قال ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري ، أو ابتدأها فتمها الخطيب ، وجعلها لنفسه ، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفاً بالأدب يقول الشعر ، وكان أولاً يتكلم علي مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي ، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقسح فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبية في ذمهم ، ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه ، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إل أهلها بما يطول ذكره ، وقد أورد ابن الجوزي من شعره قصيدة جيدة المطلع حسنة المنزع أولها قوله :

لعمرك ما شعجاني رسم دارٍ * وقتتُ به ولا رسم الغاني
ولا أنزُ الخيام أراق دمي * لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً قيادي * ولا عاصيته فتني عنائي
ولم أطمع في وكم قنيلٍ * له في الناس ما تحصى دعائي

عرفت فعالمه بذوى التصابي * وما يلقون من ذل الهوان
 طلبت أحمأ صبيح الود محطى * سليم الغيب محفوظ اللسان
 فلم أعرف من الاخوان إلا * نفاقاً في التباعد والتداني
 وعالم دهرنا لا خير فيهم * ترى صوراً تروق بلامعاني
 ووصف جميعهم هذا فما أن * أقول سوى فلان أو فلان
 ولما لم أجد حراً يواتى * على ما ناب من صرف الزمان
 صبرت تكراً لفراع دهرى * ولم أجزع لما منه دهاني
 ولم أك في الشدائد مستكيناً * أقول لها ألا كوني كفاني
 ولكني صليب العود عود * ربيط الجاش مجتمع الجنان
 أبى النفس لا أختار رزقاً * بجي بغير سيفي أو سناني
 فمز في لظى باغيه بهوى * ألد من المنلة في الجنان
 وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه ترجمة حسنة كمادته وأورد له من شعره قوله :
 لا ينبطن أحمأ الدنيا زخرفها * ولا للذة عيش عجلت فرحا
 فالدهر أسرع شئ في قلبه * وفعلة بين للخلق قد وضحا
 كم شارب عسلاً فيه منيته * وكم مقلد سيفاً من قر به ذبحا

توفي يوم الاثنين ضحى من ذى الحجة منها ، وله ثنتان وسبعون سنة ، في حجرة كان يسكنها
 بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظامية ، واحتفل الناس بجنائزته ، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو
 إسحاق الشيرازى ، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافى ، في قبر رجل كان قد أعده لنفسه ، فستل أن
 يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه ، حتى قال له بعض الحاضرين : بالله عليك لو جلست أنت
 والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب ، فقيل له : فاصبح له به ، فوهبه منه
 فدفن فيه رحمه الله وسامحه ، وهو ممن قيل فيه وفي أمثاله قول الشاعر :

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

حسان بن سعيد

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن
 الوليد الخزرمي المنيعي ، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ،
 وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان
 يأتي إليه ويتبرك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والأطعمة ، ويتصدق به

وكان يكسو في كل سنة قريباً من ألف فقير ثياباً وجباباً، وكذلك كان يكسو الأرمال وغيرهن من النساء، وكان يجهز البنات الأيتام وبنات الفقراء، وأسقط شيئاً كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور، وقرأها وهو مع ذلك في غاية التبذل والنياب والاطمار، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة، في بلدة مرو الروز، تعهده الله رحمة، ورفع درجته، ولاخيب الله له سعيًا.

أمين بن محمد بن الحسن بن حمزه

أبو علي الجهمري فقيه الشيعة في زمانه محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي، سمع الحديث، وكان أديبا شاعرا، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض، ومن شعره قوله:

حملت المصلا للضمف أوجب حملها * على ولا أئى نحلث من الكبر
ولكننى أزلت نفسى حملها * لأعلمها أن المقيم على سفر

الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النمري

صاحب التصانيف المليحة الهائلة، منها التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، وغير ذلك. ابن زيدون الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي، اتصل بالأمر المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فخطب عنده وصار مشاراً في منزلة الوزير، ثم وزر له ولولده أبي بكر بن أبي الوليد، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها:

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحننا * شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكدأ حين تناجيكم ضاهرنا * يقضى عليها الامى لولانا سينا
حالت لبعدمكم أماننا فعدت * سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
بالامس كنا ولا نخشى تفرقنا * واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي طويلة وفيها صنعة قوية مهيبة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لأنه ما من أحد إلا فارق خلا أو حبيباً أو نسيباً، وله أيضاً:

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الاسرار لم يدع
يا بألما حظه منى ولو بذلت * لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبى ما * لاتستطيع قلب الناس يستطع
ته احتمل واستطل أصبر وعزهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطمع

توفي في رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمعتد بن عباد ، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين ، قتل يومئذ . قاله ابن خلكان .

كريمة بنت أحمد

ابن محمد بن أبي حاتم المروزي ، كانت عالة سالحة ، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني ، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبي المظفر السمعاني وغيرهما .

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الخنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخمر ، وفي إبطال المواجرات وهن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بقمه فاذاهن قدمتن كاهن ، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان « سفري خاتون » وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جبير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة .

ومن توفي فيها من الأعيان زكريا بن محمد بن حميد

أبو منصور النيسابوري ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفي في الحرم منها وقد قارب الثمانين .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسن الهاشمي ، خطيب جامع المنصور ، كان ممن يلبس القلائس الطوال ، حدث عن ابن زرقويه وغيره ، روى عنه الخطيب ، وكان ثقة عدلاً شهد عند ابن الدامغاني وابن ما كولا قبله توفي عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي .

محمد بن أحمد بن شاره

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني ، ولي القضاء بدجيل ، وكان شافئياً ، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي ، توفي ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

في يوم الخميس حادي عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي ، وقد كتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج

من أهل الحق والخير ، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك ، وأن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته ، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به ، وهو مخطئ ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه ، فعظمه

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي ، فأوقف بين يديه فشرع يماثبه في أشياء صدرت منه ، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها ، فقال للسلطان : يا مخنث ومثلي يقتل هكذا ؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه ، وأقبل يوسف نحو السلطان فتمضى السلطان عن السرير خوفاً منه ، فنزل عنه فمتر فوق فادرکه يوسف فضر به بخنجر كان معه في خاصرته فقتله ، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم ، فدعوا عليه فهلك .

ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تكلم أيها السلطان ، فقال : الأكبر منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني ، وسأفعل معكم مالم أسبق إليه . فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجنود سبعمائة ألف دينار ، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان ، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء ، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع ، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها ، وجلست على التراب ، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها . ففعل الخليفة ذلك ، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنياً ، وأعطاه نجفاً كثيرة ، من جملتها عشرون ألف دينار ، ولقبه أتابك الجيوش ، ومعناه الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة قاصداً قتال ابن أخيه ملكشاه ، فالتقيا فاقنتلا فانهزم أصحاب قاورت وأسره ، فأبته ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والتلايين فاقنتلوا قتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولى لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جنابية لهم على ما صنعوا . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس . وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العلوي .

وفيها توفي من الأعيان . السلطان ألب ارسلان

الملقب بسلطان العالم ، ابن داود جفري بك ، بن ميكائيل بن سلجوق التركي ، صاحب الممالك المتسعة ، ملك بعد عمه طغرل بك سبع سنين وستة أشهر وأياماً ، وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة ، كريم رحباً ، شفوفاً على الرعية ، رفيقاً على الفقراء ، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتفقد الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يعرف في زمانه جنابة ولا مصادرة ، بل كان يقنع من الرعية بالخراج في قسطين ، رفقاً بهم . كتب إليه بعض السعاة في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه فاستدعاه فقال له : خذ إن كان هذا صحيحاً فهدب أخلاقك وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر له زلته ، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته ، وترك من الأولاد ملكشاه وإياز ونكشور وبوري برس وأرسلان وارغو وسارة وعائشة وبناتاً أخرى ، توفي في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالرى رحمه الله .

أبو القاسم القشيري

صاحب الرسالة ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة ، أبو القاسم القشيري ، وأمه من بني سليم ، توفي أبوه وهو طفل فقرأ الأديب والعربية ، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق ، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي ، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك وصنف الكثير ، وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين ، وحج صحبة إمام الحرمين وأبي بكر البيهقي ، وكان يعظ الناس ، توفي بنيسابور في هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق ، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين ، احتراماً له ، وكان له فرس يركبها قد أهديت له ، فلما توفي لم تأكل علفاً حتى نفقت بدمه يبسير فانت ، ذكره ابن الجوزي ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر شيئاً من شعره من ذلك قوله :

سقى الله وقتاً كنتُ أخلو بوجهكم * وثغر الهوى في روضة الأانس ضاحكُ

أقنا زماناً والعيونُ قريرة * وأصبحتُ يوماً والجفونُ سوافكُ

وقوله لو كنتُ ساعةً بيننا ما بيننا * وشهدتُ حينَ فراقنا التوديعا

أيقنتُ أن من الدموعِ محدثاً * وعلمتُ أن من الحديثِ دموعا

وقوله ومن كان في طولِ الهوى ذاقَ سلوةً * فاني من ليلي لها غيرَ ذاتي

وأكثرُ شيءٍ نلتُهُ من وصالها * أماني لم تصدقْ كخطفةِ بارقِ

ابن صربعر

الشاعر اسمه علي بن الحسين بن علي بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر
وكان نظام الملك يقول له أنت صرّدر لا صربعر ، وقد هجاه بعضهم فقال :

لئن لقبَ الناسَ قدماً أباك * وسموه من شحر صربعا
فانك تنثر ما صره * عقوقاً له وتسميه شعرا

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش فان شعره في غاية الحسن ، ثم أورد له أبياتا حسانا فن ذلك :

أيه أحاديث نعمان وساكنه * أن الحديث عن الاحباب أسمار
أفئس الريح عنكم كلما نفحت * من نحو أرضكم مسكاً ومطاراً

قال : وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن شيران وغيره ، وحدث كثيرا ، وركب يوماً دابة
هو والدته فسقطا بالشونيزية عنها في بئر فماتا فدفنا ببرر ، وذلك في صفر من هذه السنة ، قال ابن
الجوزي : قرأت بخط ابن عقيل صربعر جارنا بالرصافة ، وكان ينفذ بالاحداد ، وقد أورد له ابن خلكان
شيئا من أشعاره ، وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله .

محمد بن علي

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسين ، ويعرف بابن العريف ، ولد
سنة سبعين وثلاثمائة وسمع الدارقطني ، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا ، وابن شاهين وتفرد عنه ،
وسمع خلقا آخرين ، وكان ثقة دينا كثير الصلاة والصيام ، وكان يقال له راهب بنى هاشم ، وكان
غزير العلم والعقل ، كثير التلاوة ، رقيق القلب غزير الدمعة ، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق ،
ثم قل سمعه ، وكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، وخطب وله ست عشرة سنة ، وشهد
عند الحكم سنة ست وأربعمائة ، وولى الحكم سنة تسع وأربعمائة ، وأقام خطيبا بجامع المنصور
وجامع الرصافة سنا وسبعين سنة ، وحكم سنا وخمسين سنة ، وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة
وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهودا ، ورئيت له منامات صالحة حسنة ، رحمه الله
وسامحه ورحمنا وسامحنا ، إنه قريب مجيب ، رحيم ودود .

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

في صفر منها جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدين ، أبو القاسم عبد الله
ابن المهدي بالله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو في غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء
فمقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه ، كثر الزحام يومها ، وهنأ الناس بعضهم بعضاً بالسلمة .

غرق بغداد

في جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قوى كثير ، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، حتى خاص ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حاسرات عن وجوههن ، حتى صرن إلى الجانب الغربي ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى الناج ، وكان ذلك يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وهلك للناس أموال كثيرة جداً . ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الأخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شيء كثير جداً ، وسقطت دور كثيرة في الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شبابيك المارستان المعضدي وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً ، وصدت سور سنجار فهدمه : وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفي ذى الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة فأنجفت منها نحو من عشرة آلاف نخلة . وعن توفى فيها من الأعيان .. أحمد بن محمد بن الحسن السعدي

الحنفي الأشعري . قال ابن الجوزي : وهذا من الغريب ، تزوج قاضي القضاة ابن الدامغانى ابنته وولاه نيابة القضاة ، وكان ثقة نبيلاً من ذوى الهيئات ، جاوز الثمانين .
عبد العزيز بن أحمد بن علي

ابن سليمان ، أبو محمد الكنتاني الحافظ الدمشقي ، سمع الكثير ، وكان يعل من حفظه ، وكتب عنه الخطيب حديثاً واحداً ، وكان معظماً ببلده ، ثقة نبيلاً جليلاً .
الملاوردية

ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزاً سالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تظفر نهراً ولا تنام ليلاً ، وتقتات بخبز الباقلا ، وتأكل من التين اليابس لا الرطب ، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت ، وربما أكلت من اللحم اليسير ، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين .

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً انتفخ منه حلقه ، وامتنع من الفصد ، فلم يزل الوزير نخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال ، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بما فيها وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الفرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس التلول تحت المطر ، ووقع وباء عظيم بالرحبة ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وأرض خراسان وغيرها والله أعلم .

موت الخليفة القائم بأمر الله

لما اقتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الفرق ، ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الاياس منه ، فاستدعى بحفيده وولى عهده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه فانبا بولاية العهد له من بعده ، فشهدوا ، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد تجاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة ، فكان مجموع أيامها خمساً وثمانين سنة وأشهرًا ، وذلك مقاوم لدولة بني أمية جميعها ، وقد كان القائم بأمر الله جميلاً مليحاً حسن الوجه ، أبيض مشرباً بحمرة ، فصيحاً ورعاً زاهداً ، أديباً كاتباً بليغاً ، شاعراً ، كما تقدم ذكر شئ من شعره ، وهو بحديثه عانة سنة خمسين ، وكان عادلاً كثير الاحسان إلى الناس رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلية عن وصية الخليفة بذلك ، فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال ، فلم يقبل منه شيئاً ، وصلى على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ، ودفن عند أجداده ، ثم نقل إلى الرصافة ، فقبره يرار إلى الآن وغلقت الأسواق لموته ، وعلقت المسوح ، وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم ، وجلس الوزير ابن جبير وابنه للعزاء على الأرض ، وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوماً عصيباً ، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام ، وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة ، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقة أهله وأولاده ووطنه ، فأقام بحديثه عانة سنة كاملة ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته . قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم * إذ هم قريشٌ وإذ ماملهم بشر

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى [ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب] وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص ، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين ، وإحدى وخمسين ، وأربعمائة .

خلافة المقتدي بأمر الله

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله بن الأمر ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسي ، وأمه أرمنية تسمى أرجوان ، وتدعى قرّة العين ، وقد أدركت خلافة ولدها هنا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر والمسترشد . وقد كان أبوه توفي وهو حمل ، فحين ولد ذكرًا فرح به جمه والمسلون فرحاً شديداً ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري ، لأن

من عدام كانوا يقبذون في الاسواق ، ويختلطون مع العوام ، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخليفة على الناس ، ونشأ هذا في حجر جده القائم بأمر الله يريه بما يليق بأمثاله ، ويدربه على أحسن السجايا والله الحمد ، وقد كان المقتدى حين ولي الخلافة عمره عشرين سنة ، وهو في غاية الجمال خلقا وخلقا ، وكانت بيئته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، وجلس في دار الشجرة ، بقيص أبيض ، وعمامة بيضاء لطيفة ، وطرحه قصب أحديه ، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه ، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي ، وأنشده قول الشاعر :

* إذا سيدنا مضى قام سيد *

ثم أرتج عليه فلم يدر ما بعده ، فقال الخليفة * قوول بما قال الكرام فقول *

وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، والشيخ أبو نصر بن الصباغ ، الشافعيان ، والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي ، وبرز فصلى بالناس المصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح ، فصلى عليه وحمل إلى المقبرة ، وقد كان المقتدى شهما شجاعاً أيامه كلها مباركة ، والرزق دار والخلافة معظمة جدا ، وتصاغرت الملوك له ، وتضاهوا بين يديه ، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها ، واسترجع المسلمون الرها وأنطاكية من أيدي العدو ، وعمرت بغداد وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جيهن ثم أبا شجاع ، ثم أعاد ابن جيهن وقاضيه الدماغاني ، ثم أبو بكر الشاشي ، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء والله الحمد .

وفي شعبان منها أخرج المفسدات من الخواطي من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالمار والفضيحة ، وخرب الخسارات ودور الزواني والمغانى ، وأسكنهن الجانب الغربي مع النمل والصغار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة ، وألزهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب . وفي شوال منها وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد ، حتى في دار الخلافة ، فأحترقت شيئا كثيراً من الدور والدكاكين ، ووقع بواسطة حريق في تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وثلاثون داراً وستة خانات ، وأشياء كثيرة غير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيهما عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالا كثيرة ، وبقي دائراً حتى مات السلطان فبطل .

وفي ذى الحجة منها أعيدت الخطب للمصريين وقطعت خطبة العباسيين ، وذلك لما قوى أمر صاحب مصر بعدما كان ضعيفا بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطاب العيش بها ، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر ، وستمود كما كانت على ماسياتي

بيانه في موضعه، وفي هذا الشهر أنجفل أهل السواد من شدة الوباء وقلة ماء دجلة ونقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي ، وأخذ البيعة للخليفة المقتدى بالحرمين .
ومن توفي فيها من الأعيان . الخليفة القائم بامر الله
عبد الله ، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند وفاته .

الداوودي

راوى صحيح البخارى ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ، أبو الحسن ، بن أبي طلحة الداوودي ، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، سمع الكثير وتفقه على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وأبي بكر التغال ، وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلي ، وكتب الكثير ودرس وأتقن وصنف ، ووعظ الناس . وكانت له يد طولى في النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثير الذكر ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك نجاس بين يديه فقال له الشيخ : إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم . وكانت وفاته ببوشح في هذه السنة وقد جاوز التسعين . ومن شعره الجيد القوي قوله :

كان في الاجتماع بالناس نوراً * ذهب النور واذلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً * فعلى الناس والزمان السلام

أبو الحسن علي بن الحسن

ابن علي بن أبي الطيب الباخريّ الشاعر المشهور ، اشتغل أولاً على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك واعد إلى الكتابة والشعر ، ففاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فنه :

وإني لأشكولسُ أصداعك التي * عقاربها في وجنتيك نجوم
وأبكي لدر الثغر منك ولي أبّ * فكيف نديم الضحك وهو يتيم

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصا ، فأكل الفلات وآذى الناس ، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسعار . قال : ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين . وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج ، وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنة في ذى القعدة منها . وفيها ملك الاقيس مدينة دمشق ، وانهمزم عنها المعلى بن حيدر نائب المستنصر المبيدى إلى مدينة بانياس ، وخطب فيها للمقتدى ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة . فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن .

قلت : الاقيس هذا هو أنسز بن أوف الخوارزمي ، ويلقب بالملك العظيم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين ، وأزال الأذان منها بحى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين : كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضى الله عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والمخطباء أن يتروا عن الصحابة أجمعين ، ونشر المدل وأظهر السنة : وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلجى إليه المسلمون من العدو ، فبناها في محلها هذ التي هي فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد ، وهو تجاه داررضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنما أكملها بده الملك المظفر تنش بن ألب أرسلان الساجوقى كما سيأتى بيانه . وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكيتى جنفل التركي ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شردخفاجة في البلاد وقهرهم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا ، فوصل إلى مكة سالما ، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد . فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شديدة ، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر . قاله ابن الساعى في تاريخه ، وأعيدت الخطبة في هذه السنة للباسيين في ذى الحجة منها ، وقطعت خطبة المصريين والله الحمد والمنة .

محمد بن علي

ومن توفى فيها من الأعيان .
ابن أحمد بن عيسى بن موسى ، أبو تمام ابن أبي القاسم بن القاضى أبي على الهاشمى ، تقيب الهاشميين ، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الحنبلى ، روى الحديث وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي ، ودفن بباب حرب .

محمد بن القاسم

ابن حبيب بن عبدوس ، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور ، سمع الحاكم وأبا عبد الرحمن السلمى وخلقا ، وتفقه على الشيخ أبي محمد الجوينى ، وكان يخلفه في حلقة .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسين البيضاوى الشافعى ، ختن أبي الطيب الطبرى على ابنته ، سمع الحديث وكان ثقة خيراً ، توفى في شعبان منها ، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغانى مأوماً ، ودفن بداره في قطعة الكرخ .

محمد بن نصر بن صالح

ابن أمير حاب ، وكان قد ملكها في سنة تسع وخسين ، وكان من أحسن الناس شكلا وفعلا .

مسعود بن الحسن

ابن الحسن بن عبد الرزاق بن جعفر البيضاى الشاعر ومن شعره :

ليس لي صاحبٌ معينٌ سوى إلا * بل إذا طال بالصدودِ عليا
 أنا أشكو بعد الحبيبِ إليه * وهو يشكو بعد الصباحِ إلينا
 يامن لبستُ لهجره طولَ الضنا * حتى خفيتُ إذا عن العوادِ
 وأنستُ بالسهر الطويلِ فأنسيتُ * أجفانُ عيني كيف كان رقادى
 إن كان يوسفُ بالجمالِ مقطوعاً * أيدي فانتِ مفتتُ الأكبَادِ

الواحدى المفسر

على بن حسن بن أحمد بن على بن بويه الواحدى ، قال ابن خلكان : ولا أدرى هذه النسبة إلى ماذا ، وهو صاحب التفاسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط والوجيز . قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه . قال : وله أسباب النزول ، والتجبير فى شرح الأسماء الحسنى ، وقد شرح ديوان المتنبي ، وليس فى شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون فى دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثعالبي ، وقد مرض مدة ، ثم كانت وفاته بنيسابور فى جمادى الآخرة منها .

ناصر بن محمد

ابن على أبو منصور التركي الصافرى ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القرآن ، وسمع الكثير ، وهو الذى تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ، وكان ظريفا صبيحا ، مات شابا دون الثلاثين سنة فى ذى القعدة منها ، وقد رناه بعضهم بقصيدة طويلة أوردتها كلها فى المنتظم ابن الجوزى .

يوسف بن محمد بن الحسن

أبو القاسم الهمداني ، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية ، توفى فى هذه السنة وقد قارب التسعين . ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أنسز بن أوف الخوارزمي لما انتزع دمشق من أيدي العبيديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلدة ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلدة منه الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكلها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، أقسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جده وعلاه وأطده وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ،

ثم ابتنى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى ، الطارمة الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها ، وفي المحرم منها مرض الخليفة مرضا شديدا فأرجف الناس به ، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا ، وفي جمادى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة ، إحدى عشرين ذراعا ونصفا ، فنقل الناس أموالهم وخيف على دار الخلافة ، فنقل تابوت القائم بأمر الله ليللا إلى الترب بالرصافة . وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية . وذلك أن ابن القشيري قدم بغداد فجالس يتكلم في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفى ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم ، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبى موسى شيخ الحنابلة ، وهو فى مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن ، وجرح آخرون ، ونارت الفتنة ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشى إلى نظام الملك فى كتابه إلى نخر الدولة ينكر ما وقع ، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التى بناها شىء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضباً مما وقع من الشر ، فأرسل إليه الخليفة يسكنه ، ثم جمع بينه وبين الشريف أبى جعفر وأبى سعد الصوفى ، وأبى نصر بن القشيري ، عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبى جعفر يعظمه فى الفعل والمقال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال : أنا ذلك الذى كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبى فى الأصول ، ما أقول فيها خلافا للأشعرية ، ثم قبل رأس أبى جعفر ، فقال له أبو جعفر : صدقت ، إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا مافى نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجه برك - يعنى نظام الملك - وشبعت ، أبديت ما كان مخفيا فى نفسك . وقام الشيخ أبو سعد الصوفى وقبل رأس الشريف أبى جعفر أيضاً وتلطف به ، فالتفت إليه مفضبا وقل : أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلمهم فيها مدخل ، وأما أنت فصاحب لهو وسباح وتعبير ، فمن زاحك منا على باطلاك ؟ ثم قال : أيها الوزير أنى تصلح بيننا ؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم يجرمون ويكفرون ؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهر اعتقادهما للناس على رؤس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ، ونحن على ذلك كما وافق عليه العراقيون والخراسانيون ، وقرىء على الناس فى الدواوين كلها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبى جعفر ، ثم استدعى الخليفة أبى جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرك بدعائه . قال ابن الجوزى : وفى ذى القعدة منها كثرت الأمراض فى الناس ببغداد وواسط والسواد ، وورد الخبر بأن الشام كذلك . وفى هذا الشهر أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد ، وهرب الفساق منها . وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه . وفيها تزوج

الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه الست أرسلان خاتون بنت داود عم
السلطان ألب أرسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها حاصر الأقيس صاحب دمشق مصر
وضيق على صاحبها المستنصر بالله ، ثم كر راجعاً إلى دمشق . وحج بالناس فيها الأمير جنغل
التركي ^(١) مقطوع الكوفة .

ومن توفي فيها من الأعيان **أسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي**
الشاعر ، لقي أبا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعياً
فتاب ، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده :

وإذا سئلتُ عن اعتقادي قلتُ ما * كانت عليه مذاهبُ الأبرارِ
وأقولُ خيرُ الناسِ بعدَ محمدٍ * صديقهُ وأُنيسهُ في النارِ
ثم الثلاثةُ بعدهُ خيرُ الوري * أكرمَ بهمٍ من سادةِ أطهارِ
هذا اعتقادي والذي أرجو به * فوزي وعنتي من عذابِ النارِ

طاهر بن أحمد بن بابشاذ

أبو الحسن البصري النهدي ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات من ساعته
في رجب من هذه السنة . قال ابن خلكان : كان بمصر إمام عصره في النحو ، وله المصنفات المفيدة
من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل للزجاجي . قال : وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل
في ديوان الانشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها ، وكان
له على ذلك معلوم وراتب جيد . قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا
له شيئاً فأخذه وذهب سريعاً ، ثم أقبل فرموا له شيئاً أيضاً فانطلق به سريعاً ثم جاء فرموا له شيئاً أيضاً
فدلو أنه لا يأكل هذا كله فتبعوه فاذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك ، فتمجبوا من
ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله هذا حيوان بهم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني
وأفاعبه وأعبده . ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة
في غرفة في جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كما ذكرنا . وقد جمع تعليقه في النحو وكان قريبان
خمس عشرة مجلداً ، فأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ، ويسمونها تعليق الغرفة .

عبدالله بن محمد بن عبد الله

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزارمرد ، أبو محمد الصريفي ،
ويعرف بابن المعلم ، أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين ، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول

(١) يعني هو نكل . كذا بهامش نسخة الآستانة .

عمره ، وهو آخر من حدث بالجمديات عن ابن حبانة عن أبي القاسم البغوي عن علي بن الجعد ، وهو سماعنا ، ورحل إليه الناس بسببه ، وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب ، وكان ثقة محمود الطريقة ، صافي الطوية ، توفي بصريفة في جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

حيان بن خلف

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي ، وولي بني أمية ، صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلداً ، أثنى عليه الحافظ . أبو علي النسائي في فصاحته وصدقه وبلاغته . قال : وسمعته يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالوادة ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة . قال ابن خلكان : توفي في ربيع الأول منها ، ورآه بعضهم في المنام فسأله عن حاله فقال غفر لي . وأما التاريخ فقدمت عليه ، ولكن الله بلطفه أقالني وعفا عني .

أبو نصر السجزي الواهلي

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل ، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم ، وله كتاب الابانة في الأصول ، وله في الفروع أيضاً . ومن الناس من كان يفضل في الحفظ على الصوري

محمد بن علي بن الحسين

أبو عبد الله الانماطي ، المعروف بابن سكينه ، ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان كثير السماع ، ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

قال ابن الجوزي : في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بحلة النبوة من الجانب الغربي ، على نخاعين في مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفأوا النار ، ونزلوا بالسعف وهو يشتمل ناراً . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزي وضمونه : أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الامام أحمد ، ومحل معرف عند الأئمة والناس ، وقدره معلوم في السنة . في كلام طويل . قال : وفي شوال منها وقت فتنة بين الحنابلة وبين قهلاء النظامية ، وحى لكل من الفريتين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً ، وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة . قال : وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء ، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون . قال : وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة ، وذكر ان الجوزي أن الوزير ابن جبير كان قد عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكة ،

فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين ، فكسر ذلك المنبر وأحرق .
ومن توفى فيها من الاعيان أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب

ابن أحمد أبو بكر البربوعى المقرئ آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون وقد كان ثقة متمبداً
حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب وقال : كان صدوقاً . توفى فى هذه السنة عن سبع وثمانين سنة .

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن ابن النقور البرزاز ، أحد السندين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة
عن ابن حبان عن البغوى عن أشياخه ، كندسخة هدبة وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبى السكن
البكرى ، وكان متكثراً متبحراً وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت بن عباد دیناراً ، وقد
أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث ، لاشتغاله به عن
الكسب . توفى عن تسع وثمانين سنة .

أحمد بن عبد الملك

ابن على بن أحمد ، أبو صالح المؤذن النيسابورى الحافظ ، كتب الكثير وجمع وصنف ، كتب
عن ألف شيخ ، وكان يهظ ويؤذن ، مات وقد جاوز الثمانين .

عبد الله بن الحسن بن علي

أبو القاسم بن أبى محمد الحلالى ، آخر من حدث عن أبى حفص الكنائى ، وقد سمع الكثير ،
روى عنه الخطيب ووثقه ، توفى عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب

عبد الرحمن بن منده

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبى عبد الله الامام ، سمع أباه
وابن مردويه وخلقاً فى أقاليم شتى ، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وممت حسن ، واتباع
للسنة وفهم جيد ، كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان مسعد
ابن محمد الريمائى يقول : حفظ الله الاسلام به ، وبعبد الله الانصارى الهروى . توفى ابن منده
هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل

عبد الملك بن محمد

ابن عبد العزيز بن محمد بن المظفر بن على أبو القاسم الهمداني أحد الحفاظ الفقهاء الأولياء ،
كان يلقب ببجير وقد سمع الكثير ، وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم ، توفى بالرى فى الحرم من هذه
السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

الشريف أبو جعفر الحنبلي

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطالب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلي العبّاسي ، كان أحد الفقهاء العلماء العبّاد الزهاد المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وزكاه شيخه عند ابن الدماغي قبله ، ثم ترك الشهادة بعد ذلك ، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشيء كثير ، ومال جزيل ، فلم يقبل من ذلك شيئاً ، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظماً ، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله فتوفي عندهم ليلة الخميس النصف في صفر منها ، ودفن إلى جانب الأمام أحمد ، فأنخذت العامة قبره سوقاً كل ليلة أربعمائة يترددون إليه ويقروون الختمات عنده حتى جاء الشتاء ، وكان جملة ما قرىء عليه وأهدى له عشرة آلاف ختمة والله أعلم .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو الحسن البيضاوي ، أحد الفقهاء الشافعيين بربيع الكرخ ودفن عند والده .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها إقسيس ، وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجد على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله قتل لساعته ، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالاً ، وستين حبة لؤلؤ كل حبة منها أزيد من مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب وغير ذلك . وقد كان إقسيس هذا هو أفسز بن أوف الخوارزمي ، كان يلقب بالمعظم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سيرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بمجي على خير العمل ، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين . وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الاسلام بالشام المحروس ، فرحمه الله وبل بالرحمة نراه ، وجعل جنّة الفردوس مأواه . وفيها عزل الوزير ابن جبير بأشارة نظام الملك ، بسبب ممالأته على الشافعية ، ثم كاتب المتمدني نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو . وفيها قدم سعد الدولة جوهر أميراً إلى بغداد ، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات ، وأسأه الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخليل على باب الفردوس ، فكاتب السلطان بأمره نجباء الكتاب من السلطان بالانكار عليه . وحج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أنابه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان . . سعد بن علي

ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني ، رحل إلى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً متعبداً ، ثم انقطع في آخر عمره بمكة ، وكان الناس يتبركون به . قال ابن الجوزي : ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

سليم بن الجوزي

نسبة إلى قرية من قرى دجيل ، كان عابداً زاهداً يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبينة ، وقد سمع الحديث وقرئ عليه رحمه الله .

عبدالله بن شمعون

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني ، توفي ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة من بلاد الهند ، ثم عاد إلى بلاده سلماً غانماً . وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدى بالله ، وزينت له بغداد وفيها ملك صاحب الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه . وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه . وفيها أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار ، فضمن خمارتكين البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس في كل سنة . وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنغل التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدى وللسلطان ملكشاه السلجوقي .

ومن توفي فيها من الأعيان عبدالله بن الحسن بن أحمد بن حبرون

أبو نصر سمع الكثير وكان زاهداً عابداً ، يسرد الصوم ، ويختم في كل ليلة ختمه رحمه الله .

محمد بن محمد بن أحمد

ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبري ، سمع هلال الحفار ، وابن زرقويه والحامبي وغيرهم ، وكان فاضلاً جيد الشعر ، فن شعره قوله :

أطيلُ فكري في أي ناسٍ * مضوا قدماً وفيمن خلفونا

هم الأحياء بعد الموتِ ذكراً * ونحن من الخمول الميتونا

توفي في رمضان منها وله سبعون سنة .

هياج بن عبدالله

الخطيب الشامي ، سمع الحديث وكان أوحداً زمانه زهداً ووقفاً واجتهاداً في العبادة ، أقام بمكة مدة

يفتى أهلها ويمتد في كل يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس نعلا منذ أقام بمكة ، وكان يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله ، مع أهل مكة ماشياً ، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف ، وكان لا يدخر شيئاً ، ولا يلبس إلا قيصاً واحداً ، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض فاشتكى أياماً ومات ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان . وفيها أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ ، وكانوا قد منعوا في فتنة ابن القشيري . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيساً يقال له عبد القادر الهاشمي ، وقد كاتبوه من الأقطار ، وكان الساعى له رجلاً يقال له ابن رسول ، وكانو يجتهدون عند جامع برانا ، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحبس بالناس جنفل .

ومن توفي فيها من الأعيان . . . أحمد بن محمد بن عمر

ابن محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث ، سمع على بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللاً من الدنيا قنوعاً ، رحمه الله .

الصليحي

المتناب على اليمن ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي ، كان أبوه قاضياً باليمن ، وكان سفياً ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعياً على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكاملها في أقصر مدة ، واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفي فارس ، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم ، في نفر يسير ، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصليحي هذا قوله :

أنكحت بيض الهند ممر رماحهم * فرؤسهم عرض النثار نثاراً
وكذا الملا لا يستباح نيكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

محمد بن الحسين

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي ، أبو علي الشاعر البغدادي ، أسند الحديث ، وله الشعر الرائق فنه قوله : لا تظهرن لصادل أو عاذر * حالك في السراء والضراء
فلرحم المتوجعين مرارة * في القلب مثل شامة الأعداء

وله أيضاً يفنى البخيلُ بجمع المالِ مدته * وللحوادثِ والوراثِ ما يدعُ
كدودةِ النَمْرِ ما تبنيه يخنقها * وغيرها بالذي تبنيه يفتنعُ

يوسف بن الحسن

ابن محمد بن الحسن ، أبو القاسم العسكري ، من أهل خراسان من مدينة زنجان ، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أكبر تلاميذه ، وكان عابداً ورعاً خاشعاً ، كثير البكاء عند الذكر ، مقبلاً على العبادة ، مات وقد قارب الثمانين .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة ديبس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه السلطان والخليفة . وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران ، وصالح صاحب الرها . وفيها فتح تقش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة أنططوس . وفيها أرسل الخليفة ابن جهمر إلى السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك .

وفيها توفي من الأعيان . . . داود بن السلطان بن ملك شاه

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً ، بحيث إنه كاد أوهّم أن يقتل نفسه ، فمنعه الامراء من ذلك ، وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه . ولما وصل الخبّر لبغداد جلس وزير الخليفة للامراء .

القاضي أبو الوليد الباجي

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي ، أحد الحفاظ المكثرين في الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ، فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي ، وأقام ببغداد ثلاث سنين ، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضيها ، فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً * بأن جميعَ حياتي كساعةٌ

فلمَ لا أكونُ كضيفٍ بها * وأجعلُها في صلاحِ وطاعةٍ

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولى القضاء هناك ، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً ، قاله ابن خلكان . قال : وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول ، والجرح والتعديل ، وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي ليلة الخميس بين

العشاء من التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

أبو الأغر دهميس بن علي بن مزيد

المقلب نور الدولة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة : مكث منها أميراً نيفاً وستين^(١) سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل ، ولقب بهاء الدولة .

عبد الله بن أحمد بن رضوان

أبو القاسم البغدادي ، كان من الرؤساء ، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين ، فكث في بيت مظلم لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها قدم مؤيد الملك فنزل في مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث . وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونساءهم ، يتبركون به ويتمسحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بقلته . ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتار بسوق الأسا كفة ، فلم يكن عندهم إلا مداساة الصغار فنثروها عليه ، فجعل يتمجب من ذلك . وفيها جدت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة ، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار . وفيها حارب السلطان أخاه تنش فأسره ثم أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحج بالناس جنفل .

عبد الوهاب بن محمد

وتوفي فيها من الأعيان .

ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق

ابن ماحولا

وسمع الكثير ، وتوفي بأصبهان .

الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي ، الأمير سمع الملك ، أبو نصر ابن ماحولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك . قتله مماليكه في كرمان في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين ، وقيل في سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد . قال : ولم أدر لم سمى الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف ، وأصله من جر باذقان ، وولد في عكبرا في شعبان سنة (١) كذا بالأصل وفي النجوم الزاهرة أيضا . وفي الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعا وخمسين سنة .

إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الأكمال ، وهو في غاية الأفادة ورفع الالتباس والاضبط . ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج هذا الأمير بعينه إلى فضيلة أخرى ، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه ومحريره وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قَوْصَ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تَهَانُهَا * وَجَانِبِ الدُّلِّ إِنْ الدُّلُّ يُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الأَوْطَانِ مَنْقُصَةً * فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان ، فعقد لولده نحر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالخلع والكوسات والمساكر ، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان ، وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة ، فسا زال حتى انتزعها من أيديهم ، وبأد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه ، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ، ولقب ظهير الدين ، وفي جمادى الآخرة ولي مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن ابن المأمون ، المتولى تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن حلبه وابنيه على السور . وفي شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا ، وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك ، وقال له سلمهم إلى حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك سماطاً هائلاً ، واستحضر غلمانهم وكانوا ألوفاً من الأتراك ، وشرع يقول للسلطان : هذا كله من أموالك ، وما وقتنه من المدارس والربط ، وكاه شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة ، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقة وزاوية ، فمعد ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن ، وقد كان حاضياً عنده ، وخصيصاً به وجهاً لديه ، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاها مؤيد الملك . وحج بالناس الأمير جنغل التركي مقطع الكوفة . ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

إبراهيم بن علي بن يوسف الفير وزاباذي ، وهي قرية من قرى فارس ، وقيل هي مدينة خوارزم ، شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية ببغداد ، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقاني ، وكان زاهداً عابداً ورعاً ، كبير القدر معظماً محترماً

إماما في الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة النافعة ، كالمهذب في المذهب ، والتنبيه ، والنكت في الخلاف ، واللمع في أصول الفقه ، والتبصرة ، وطبقات الشافعية وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في أول شرح التنبيه ، توفي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة في دار أبي المظفر بن رئيس الرؤساء ، وغسله أبو الوثابن عقيل الحنبلي وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدى بأمر الله ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ، وكان يومئذ لابسا ثياب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب إبرز في تربة مجاورة للناحية رحمه الله تعالى ، وقد امتدحه الشعراء في حياته و بعد وفاته ، وله شعر رائع ، فما أنشده ابن خلدكان من شعره قوله :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنِ خَلِيٍّ وَفِي * فَقَالُوا مَا إِلَى هَذَا سَبِيلٌ

تَمَسَّكَ إِنْ ظَفَرْتُ بِذِيْلٍ حَرٍّ * فَانَ الْحَرُّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

قال ابن خلدكان : ولما توفي عمل الفقهاء عزاءه بالنظامية ، وعين مؤيد الملك أبا ساعد المتولي مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه .

طاهر بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله القواس ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري وأفتى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعا زاهدا ملازما لمسجده خمسين سنة ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن قريبا من الامام أحمد ، رحمه الله وإيانا .

محمد بن أحمد بن اسماعيل

أبو طاهر الأنباري الخطيب ، ويعرف بابن أبي الصفر ، طاف البلاد وسمع الكثير ، وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا ، وقد سمع منه الخطيب البغدادي ، وروى عنه مصنفاته ، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة ، رحمه الله .

محمد بن أحمد بن الحسين بن جواد

أحد الرؤساء ببغداد ، وهو من ذوى الثروة والمروءة ، كان يجزر ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد ، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا ، وفيها حمام وبستان ، ولها بابان ، على كل باب مسجد ، إذا أذن المؤذن في إحداها لا يسمع الآخر من اتساعها ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة ، نزلت عنده في جواره ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ،

ليحى له داره ، وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد ، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس ، وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن فى التربة المجاورة لتربة القزوينى ، رحمه الله وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فبها كانت الحرب بين نجر الدولة بن جبير وزير الخليفة وبين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جبير على ملك العرب وسبى حر بهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس بن علي بن يزيد الأسدى ، فافتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشعراء . وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جبير فى عسكر كثيف ومعه قسيم الدولة أقسنقر جد بنى أنابك ملوك الشام والموصل ، فسارا إلى الموصل فلكوها . وفى شعبان منها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، فأزاد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه ، فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له فى كل قرية وال وقاض وصاحب خبر ، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولى بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجوناً من سنين فأطلق وملك . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى العشرين من رجب بسنجار . وفيها عصى تكش أخو السلطان فأخذ السلطان نفسه وسجنه . وحج بالناس فى هذه السنة الأمير خمار تكين الحسنانى ، وذلك لشكوى الناس من شدة سير جنفل بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سافر مرة من الكوفة إلى مكة فى سبعة عشر يوماً .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن دويست

أبو سعد النيسابورى ، شيخ الصوفية ، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجبل براكبه ، وحج مرات على البحر يد على البحرين ، حين انقطعت طريق مكة ، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتى مكة ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين ، رحمه الله وإيانا ، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط .

ابن الصباغ

صاحب الشامل ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ ، ولد سنة أربعمائة ، وتفقه ببغداد على أبي الطيب الطبرى حتى فاق الشافعية بالعراق ، وصنف المصنفات المفيدة ، منها الشامل فى المذهب ، وهو أول من درس بالنظامية ، توفى فى هذه السنة ودفن بداره فى الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله ، قال ابن خلكان : كان فقيه العراقين ، وكان يضاهاى أبا إسحاق ، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب ، وإليه الرحلة فيه ، وقد صنف الشامل فى الفقه والعمدة فى أصول الفقه ، وتولى تدريس النظامية أولاً ، ثم عزل بعد عشرين

يوماً بالشيخ أبي إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاهما أبو سعد المتولى ، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولى ، وكان ثقة حجة صالحاً ، ولد سنة أربع مائة ، أضر في آخر عمره ، رحمه الله وإيانا .

مصعود بن ناصر

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، أبو سعد السجري الحافظ ، رحل في الحديث وسمع الكثير ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان صحيح الخط ، صحيح النقل ، حافظاً ضابطاً ، رحمه الله وإيانا .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين و أربع مائة

في المحرم منها زلزلت أرجان فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم . وفيها كثرت الأمراض بالحمى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ، ثم ماتت الوحوش في البراري ثم تلاها موت البهائم ، حتى عزت الألبان والحمان ، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها . وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رملاً ، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها ، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك والله الحمد . وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين ، وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها استولى غر الدولة ابن جهير على بلاد كثيرة ، منها آمد وميا فارقين ، وجزيرة ابن عمر ، وانقضت بنو مروان على يده في هذه السنة . وفي ثاني عشر رمضان منها ولي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد ، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغاني ، وخاع عليه في الديوان . وحج بالناس جنفل ، وزار النبي (س) ، ذاهباً وآيياً . قال : أظن أنها آخر حجتي . وكان كذلك . وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل محلة ، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار ، وكسر آلات الملاهي ، وإراقة الخور ، وإخراج أهل الفساد من البلاد ، أنابه الله ورحمه .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب ، أبو بكر الفوركي ، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك ، استوطن بغداد وكان متكلماً يعظ الناس في النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال ابن الجوزي : وكان مؤثراً للدين لا يتحاشى من لبس الحرير ، وكان يأخذ مكس الفحم ويقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة ، مات وقد ناف على الستين سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرفة الزوايا .

الحسن بن علي

أبو عبد الله المردوسي ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروءة ، كان خدماً في أيام بني بويه وتأخر لهذا الحين ، وكانت الملوك تعظمه وتمكاتبه بعبده وخادمه ، وكان كثير الصدقة والصلوات

والبر، وبلغ من العمر خمساً وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبراً وكفنا قبل موته بخمسة سنين .
 أبو سعد المتولي

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي : مصنف التتمة ، ومدرس الظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي ، وكان فصيحاً بليغاً ، ماهراً بعلوم كثيرة ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة وله ستة وخمسون سنة ، رحمه الله وإيانا ، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشاشي .

إمام الحرمين

عبد الملك بن [الشيخ أبي محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، أبو المعالي الجويني ، وجوين من قرى نيسابور ، الملقب بإمام الحرمين ، لمجاورته بمكة أربع سنين ، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة ، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ، ودرس بمدنه في حلقة ، وتفقه على القاضي حسين ، ودخل بغداد وتفقه بها ، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب ، والبرهان في أصول الفقه ، وغير ذلك في علوم شتى ، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده . قال ابن خلدكان : كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ ، وأمرها أن لا تدع أحدا يرضعه غيرها ، فانفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذته الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقة ولم يزل به حتى قاه ما في بطنه من لبن تلك المرأة . قال : وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور ووقفه فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه الحراب والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، وصنف في كل فن ، وله النهاية التي ما صنف في الإسلام مثلها . قال الحافظ أبو جعفر : سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين : يا مفييد أهل المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئمة . ومن تصانيفه الشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه ، وتلخيص التقریب ، والارشاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأمم ^(١) وغير ذلك مما سماه ولم يتمه . وصلى عليه ولده أبو القاسم وغلقت الأسواق وكسر تلاميذه أعلامهم - وكانوا أربعمائة - ومحارمهم ، ومكثوا كذلك سنة ، وقد رثى بمرأى كثيرة فن ذلك قول بعضهم :

(١) عد ابن خلدكان من تصانيف إمام الحرمين «مغيث الخلق في اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من مؤلفاته لذكره ابن كثير وهو متأخر عن ابن خلدكان. فهذا الكتاب ممدسوس على إمام الحرمين

قلوب العالمين على المقاتلي * وأيام الوري شبه الليالي
أيشمر غصن أهل العلم يوماً * وقد مات الامام أبو المعالي

محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو علي بن الوليد ، شيخ المعتزلة ، كان مدرساً لهم فأنكر أهل السنة عليه ، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفي في ذى الحجة منها ، ودفن في مقبرة الشونيزي ، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزويني المعتزلي المفسر في إباحة الولدان في الجنة ، وأنه يباح لأهل الجنة وطه الولدان في أدبارهم ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرهما ، قال هذا إلى إباحة ذلك ، لأنه مأمون المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هذا لا يكون لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار ؟ وهذا العوض - وهو الدبر - إنما خلق في الدنيا لحاجة العباد إليه ، لأنه مخرج للأذى عنهم ، وليس في الجنة شيء من ذلك ، وإتمام فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فإذا هم ضمير فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبي الحسين البصري بسنده المتقدم ، من طريق شعبة عن منصور عن ربيع عن أبي مسعود البدرى أن رسول الله (ص) قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقد رواه القعنبى عن شعبة ، ولم يرو عنه سواه ، فقيل : إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول في البالوعة فسأله أن يحدته فامتنع ، فروى له هذا الحديث كالوعظ له به ، والتزم أن لا يحدته بغيره ، وقيل : لأن شعبة مر على القعنبى قبل أن يشتغل بعلم الحديث - وكان إذ ذاك يعاني الشراب - فسأله أن يحدته فامتنع ، فسل سكيناً وقال : إن لم تحمديني وإلا قتلتك ، فروى له هذا الحديث ، فتاب وأتاب ، ولزم مالكا ، ثم فاته الدماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فآله أعلم .

أبو عبدالله الدامغانى القاضى

محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغانى ، قاضى القضاة ببغداد ، مولده في سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فنفقها بها على أبي عبد الله الصيمرى ، وأبى الحسن القدورى ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النقوم والخطيب وغيرهم ، وبرع في الفقه ، وكان له عقل وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليه رياسة الفقهاء ، وكان فصيحاً كثير العبادة ، وقد كان فقيراً في ابتداء طلبه ، عليه أظمار رثة ، ثم صارت إليه الرياسة والقضاء بعد ابن ماكولا ، في سنة تسع وأربعين وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طغرل بك يعظمه ، وبأشر الحكم ثلاثين سنة في أحسن سيرة ، وغاية الامانة والديانة ، مرض أياماً يسيرة ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة ، وقد ناهز الثمانين ، ودفن بداره بدرب الملايين ، ثم نقل إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله .

محمد بن علي بن المطلب

أبو سعد الأديب ، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ، ثم أقبل عن ذلك كله ، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم ، إلى أن توفى في هذه السنة عن ست وثمانين سنة رحمه الله .

محمد بن طاهر العباسي

ويعرف بابن الرجيجي ، تفقه على ابن الصباغ ، وناب في الحكم ، وكان محمود الطريقة ، وشهد عند ابن الدامغانى قبله . منصور بن دبيس

ابن علي بن مزيد ، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة ، كان كثير الصلاة والصدقة ، توفى في رجب من هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب ، وفيه فضل ، فمن شعره قوله :

فان أنا لم أحمل عظيمًا ولم أقد * لهاما ولم أصبر على كل معظم
ولم أحجز الجاني وأمنع جوره * غداة أنادى للفخار وأتسمى
فلا نهضت لي همة عربية * إلى المجدتر في ذي كل محرم

هبة الله بن أحمد بن السجبي

[قاضى الحرم بدمر على ، و] مؤدب الخليفة المقتدى بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفى في محرم هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فنه قوله :

رجوت الثمانين من خالقي * لما جاء فيها عن المصطفى
فبلغنيها فشكرًا له * وزاد ثلاثًا بها إذ وفا
وإني لمننظر وعدة * لينجزه لي ، فدل أهل الوفا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

وفيها كانت الوقعة بين تنش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهمز أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه ، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها ، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها ، مثل حران والرها وقلعة جعبر ، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمى ، وله ولدان ، وكان قطاع الطريق ياجأون إليها فيتحصنون بها ، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه ، فنصب عليها المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق ، فقالت زوجته : لا تقتله حتى تقتلني معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت ، فلأمها بعض الناس فقالت : كرهت أن يصل إلي التركي فيبقى ذلك عارا علي ، فاستحسن منها ذلك ، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة وحران والركة وسروج والخابور :

محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل نغر الدولة بن جبير عن ديار بكر ، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي ، وخلع على سيف الدولة صدقة بن ديبس الأسدي ، وأقره على عمل أبيه ، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة قبل يده ووضعها على عينيه ، وخلع عليه الخليفة خلعا سنيا ، وفوض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه ، يعرفه بالأمرأه واحدا بعد واحد ، باسمه وكم جيشه وأقطاعه ، ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنيا ، وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فاستحسنها إلا أنه استصفرها ، واستحسن أهلها ومن بها وحد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم ، ونزل بمخزاة كتبها وأملى جزءا من مسموطاته ، فسمه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحسني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم ، فرتبه مدرسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولي .

وفي ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها ، وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئا كثيرا من العمران ، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسني ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلعت الصنم التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري ، وجدد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدى . قال ابن الجوزي : وظهر رجل بين السنديّة وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل في أسرع مدة ، ويفوض دجلة في غوصتين ، ويقفز الفقرة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتساق الحيطان الماس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفي فقير في جامع المنصور فوجد في مرقمته ستمائة دينار مغربية ، أي صحاحا كبيرا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سباطا للسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الفم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من السكر ، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش ، ثم أردفه من السكر شيئا كثيرا ، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا ، ثم أشار فأنهب عن آخره ، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة ، وألوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك ، فدفعه سباطا خاصا فأكل السلطان حينئذ ، وحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكاله ، وانصرف والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الأمير جعفر بن سابق القشيري

الملقب بسابق الدين ، كان قد تملك قلعة جعفر مدة طويلة فنسبت إليه ، وإنما كان يقال لها

قبل ذلك الدوشرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثم إن هذا الأمير كبير وعى ، وكان له ولدان بقطمان الطريق ، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب فأخذ القلعة وقتله كما تقدم .

الأمير جنغل قتلغ

أمير الحاج ، كان مقطعا للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم وشتمهم في البلاد شذر منذر ، وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار حسنة بطريق مكة ، في إصلاح المصانع والاماكن التي تحتاج إليها الحجاج وغيرهم ، وله مدرسة على الحنفية بمشهد يونس بالكوفة ، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة ، بمشرفة الكرخ . توفي في جمادى الأولى منها رحمه الله ، ولما بلغ نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل ، والله أعلم .

علي بن فضال المشاجمي

أبو علي النحوى المغربي ، له المصنفات الدالة على علمه وغزارة فهمه ، وأسند الحديث . توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب إبرز .

علي بن أحمد التستري

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه ، وله مراكب تعمل في البحر ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفرد برواية سنن أبي داود . توفي في رجب منها .

يحيى بن اسماعيل الحسيني

كان قريبا على مذهب زيد بن علي بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

في الحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجلدة بالديباج الرومي ، غالبها أواني الذهب والفضة ، وعلى أربع وسبعين بغلة مجلدة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة ، فيها أنواع الجواهر والحلى ، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب ، مرصعة بالجواهر ، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر ، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أباشجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون ، حماة الخليفة ، وسألها أن تحمل الودعة الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل مالا يحصى ، وجاءت نساء الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجواربها ، وبين أيديهن الشموع والمشاعل ، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع ، في محفة مجلدة ، وعليها من الذهب والجواهر مالا

تحصى قيمته ، وقد أحاط بالحفة مائتا جارية تركية ، بالراكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار ، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وقد زين الحريم الطاهر وأشملت فيه الشموع ، وكانت ليلة مشهودة للخليفة ، هائلة جدا ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطا لم يرمثه ، عم الحاضرين والغائبين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم الروس ، وكان أيضاً يوماً مشهوداً ، وكان السلطان متغيباً في الصيد ، ثم قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها في أول السنة ، ولدت من الخليفة في ذى القعدة ولدا ذكرا زينت له بغداد . وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محمودا ، وهو الذى ملك بعده . وفيها جعل السلطان ولده أباشجاع أحمد ولى العهد من بعده ، ولقبه ملك الملوك ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر ، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه . وفيها شرع في بناء التاجية في باب إبرز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان ، والله أعلم

ومن توفى فيها من الأعيان .

إسماعيل بن إبراهيم

ابن موسى بن سعيد ، أبو القاسم النيسابورى ، رحل في الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ماوراء النهر ، وكان له حظ وافر في الأدب ، ومعرفة العربية ، توفى بنيسابور في جمادى الأولى منها .

طاهر بن الحسين البندنجي

أبو الوفا الشاعر ، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما معجمة والأخرى غير منقوطة ، أولها :
لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا * وردك لومهم هم وآلام
توفى ببغداد في رمضان عن نيف وسبعين سنة .

محمد بن أمير المؤمنين المعتدي

عرض له جدري فمات فيها وله تسع سنين ، فحزن عليه والده والناس ، وجلسوا للرزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، حين توفى ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى [والذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] ثم عزم على الناس فأنصرفوا .

محمد بن محمد بن زيد

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الحسيني ، الملقب بالمرتضى ذى الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئا من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة ، وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك

أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس ملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية لبيتزده فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة : فأبى ربيت في النعيم فكنت أقول : إن مثلي لا بد أن يبتلى ، ثم منعه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

محمد بن هلال بن الحسن

أبو الحسن الصابي ، الملقب بفارس النعمة ، سمع أباه وابن شاذان ، وكانت له صدقة كثيرة ، ومعروف ، وقد ذيل على تاريخ أبيه الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري ، وقد أنشأ داراً ببغداد ، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد ، في فنون من العلوم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد على .

هبة الله بن علي

ابن محمد بن أحمد بن المجلي أبو نصر ، جمع خطباً ووعظاً ، وسمع الحديث على مشايخ عديدة ، وتوفي شاباً قبل أوان الرواية . أبو بكر بن عمر أمير الملقمين

كان في أرض فرغانة ، اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك ، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل ، كان يعتقد طاعته ، وكان مع هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الاسلام ، ويجوِّط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية ، مع صحة اعتقاده ودينه ، وموالاته الدولة العباسية ، أصابته نشابة في بعض غزواته في حلقه قتلته في هذه السنة .

فاطمة بنت علي

المؤدبة الكاتبة ، وتعرف ببنت الأقرع ، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البواب ، ويكتب الناس عليها ، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندي رقعة فأعطها ألف دينار ، توفيت في المحرم من هذه السنة ببغداد ، ودفنت بباب إبرز .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد ، وجرت خطوب كثيرة . وفي ربيع الأول أخرجت الأتراك من حریم الخلافة ، فكان في ذلك قوة للخلافة . وفيها ملك مسعود بن

الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند . وحج بالناس الأمير خمارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان . **أحمد بن السلطان ملكشاه**

وكان ولي عهد أبيه . توفي وعمره إحدى عشرة سنة ، فكث الناس في العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً ، والناس ينحن عليه في الأسواق ، وسود أهل البلاد التي لأبيه أبواهم .

عبدالله بن محمد

ابن علي بن محمد ، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي ، روى الحديث وصنف ، وكان كثير السهر بالليل ، وكانت وفاته بهراة في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد ، واستناب ولده أبا منصور وفتيب النقباء طراد بن محمد الزينبي .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في المحرم درس أبو بكر الشاشي في المدرسة التاجية بباب إبرز ، التي أنشأها صاحب تاج الدين أبو الفناهم على الشافعية . وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ، ورفعوا المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، وقتل فيها خلق كثير ؛ نقل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل ، قال : وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي (س) ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ ، وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله ، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم ، لله ولرسوله وشريعته . وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناحية ، بعد حروب عظيمة ، ووقعات هائلة . وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجمها إليه ، فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيماها إلى النهر وان وذلك في ربيع الأول ، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت في شوال من هذه السنة ، بأصبهان ، فعمل عزاهاب بغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان . **عبد الصمد بن أحمد بن علي**

المعروف بطاهر ، النيسابوري الحافظ ، رحل وسمع الكثير ، وخرج ، وعاجله الموت في هذه السنة

بهمدان وهو شاب . **علي بن أبي يعلى**

أبو القاسم الدبوسي ، مدرس النظامية بعد المتولى ، سمع شيئاً من الحديث ، وكان فقيهاً ماهراً ،

وجدياً باهراً ،

عاصم بن الحسن

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران ، أبو الحسين العاصمي ، من أهل الكرخ ، سكن باب الشعير
ولد سنة سبع وتسعين وثلثمائة ، وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ،
وكان ثقة حافظاً ، ومن شعره قوله :

لحفي على قوم بكاطمة * ودعنتهم والركبُ معترضُ
لم تترك العبراتُ مذ بعدوا * لي مقلةٌ تزو وتتمضُ
رحلوا فدمعي واكفٌ هطلُ * جارٍ وقلبي حشوهُ مرضُ
وتعرضوا لا ذقتُ فقدمُ * عني ومالي عنهم عروضُ
أقرضتهم قلبي على ثقة * منهم فاردوا الذي أقرضوا

محمد بن أحمد بن حامد

ابن عبيد ، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي ، أقام ببغداد وتعرف بقاضي حلب ، وكان حنفي
المذهب في الفروع ، معتزلياً في الأصول ، مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

محمد بن أحمد بن عبدالله

ابن محمد بن إسماعيل الأصبهاني ، المعروف بمسرفة ، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين ، سمع الكثير
وجمع الكتب ، وأقام بهراة ، وكان صالحاً كثير العبادة ، توفي بنيسابور في ذي الحجة من هذه السنة
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة .

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية ، فدرس
بها ، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق
الحال على أن يدرس هذا يوماً وهذا يوماً ، وفي جمادى الأولى دم أهل البصرة رجل يقال له بلياء ،
كان ينظر في النجوم ، فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي ، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً ،
من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم يرفي الإسلام مثلها ، وأتلف شيئاً كثيراً من الدواليب
والمضانع وغير ذلك . وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزيني بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها
استفتى على معلى الصبيان أن ينعوا من المساجد صيانة لها ، فأفتوا بمنعهم ، ولم يُستثنَ منهم سوى
رجل كان قهياً شافياً يدرى كيف تصان المساجد ، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام « سدوا
كل خوخة الاخوخة أبي بكر » وحج بالناس خمار تكين على العادة .

الوزير ابو نصر بن جبير

ومن توفي فيها من الأعيان

ابن محمد بن محمد بن جبير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء ، ووزر للقائم ، ثم لولده المقتدى ، ثم

عزل ملكشاه السلطان وولى ولده نجر الدولة ديار بكر وغيرها ، مات بالموصل وهي بلده التي ولد بها
وفيهما كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ، ويذكر
في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدى الخلق إلى الحق ،
فان أظعم أمنتم من العذاب ، وإن عدتم خسف بكم ، فأمنوا بالله وبالامام المهدي . وفيها أزم أهل
الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار ، وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها . وفي جمادى الأولى قدم
الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية ، ولقبه
نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزي : وكان كلامه مقبولا ، وذكاؤه شديدا . وفي
رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأشدد عند عزله :

تولأها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد ، فخرج منها إلى عدة أماكن ، فلم تطبله ، فعزم
على الحج ، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك ، وناب ابن الموصلايا
في الوزارة ، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة . وفي رمضان منها دخل السلطان
ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك ، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي ، وابن
الموصلايا المسلماني ، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه ، منهم أخوه تاج الدولة تنش صاحب
دمشق ، وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب . وفي ذى القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه
وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة . وفيها استوزر أبو منصور بن جبير وهي النوبة
الثانية لوزارته للمقتدى ، وخلع عليه ، وركب إليه نظام الملك فهنا في داره بياب العامة ، وفي ذى
الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة ، وأشعلت نيران عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة ، وجمعت
المطربات في السمريات ، وكانت ليلة مشهودة عجيبه جدا ، وقد نظم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح
النهار من هذه الليلة جرى بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وادعى أنه المهدي ، محمولا على جمل ببغداد
وجمل يسب الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طرطورة بودع ، والدرة تأخذ من كل جانب ،
فظافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك . وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بجماعة المنسوب
إليه بظاهر السور . وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بمد صاحب بلاد المغرب
كثيراً من بلاد الأندلس ، وأمر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله ، وقد كان المعتمد هذا موصوفاً
بالكرم والأدب والحلم ، حسن السيرة والعشرة والاحسان إلى الرعية ، والرفق بهم ، فحزن الناس

عليه ، وقال في مصابه الشعراء فأكثروا . وفيها ملكت الفرج مدينة صدقيّة من بلاد المغرب ، ومات ملكهم ققام ولده مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين ، حتى كأنه منهم ، لما ظهر منه من الاحسان إلى المسلمين . وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ، فهدمت بنايانا كثيراً ، من جملة ذلك تسعون برجاً من سور إنطاكية ، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكين .
ومن توفي فيها من الأعيان .

عبد الرحمن بن أحمد

أبو طاهر ولد بأصبهان ، وتفقه بسمرقند ، وهو الذي كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعية ، وقد سمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منده : لم نرقبها في وقتنا أنصف منه ، ولا أعلم . وكان فصيح اللهجة كثير المروءة عزيز النعمة ، توفي ببغداد ، ومثى الوزراء والكبراء في جنازته ، غير أن النظام ركب واعتذر بكبر سنه ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وجاء السلطان إلى التربة . قال ابن عقيل : جلست بكرة الغزاة إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه ، اجترأت على ذلك بالعلم . حكاه ابن الجوزي .

محمد بن أحمد بن علي

أبو نصر المروزي ، كان إماماً في القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر في ذلك كثيراً ، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة امتناله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهراً ، وتوفي في هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة .

محمد بن عبدالله بن الحسن

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي ، ولى القضاء بنيسابور ، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخذه الرشا ، وولى قضاء الري ، وقد سمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء . توفي في رجب منها .

أرتق بن الب التركاني

جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك مازدين ، كان شهماً شجاعاً عالي الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة وقد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروفة بطغربك ، إلى جانب دار الملك ، وجدد خاناتها وأسواقها ودورها ، وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يد هارون الخادم ، في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف على نصب قبلته بنفسه ، وبنجمه إبراهيم حاضر ، ونقلت أخشاب جامع سامرا ، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة ، وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم ، شرع في بناء دار

هائلة أيضاً ، واستوطنوا بغداد . وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى ، فما طفي حتى هلك للناس شيء كثير ، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا . وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان ، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر ، ثم عاد إلى بغداد في رمضان ، فبينما هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك ، بعد أن أفطر ، فضر به بسكين فقتل عليه بعد ساعة ، وأخذ الصبي الديلمي فقتل ، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء وسنذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته ، وقدم السلطان بغداد في رمضان بنية غير صالحة ، فلقيه الله في نفسه ما تمناه لأعدائه ، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد ، وجاء الناس للسلام عليه ، والتهنئة بقدمه ، وأرسل إليه الخليفة بهنئه ، فأرسل إلى الخليفة يقول له : لا بد أن تنزل لي عن بغداد ، وتتحول إلى أي البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فرد عليه : ولا ساعة واحدة ، فأرسل إليه يتوصل في إنظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمتع شديد ، فما استتم الأجل حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة ، فافتصد فقام منها حتى مات قبل العشرة أيام والله الحمد والمنة . فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش ، وضبطت الأموال والأحوال جيداً ، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكاً بعد أبيه ، وأن يخطب له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك ، وأرسل إليه بالخلم ، وبعث يعزيها ويهنئها مع وزيره عميد الدولة ابن جبير ، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ، ثم أخذته والدته في الجيوش وسارت به نحو أصبهان ليتوطد له الملك ، فدخلوها وتم لهم مرادهم ، وخطب لهذا الغلام في البلدان حتى في الحرمين ، واستوزر له تاج الملك أبا الغنائم المرزبان بن خسرو ، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأله أن تكون ولايات العمال إليه ، فامتنع الخليفة وواقفه الغزالي على ذلك ، وأفتى العلماء بجواز ذلك ، منهم المنطبي ابن محمد الحنفي ، فلم يعمل إلا بقول الغزالي ، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق فبايعوه وخطبوا له بالرى ، وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة قليلة من الجيش والخاصكية ، فأنفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه ، فالتقوا في ذى الحجة فكانت الخاتون هي المنهزمة ومعها ولدها . وفي صحيح البخارى « لن ينلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي ذى القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتسكين ، فهزموم ، ونهبت أموال الأعراب والله الحمد والمنة . وفيها جاء بردٌ شديد عظيم بالبصرة ، وزن الواحدة منها خمسة أرتال ، إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلقت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاء ربيع عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل ، فانا لله وإنا إليه راجعون [وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير] وفيها ملك تاج الدولة تتش صاحب دمشق مدينة حمص ،

وقلعة عرقه ، وقلعة ظامية ، ومعه قسيم الدولة أقسنقر ، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن صعبة
سعد كوهرائين الدولة وأمير آخر من التركان ، فدخلها وأساء فيها السيرة فتوفي سعد كوهرائين
يوم دخوله إليها في مدينة عدن والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . **جوهري بن يحيى بن عبدالله**

أبو الفضل المنعمي ، المعروف بالحكاك المكي ، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان
وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير وخرج الأجزاء ، وكان حافظاً متقناً ، ضابطاً أديباً ، ثقة
صدوقاً ، وكان يرأس صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله !

نظام الملك الوزير

الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو علي ، وزير لملك ألب أرسلان وولده ملكشاه تسعا وعشرين
سنة ، كان من خيار الوزراء . ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه من أصحاب محمود بن
سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل ولده هذا ، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بالعلم
والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث واللغة والنحو ، وكان على الهمة ، فحصل من
ذلك طرفاً صالحاً ، ثم ترقى في المراتب حتى وزير السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق
ثم من بعده لملكشاه تسعاً وعشرين سنة ، لم ينكب في شيء منها ، وبنى المدارس النظامية ببغداد
ونيسابور وغيرهما ، وكان مجاسه عامراً بالفقهاء والعلماء ، بحيث يقضى معهم غالب نهاره ، فقيل له : إن
هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسي
لما استكثرت ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني قام لهما وأجلسهما
معه في المقعد ، فاذا دخل أبو علي الفارسي قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فعوتب في ذلك
فقال : إنهما إذا دخلا علي قال : أنت وأنت ، يطرني ويعظوني ، ويقولوا في ما ليس في ، فأزداد
بهما ما هو مركز في نفس البشر ، وإذا دخل علي أبو علي الفارسي ذكرني عيوبي وظلمي ، فأنكسر
فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان
شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس ، وله الأوقاف الدائرة ، والصدقات البارة

وكان يعظم الصوفية تمظيماً زائداً ، فعوتب في ذلك ، فقال : بينما أنا أخدم بعض الملوك جاءني يوماً
إنسان فقال لي : إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً ؟ أخدم من تنفك خدمته ، حولا
تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أنهم ما يقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج في
أثناء الليل وهو نمل ، وكانت له كلاب تنفرس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه فزقته ، فأصبح وقد أكلته
الكلاب ، قال : فانا أطلب مثل ذلك الشيخ . وقد سمع الحديث في أما كن شقي ببغداد وغيرها ،

وكان يقول : إني لأعلم بأني لست أهلا للرواية ولكني أحب أن أربط في قطار نقلة حديث رسول الله (س)، وقال أيضاً : رأيت ليلة في المنام إبليس قفلت له : ويحك خلقتك الله وأمرتك بالسجود له مشافهة فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له في كل يوم مرات ، وأنشأ يقول :

من لم يكن للواصل أهلا * فكل إحسانه ذنوب

وقد أجاسه المقتدى مرة بين يديه وقال له : يا حسن ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك ، وقد ملك ألوفا من الترك ، وكان له بنون كثيرة ، وزر منهم خمسة ، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله ،

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد في مستهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بهض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند ، وهو يساره في محفة ، فقال : قد قتل هنا خاق من الصحابة زمن عمر ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنه لما أظفر جاءه صبي في هيئة مستغيث به ومعه قصة ، فلما انتهى إليه ضربه بسكين في فؤاده وهرب ، وعثر بطنب الخليفة فأخذ قتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجاءه السلطان يعوده فأت وهو عنده ، وقد أتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالاً عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، وكان في ذلك عبرة لأولى الألباب . وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد ، فأتته له ماعزم عليه ، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للرزاء ثلاثة أيام ، ورتاه الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطية فقال :

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً * يتيمةٌ صاغها الرحمنُ من شرفِ
عزتٍ فلم تعرفِ الأيامُ قيمتها * فردّها غيرَةً منهُ إلى الصدفِ
وَأثني عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله .

عبد الباقي بن محمد بن الحسين

ابن داود بن ياقيا ، أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحرير الظاهري ، ولد سنة عشر وأربعمائة ، وكان ماهراً ، وقد رماه بعضهم باعتقاد الأوائل ، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماء أو نهر من لبن ، أو نهر من خمر ، أو نهر من عسل ، يعرف في الجنة ، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذي هو يخرب البيوت ويهدم الحيطان والسقوف ، وهذا الكلام كفر من قائله ، نقله عنه ابن الجوزي في المنتظم ، وحكى بعضهم أنه وجد في كنفه مكتوباً حين مات هذين البيتين .

نزلت بجمارٍ لا يخيبُ ضيفهُ * أرجي نجاتي من عذابِ جهنمِ
وإني على خوفٍ من اللهِ واثقٌ * بانمامه واللهُ أكرمُ منعمِ

مالك بن أحمد بن علي

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله البانياسي الشامي ، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه علي أبو الحسن فغلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت ، هلك في حريق سوق الرميانيين ، وله ثمانون سنة ، كان ثقة عند المحدين .

السلطان ملكشاه

جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملكشاه ، ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق تقات التركي ، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم ، حتى ملك الروم والخزر واللات ، وكانت دولته صارمة ، والطرق في أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف ، والمرأة ، فيقضى حوائجهم ، وقد عمر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأسقط المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق ، وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان بفسداد ، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط مصاده بنفسه في صيوده فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد ، فنصدق بمشيرة آلاف درهم ، وقال : إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهدت نفس حيوان لغير ما كلة ، وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك أن فلاحاً أتى إليه أن غلماناً له أخذوا له حمل بطيخ ، ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ فحملوه إليه ، ثم استدعى بالحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال : جاء به الغلمان ، فقال : أحضرم ، فذهب وأمرهم بالهرب فأحضره وسلمه للفلاح ، وقال : خذ بيده فإنه مملوكي ومملوك أبي ، وإياك أن تفارقه ، ثم رد على الفلاح الحمل البطيخ ، ففرج الفلاح يحمله ويبيده الحاجب ، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار . ولما توجه لقتال أخيه تنش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضى ، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يظفرك على أخيك . قال : لكنى قلت اللهم إن كان أخى أصلح للسدين فظفره بي ، وإن كنت أنا أصاح لهم فظفري به ، وقد سار بمسكروه من أصهبان إلى أنطاكية فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من الرعية ، وكانوا مئين ألوف ، واستمدى إليه مرة تركاني أن رجلاً افتض بكاراة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله ، فقال له : يا هذا إن ابنتك لو شامت ما مكنته من نفسها ، فإن كنت لا بد فاعلا فاقتلها معه ، فسكت الرجل ، فقال له الملك : أو تفعل خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإن بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما ، ففعل . وحدث له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إناء

فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه فقال : كيف تصنمون هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا
اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى فذهبت لتأتيه بها فوقع في نفسه أن يأخذ هذا
المكان منهم ويعوضهم عنه غيره ، فلذبطت عليه ثم خرجت وليس معها شيء ، فقال : مالك ؟
فقالت : كأن نية سلطاننا تغيرت علينا ، فتمسر على اعتصاره - وهي لا تعرف أنه السلطان - فقال :
اذهي فانك الآن تقدرين عليه ، وغير نيته إلى غيرها ، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً
فشربها وانصرف . فقال له السلطان : هذه تصنح لي ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى
الأخرى حين اجتاز ببستان وقد أصابته صفراء في رأسه وعطش ، فطلب من ناطوره عنقوداً من
حصرم ، فقال له الناطور : إن السلطان لم يأخذ حقه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً . قال : فعجب
الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك . واستعداه رجالان من الفلاحين على
الأمير خمارتكين أنه أخذ منهما مالا جزيلاً وكسر نثيتهما ، وقال : سمعنا بعدك في العالم ، فان
أقدتنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذوا بركابه ، فنزل عن فرسه وقال
لهما : خذا بكى واسحباني إلى دار نظام الملك ، فهابا ذلك ، فعزم عليهما أن يفعلا ، ففعل ما أمرهما
به ، فلما بلغ النظام بجى السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك : إني إنما قلدتك الأمر لتنصف
المظلوم ممن ظلمه ، فكتب من فوره فمزل خمارتكين وحل أقطاعه ، وأن يرد إليهما أموالهما ، وأن
يقلما نثيته إن قامت عليه البينة وأمر لها الملك من عنده بمائة دينار ، وأسقط مرة بعض المكوس ،
فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم ، إن هذا الذي أسقطته يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر ،
فقال : ويحك إن المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والبلاد بلاده ، وإنما أردت أن يبقى هذا لي عند
الله ، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه . وغنته امرأة حسناء فطرب وناقت نفسه إليها ، فهم بها
فقالت : أيها الملك إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ،
فاستدعي القاضي فزوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب
معاشرته لبعض الباطنية ثم تنصل من ذلك وراجع الحق . وذكر ابن عقيل أنه كتب له شيئاً في إثبات
الصانع ، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره
عشرة أيام فرض السلطان ومات قبل انقضاء العشرة أيام ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من
شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكان مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرها ،
ودفن بالشويزي ، ولم يزل عليه أحد الكتابين الأور ، وكان مرضه بالحمى ، وقيل إنه سم ، والله أعلم .

باني التاجيه ببغداد

المرزبان بن خسرو ، تاج الملك ، الوزير أبو الغنم باني التاجية ، وكان مدرسهأبو بكر الشاشي
و بنى تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فبات
سريماً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إرباً إرباً في
ذي الحجة من هذه السنة .
هبة الله بن عبد الوارث

ابن علي بن أحمد نوري ، أبو القاسم الشيرازي ، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق ، كان حافظاً
ثقة ديناً ورعاً ، حسن الاعتقاد والسيرة ، له تاريخ حسن ، ورحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها
والله أعلم .
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي ، مرجعه من الحج ،
فنزله النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالي مدرس المكان ، فازدحم الناس في مجلسه ،
وكنوا في المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس معايشهم ، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان
أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وتاب كثير من الناس ولزوا المساجد ، وأريقت الخمر
وكسرت الملاهي ، وكان الرجل في نفسه صالحاً ، له عبادات ، وفيه زهد وافر ، وله أحوال صالحة ،
وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها ماء البركة ، ونقل
ابن الجوزي أنه اشتبه مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً وثلجاً فطاف بالبلد بكاله فلم يجده ، فرجع
فوجد الشيخ في خلوته فسأل هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد ؟ فقيل له جاءت امرأة فقالت إني غزلت
بيدي غزلاً وبعته وأنا أحب أن أشتري للشيخ طرفة فامتنع من ذلك فبكت فرحها ، وقال : اذهبي
فاشترى ، فقالت ماذا تشتهي ؟ فقال : ماشئت ، فذهبت فأنته بتوت شامى وثلج فأكله . وقال
بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقاً فقلت في نفسي : لينة أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن
فناولني فضله فقال : اشربها على تلك النية ، قال : فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات
ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة بالصحيح فنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفيها خطب تنش بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخاطب له بالعراق
فحصل التوقف عن ذلك بسبب أخيه بركيارق بن ملكشاه ، فسار إلى الرجة وفي صحبته وطاعته
أقسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرها ، ففتح الرجة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد
صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل ، وقتل خلقاً من الامراء صبراً ،
وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافي بن نغردولة بن جبير ، وكذلك أخذ همدان وخراسان ، وفتح
أخر بيجان واستفحل أمره ، ثم فارقه الأميران أقسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقى تنش

وحده، فطمع فيه أخوه بركيارق فرجع تتش فاحقه قسيم الدولة اقسنقر و بوران يبالب حلب فكسرهما وأسر بوران واقسنقر فصلبهما وبعث برأس بوران فطيف به حران والرها وملكها من بعده .
وفيهما وقعت الفتنة بين الروانض والسنة ، وانتشرت بينهم شرور كثيرة ، وفي ثاني شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس ، أحمد المستظهر ، ففرح الخليفة به وفي ذى القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جبير ، وهناك عن الخليفة بالتقدم . وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام . ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . **جعفر بن المقتدي بالله**

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه ، في جمادى الأولى ، وجلس الوزير للعزاء والدولة ثلاثة ،

أيام . **سليمان بن إبراهيم**

ابن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الأصبهاني ، سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفي في ذى القعدة عن تسع وثمانين سنة .

عبد الواحد بن أحمد بن الحسن

الدشكري ، أبو سعد الفقيه الشافعي ، صحب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العلم ، وكان يقول : مامشي قديم هاتين في لثة قط ، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب

علي بن أحمد بن يوسف

أبو الحسن الهكاري ، قدم بغداد ونزل برباط الدوري ، وكانت له أربعة قد أنشأها ، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله (س) في المنام في الروضة فقلت : يا رسول الله أوصني ، فقال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومذهب الشافعي ، وإياك ومجالسة أهل البدع . توفي في الحرم منها . **علي بن محمد بن محمد**

أبو الحسن الخطيب الأنباري ، ويعرف بابن الأخضر ، سمع أبا عبد الرضى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في شوال منها عن خمس وتسعين سنة :

أبو نصر علي بن هبة الله ، ابن ماكولا

[ولد سنة ثنتين وأربعمائة ، وسمع الكثير وكان من الحفاظ ، وله كتاب الاكمال في المؤلف والمختلف ، جمع بين كتاب عبد الغني وكتاب الدارقطني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة ، بهمة حسنة مفيدة نافعة ، وكان نحوياً مبرزاً ، فصيح العبارة حسن الشعر . قال ابن الجوزي : وصحت

شيخنا عبد الوهاب يطعن في دينه ويقول : المعلم يحتاج إلى دين . وقتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها ، وقد جاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزي [(١)] .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى وخلافة ولده المستظهر بالله

صفة موته

لما قدم السلطان بركيارق بغداد ، سال من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه العهد إليه فكتب ذلك ، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة ، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة ، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعدما وقع عليه ، وعنده قهرمانه تسمى شمس النهار ، قالت : فنظر إلى وقال : من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن ؟ قالت : فالتفت فلم أر أحدا ، ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه ، وأنحلت قواه ، وسقط إلى الأرض . قالت : فظننت أنه غشى عليه ، فخلت أزرار ثيابه فاذا هو لا يجيب داعيا ، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك ، وجاء الأمراء ورؤس الدولة يعزونه بأبيه ، ويهنتونه بالخلافة ، فبايعوه .

شيء من ترجمة المقتدى بأمر الله

هو أمير المؤمنين المقتدى بالله ، أبو عبد الله بن الذخيرة ، الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد ، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، بن القادر بالله العباسي ، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية ، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضاً ، وكان المقتدى أبيض حلوا الشمائل ، عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد ، ونفى عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهي والمعاصي ، وكان غيوراً على حريم الناس ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، حسن السيرة ، رحمه الله ، توفي يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة أيام ، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين ، وأخفى موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر ، ثم صلى عليه ودفن في تربتهم والله أعلم .

خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضره وله من العمر ست عشرة سنة وشهران ، فبايع بالخلافة ، وأول من بايعه الوزير أبو منصور ابن جبير ، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء ، وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام ، ثم أظهر التابوت يوم

(١) زيادة من المصرية .

الثلاثاء الثامن عشر من المحرم ، وصلى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان ، وحضر أكثر أمرائه ، وحضر الغزالي والشاشي وابن عقيل ، وبايعوه يوم ذلك ، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً ، ومن لطيف شعره قوله :

أَذَابَ حُرَّ الْجَوِي فِي الْقَلْبِ مَا جَمَدَا * يَوْمًا مَدَدْتُ عَلَى رَسْمِ الْوَدَاعِ يَدَا
فَكَيْفَ أَسْلَكْتُ نَهْجَ الْأَصْطَبَارِ وَقَدْ * أَرَى طَرَائِقَ مِنْ يَهْوَى الْهَوَى قَدْ دَا
قَدْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ بَدْرٌ قَدْ شَغَفَتْ بِهِ * مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ وَفَى دَهْرًا بِمَا وَعَدَا
إِنْ كُنْتُ أَنْقَضُ عَهْدَ الْحَبِّ فِي خَلْدِي * مِنْ بَعْدِ هَذَا فَلَا عَايِنْتُهُ أَبَدَا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره ابى منصور عميد الدولة بن جبير ، فدبرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد ، وساس الرعايا ، وكان من خيار الوزراء . وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أباً بكر الشاشي عن القضاء ، وفوضه إلى أبى الحسن ابن الدامغانى . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل ناس كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم ينجح أحد لاختلاف السلاطين . وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذى توفى فيه الخليفة المقتدى بعد ما علم على توقيعه .

ومن توفى فيها من الأعيان .

اقسنقر الأتابك

الملقب قسيم الدولة السلجوقى ، ويعرف بالحاجب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة . وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكى بن آقسنقر ، كان أولاً من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى ، ثم ترقى منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بإشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعية معه فى أمن ورخص وعدل ، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق ، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ففرا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن ورجعا قاتلها بباب حاب قتلها وأخذ بلادها إلا حلب فانها استقرت لولد آقسنقر زنكى فيما بعد ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سيأتى بيانه . وذكر ابن خلكان أنه كان مملوكاً للسلطان ملكشاه ، هو وبوزان صاحب الرها ، فلما ملك تتش حلب استنابه بها فعصى عليه فقصدته وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله فقتله فى هذه السنة فى جمادى الأولى منها ، فلما قتل دفته ولده عماد الدين زنكى ، وهو أبونور الدين ، فقبره بحلب أدخله ولده إليها من فوق الصور ، فدفته بها .

أمير الجيوش بدر الجمالى

صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية ، كان عاقلاً كريماً محباً للعلماء ، وهم عليه رسوم دارة

تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيماً ، ودارت أزمة الأمور على آرائه ، وفتح بلاداً كثيرة ، وامتدت أيامه وبعده صيته وامتدحته الشعراء . ثم كانت وفاته في ذى القعدة منها ، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل .

الخليفة المقتدي

وقد تقدم شيء من ترجمته .

الخليفة المستنصر الفاطمي

أبو نعيم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم ، استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده ، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار ، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه . وأمر الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه ، ولقبه بالمستعلي ، فهرب نزار إلى الاسكندرية فجمع الناس عليه فبايعوه ، وتولى أمره قاضي الاسكندرية : جلال الدولة بن عمار ، فقصده الأفضل فحاصره وقتلهم نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار ، فقتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات ، واستقر المستعلي في الخلافة ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

محمد بن أبي هاشم

أمير مكة ، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

محمود بن السلطان ملكشاه

كانت أمه قد عفت له الملك ، وأنفقت بسببه الأموال ، فقاتله بركيارق فكسره ، ولزم بلده أصبهان ، فمات بها في هذه السنة ، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالترربة للنظامية ، كان من أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم شكلاً ، توفي في شوال منها ، وماتت أمه اختاتون تركيان شاه في رمضان ، فأنحل نظامه ، وكانت قد جمعت عليه المساكين ، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه ، وملكته عشرة آلاف مملوك تركي ، وأنفقت في ذلك قريباً من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فأنحل النظام ولم تحصل على طائل ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فيها قدم يوسف بن أبق التركاني من جهة تنش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدعوة له ببغداد ، وكان تنش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الرى ، فلما دخل رسوله ببغداد هابوه وخافوه واستداه الخليفة فقر به وقبل الأرض بين يدي الخليفة ، وتأهب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ، فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول ابن أخيه فأخبره أن تنش قتل في أول من قتل في الوقعة ، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستفحل أمر بركيارق ، واستقل بالأمر . وكان دقاق بن تنش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فلكها ، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين ،

واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، ومالك عبد الله بن تنش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين، ورضوان بن تنش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر، ولقب بنخيرة الدين. وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جبير فاختمت سورا على الحریم، وأذن للموام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بفيض. وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فمدا عليه فداوى، فلم يتمكن منه، فسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرأ فقتل الثلاثة. وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنتاً له بالسلامة. وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية، زاهداً في الدنيا، لا بساً خشن الثياب بمدانها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه. وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبدالرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحریم وغيره. وفيها اصطاح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية الحال، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا من المعائب، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولى مكانه ابن عمه مسعود. وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا ببيحي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقاً، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر. ولم يجع أحد من أهل العراق فيها.

ومن توفى فيها من الأعيان **الحسن بن أحمد بن خيرون**

أبو الفضل المعروف بابن الباقلائي، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أميناً له، ثم ولى إشراف خزانة الغلات. توفى في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

تنش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبي:

ولله سرٌّ في علاك وإنما * كلامُ المدي ضربٌ من الهديان

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجدته أنسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أنسز، أمر بمسكه وقتله، واستحوذ هو على دمشق

وأعمالها في سنة إحدى وسبعين ، ثم حارب أنسز فقتله ، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاد الري ، فكسره أخوه وقتل هو في المعركة ، وتملك ابنه رضوان حلب ، وإليه تنسب بنو رضوان بها ، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، سمته أمه في عنقود عنب ، فقام من بعده ولده تاج الملك بوري أربع سنين ، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين ، ثم قتلته أمه أيضا ، وهي زمرد خاتون بنت جاولي ، وأجاست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري ، فحك أربع سنين ، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طفر كين سنة ، ثم تملك مجير الدين أبق من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي . وكان إتابك المساكر بدمشق أيام أتي معين الدين ، الذي تنسب إليه المعينية بالفور ، والمدرسة المعينية بدمشق .

رزق الله بن عبد الوهاب

ابن عبد العزيز أبو محمد التيمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد ، وأئمة الحديث ، وكان له مجالس لاوعظ ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور ، ثم بجامع القصر ، وكان حسن الشكل محبباً إلى العامة له شعر حسن ، وكان كثير العبادة ، فصيح العبارة ، حسن المناظرة . وقد روى عن آبائه حديثاً مسلسلاً عن علي بن أبي طالب أنه قال : هتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذاوجهة عند الخليفة ، يفد في مهام الرسائل إلى السلطان . توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بداره بباب المراتب باذن الخليفة ، وصلى عليه ابنه أبو الفضل

أبو سيف القزويني

عبد السلام بن محمد بن سيف بن بندار الشيخ ، شيخ المعتزلة ، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، ورحل إلى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل كتباً كثيرة ، وصنف تفسيراً في سبعمائة مجلد . قال ابن الجوزي : جمع فيه العجب ، وتكلم على قوله تعالى (واتبعوا ما اتتوا الشياطين على ملك سليمان) في مجلد كامل . وقال ابن عقيل : كان طويل اللسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ، وقد جمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة . وما تزوج إلا في آخر عمره .

أبو شعاع الوزير

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شعاع ، الملقب بظهير الدين ، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذي ذيله على تجارب الأمم . ووزر لأخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الانعام على الأراامل والأيتام . قال

له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعاً بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجىء إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جداً ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فإذا وقع له أمر مشكل سألم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله قال الله تعالى [ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً] وها أنا قد جئتك أستغفر الله من ذنوبي وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن في البقيع .

القاضي أبو بكر الشاشي

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي ، ولد سنة أربع مائة ، وتفقه ببلده ، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وقدم بغداد فتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الدامغانى قبله ، ولازم مسجده خمساً وخمسين سنة ، يقرئ الناس ويفقههم ، ولما مات الدامغانى أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدى القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفهم ، لم يقبل من سلطان عطية ، ولا من صاحب هدية ، ولم يغير ملبسه ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنب أحدًا ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يجاب مخلوقاً ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرؤا ، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا . وقد صنّف كتاباً في ذلك ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى [إن كان قبضه قد من قبل] الآية . وشهد عند مرجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغانى ، فلم يقبله ، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدعى : إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب ، فقال القاضي الشاشي : والله لو شهدا عندي على باقة بقله ما قبلتهما ، ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شئ ترد شهادتي وهى جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ، فانى رأيتك تغتسل في الحمام عرياناً غير مستور العورة ، فلا أقبلك . توفي يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من ابن شريح .

أبو عبد الله الحميدي

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ، الأندلسي ، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس ، قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظاً مكثراً أديباً ماهراً ، عفيفاً نزهاً ، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين ، وله غير ذلك من المصنفات ، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة ، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد .

همة الله ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة ، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالاً جزيلة فلم يقد شيئاً فقال له ابنه ذات يوم : يا أبت إنك قد أكرت الأدوية والأدعية ، والله في اختيار فدعني واختيار الله في ، قال أبوه : فعلت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم : في هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال : إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في بحر الحوت الطوالع السبعة ، والآن قد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل ، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد ، والأقرب أنها ببغداد . فتقدم الخليفة إلى وزيره باصلاح المسيلات والمواقع التي يخشى انفجار الماء منها ، وجعل الناس ينتظرون ، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادي المناقب بعد نحلة فأنام سيل عظيم ، فأنجا منهم إلا من تعلق برؤس الجبال ، وأخذ الماء الجمال والرجال والرجال ، فخلع الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية . وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش ، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها ملك تميم بن المعز المغربي مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر ، فقال خطيب سوسة في ذلك أبيتاً .

ضحك الزمان وكان يابني عابساً * لما فتحت بحد سيفك قابسا
وأتيها بكرة وما أمرتها * إلا قناً وصوارما وفوارساً
الله يعلم ما جنيت ثمارها * إلا وكان أبوك قبلاً غارساً
من كان في زرق الأسنه خاطباً * كانت له قلال البلاد عرائسا

وفي صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية ، ولاة إياها نخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن يزيد بن منصور بن ديبس وقصدوا ، شهد الحسين بالخابر ، وتظاهر وافية بالمنكرات والفساد ، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور ،

فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح . ومن العجائب أن أحدهم أتى نفسه وفرسه من فوق السور
فسلم وسلمت فرسه . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني .

ومن توفى فيها من الأعيان **عبدالله بن إبراهيم بن عبد الله**

أخو أبي حكيم الخيري ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقّه على الشيخ أبي إسحاق
الشيرازي ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة ، وكان
يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن
كان هذا موتا إنه لطيب ، ثم مات .

عبد المحسن بن أحمد الشنجي

التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادى ، سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن
الخطيب وهو بصور ، وهو الذى حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ،
وقد روى عنه فى مصنفاته ، وكان يسميه عبدالله ، وكان ثقة .

عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني ، تفقه على الماردي ، وكانت له يدطولى فى العلوم الشرعية
والحساب وغير ذلك ، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس ، وكان عفيفا
زاهدا ، طلبه المقتدى ليوليه قاضى القضاة فأبى أشد الأباه ، واعتزله بالمعز وعلو السن ، وكان ظريفا
لطيفا ، كان يقول : كان أبى إذا أراد أن يؤذنى أخذ المصا بيده ثم يقول : نويت أن أضرب ولدى تأديبا
كما أمر الله ، ثم يضربنى . قال : وإلى أن ينوى ويتم النية كنت أهرب . توفى فى رجب منها ودفن
عند قبر ابن شريح . **محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور**

أبو بكر الدقاق ، ويعرف بابن الحاضنة ، كان معروفاً بالأفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة
النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص . قال : لما غرقت
بغداد غرقت دارى وكتبى فلم يبق لى شئ ، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم فى تلك السنة
سبع مرات ، فتمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة ؟ فجننت
فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفلى ووضع إحدى رجلى على الأخرى وقلت : استرحت
من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدى والنسخ بين يدى .

أبو المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، الحافظ ، من أهل مرو ،
تفقّه أولا على أبيه فى مذهب أبى حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن أبى إسحاق وابن

الصباغ، وكانت له يد طولى فى فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار فى الحديث ،
والبرهان والقواطع فى أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول :
ما حفظت شيئاً فنسيتنه ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتائب ،
وسئل عن الاستواء فقال :

جنتاني لبعلماً سرُّ سُمدي * تجداني بسرِّ سُمدي شحيحاً
إن سُمدي لمنيةُ المثنى * جعت عفةً ووجهاً صبيحاً

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن فى مقبرة مرورحمه الله تعالى وإيانا آمين .

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية ، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد
مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر ، وجعل إتابكه
الأمير قجاج ، ووزيره أبو الفتح على بن الحسين الطغرائى . واستعمل على خراسان الأمير حبشى بن
البرشاق ، فولى مدينة خوارزم شاباً يقال له محمد بن أتوش تكين ، وكان أبوه من أمراء السلاجقة ،
ونشأ هو فى أدب وفضيلة وحسن سيرة ، ولما ولى مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه ، وكان أول
ملوكهم ، فأحسن السيرة وعامل الناس بالجميل ، وكذلك ولده من بعده اتسزجرى على سيرة أبيه ،
وأظهر العدل ، فحظى عند السلطان سنجر وأحبه الناس ، وارتفعت منزلته . وفيها خطب الملك رضوان
ابن تاج الملك تتش للخليفة الفاطمى المستعلى ، وفى شوال قتل رجل باطنى عند باب النبوى كان قد
شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاها إلى مذهبه فحمل يقول أتقلوننى وأنا أقول لا إله إلا
الله ؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى [فلها رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده] الآية وما بمسدها ،
وفى رمضان منها قتل برسق أحد أكابر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس
فيها خارتكين الحسناتى ، وفى يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبى طاهر
ابن بويه لأموار ثبتت عليه عند القاضى فأريق دمه ونقضت داره وعمل مكانها مسجدان للحنفية
والشافعية ، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن وديرها قول وغيرهما .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن المحسن

ابن على بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدي البصرى ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة
أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهداً متصوفاً ، وفقياً مدرساً ، ذا سمعة ووقار ، وسكينة ودين ، وكان
علامة فى عشرة علوم ، توفى فى رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

المعمر بن محمد

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني، سمع الحديث، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التعبد، لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان نقيباً ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قریش، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورواه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي.

يحيى بن أحمد بن محمد البستي

سمع الحديث ورحل فيه، وكان ثقة صالحاً صدوقاً أديباً، عمر مائة سنة وثنى عشرة سنة وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها ملك الأفرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد، بمواطاة بعض المستحفظين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها باغيسيان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطرقي ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشي عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض إنطاكية فهزموهم الفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فانا لله وإنا إليه راجعون. ثم صارت الفرنج إلى معرفة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جبير، لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفسخت هذه العزيمة لأنهم بلغتهم أن الفرنج في ألف ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله. ورحح بالناس فيها خمارتكين.

ومن توفي فيها من الأعيان طراد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد بن بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن عبد الله بن عباس، سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرد بالرواية عن جماعة، ورحل إليه من الآفاق وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه، وبأشر نقابة الطالبين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، ودفن

في مقابر الشهداء رحمه الله المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبو القاسم
ابن المسلمة كانت داره مجماً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق
الشيرازي ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة - وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج
لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله ، وكانوا في نحو ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين
ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ماعلوا تنبيرا . قال ابن الجوزي : وأخذوا
من حول الصخرة اثنتين وأربعين قنديلا من فضة ، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ،
وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلا بالشامى ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب
الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم
القاضي أبو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو
سعد الهروي كلاماً قرئ في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، ونسب الخليفة الفقهاء إلى الخروج
إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في
الناس فلم يفتد ذلك شيئاً ، فآث الله وإنا إليه راجعون ، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي شعراً :

مزجنا دماناً بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع مبريقه * إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بنى الاسلام إن وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالناسم
وكيف تنام العين مل جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تيجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله :

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سلن بأيدي المشركين قواضياً * ستغمد منهم في السكلى والحجامم
يكاد لهن المستجير بطيبة * ينادى بأعلا الصوت يا آل هاشم
أرى أمى لا يشرعون إلى العدا * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم

أرضى صنائيد الأعراب بالأذى * وينضى على ذل كإعاجم
فليتهمو إذ لم يندودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حس الوعى * فهلا أتوه رغبة في المغنم

وفيهما كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه ،
واستفحل إلى أن خطب له ببغداد في ذى الحجة من هذه السنة . وفيها سار إلى الري فوجد زبيدة
خاتون أم أخيه بركيارق فأمر بختفها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة ، في ذى الحجة منها
وكانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد ، حتى مات كثير من
الناس جوعا ، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم .

ومن توفى فيها من الأعيان **السلطان إبراهيم بن السلطان محمود**

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وأطراف الهند ، وعدا ذلك ، كانت
له حرمة وأبهة عظيمة ، وهيبة وافرة جدا ، حكى الكيا الهراصي حين بعثه السلطان بركيارق في
رسالته إليه عما شاهدته عنده من أمور السلطنة في ملبسه ومجلسه ، وما رأى عنده من الأموال
والسعادة الدنيوية ، قال : رأيت شيئا عجيباً ، وقد وعظه بمحدث « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير
من هذا » فبكي . قال : وكان لا يبني لنفسه منزلاً إلا بنى قبله مسجداً أو مدرسة أورباطا . توفى في
رجب منها وقد جاوز التسعين ، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

عبد الباقي بن يوسف

ابن علي بن صالح ، أبو تراب البراعي ، ولد سنة إحدى وأربعمائة وتفقّه على أبي الطيب الطبري
وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ،
وكان صبورا متقللا من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر
منشورا من الله عز وجل ، على يدي ملك الموت بالقدم عليه ، والله لجلوس ساعة في هذه المسلة على
راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعلم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شيء ،
والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإنما العلم دليل ، فمن لم يده علمه على الزهد في الدنيا وأهلها
لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ما علم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله
لوقطعت يدي ورجلي وقلعت عيني أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما
هو سبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفى رحمه الله في ذى القعدة من هذه السنة عن ثلاث
وتسعين سنة رحمه الله آمين .

أبو القاسم ابن إمام الحرمين

قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

في صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد، وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لاقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقله ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد، وكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجاهو بنفسه في خمسين فارساً، وقتل في هذه الواقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم المهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليماً حسن السيرة، لم يعتمد ظم أحد ولم ير خادم ما رأى، من الحشمة والحزمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع قط، ولما جرى ما جرى في هذه الواقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود في عشرين ألفاً، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب في شردمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد في رابع عشر رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد. وفي رمضان منها قبض على الوزير عميد الدولة بن جهير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكابك سرمرز رئيس شحنة أصبهان، ضربه باطنى بسكين في خاصرته وقد كان يتحرز منهم كثيراً، وكان يدرع تحت ثيابه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جناز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين ابن انشمنند طايو، إنابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وبيصرى، لا التي ببعلبك، فهزم الأفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذى القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها والله الحمد. وحج بالناس الأمير التوتناش التركي وكان شافئ المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان **عبد الرزاق الغزنوي الصوفي**

شيخ رباط عتاب: حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفنًا، وقد قالت له امرأته لما احتضر: سنفتضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن، فقال لها: لو تركت كفنًا لا فتضحت، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن الحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف

شتاء وصيفا ، ويظهر الزهد ، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتعجب الناس من حالهما فرحم الله الأول وسامح الثاني .

الوزير عميد الدولة بن جبير

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جبير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، ووزر لاثنتين منهم ، وكان حليماً قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولي الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخليفة فلم يخرج من السجن إلا ميتاً ، في شوال منها .

ابن جزلة الطبيب

يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب ، كان نصرانياً ثم كان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المغربي يشتغل عليه في المنطق ، وكان أبو علي يدعو إلى الإسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه ، واستخلفه الدامغانى في كتب السجلات ، ثم كان يطيب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعاً ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً مشهد أبي حنيفة رحمه الله وإيانا آمين ،

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقاً كثيراً ، وأبيعت ديارهم وأموالهم للعامة ، ونودي فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذنوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح ، أحد دعواتهم ، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غيباً جاهلاً ، لا يعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك علي بن أبي طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من الخرقه والنير نحيات والحليل التي لا تروج إلا على الجهال ، حتى التف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يهدده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بمحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولاً إلى مولاه ، فاشربت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكيناً

فضرب بها غلصنته فسقط ميتا ، وقال لا آخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع . ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره ابن الجوزي ، وسيأتي ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع سنان صاحب الايوان مثل هذا إن شاء الله تعالى .

[وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يُبْيَض وأن يصلى فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة ، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفي أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فخطب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلاها وهو مريض فمبرا في الجانب الغربي فقطعت خطبته وخطب لهما بها ، وهرب بركيارق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضى ، فنها بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يند شيئا . وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعا كثيرة منها : قيسارية وسروج ، وسار ملك الفرنج كندر . وهو الذي أخذ بيت المقدس - إلى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره لعنه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد

ابن عبد الواحد بن الصباح ، أبو منصور ، سمع الحديث وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ثم على ابن عمه أبي نصر بن الصباح ، وكان قبيها فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر ، وقدولى القضاء بريع الكرخ والحسبة بالجانب الغربي .

عبدالله بن الحسن

ابن أبي منصور أبو محمد الطبسى ، رحل إلى الآفاق وجمع وصنف ، وكان أحد الحفاظ الكثيرين ثقة صدوقا عالما بالحديث ورعا حسن الخلق .

عبد الرحمن بن أحمد

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسى ، نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء ، وكان حافظا للمذهب الشافى متدينا ورعا ، رحمه الله .

عزيز بن عبد الملك

منصور أبو المعالى الجبلى القاضى الملقب سيد له ، كان شافعيا فى الفروع أشعريا فى الأصول ، وكان حاكما بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنان كبير ، سمع رجلا ينادى على حماره ضائع فقال : يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما للنقيب طراد الزينبي : لو حاف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزج لم يحث . فقال له الشريف : من عاشر قوماً أربعين يوماً فهو منهم . ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا .

محمد بن أحمد

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ، أبو الفضائل الربيعي الموصلی ، ثقة على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري ، وكان ثقة صالحا كتب الكثير .

محمد بن الحسن

أبو عبد الله المرادي ، نزل أوان وكان مقرئاً فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال ابن الجوزي : بلغني أن ابنا له صغيراً طلب منه غزالاً وألح عليه ، فقال له : يا بني غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقربها حتى فتحت ، فقال له أبوه : يا بني أنتك الغزال .

محمد بن علي بن عبيد الله

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ، أبو نصر الموصل القاضي ، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين ، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعة الهاشمي ، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعة ، وهي موضوعة كلها ، وإن كان في بعضها معاني صحيحة والله أعلم .

محمد بن منصور

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي ، جليل القدر ، وكان متمصبا لأصحاب أبي حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمر ، ووقف فيها كتباً كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة ، وبنى أر بطة في الفاووز ، وعمل خيراً كثيراً ، وكان من آكل الناس ما كلاً ومشرباً ، وأحسنهم ملبساً ، وأكثرم مالا ، ثم نزل العمالة بدهذا كله ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات .

محمد بن منصور القسري

المعروف بعميد خراسان ، قدم بغداد أيام طغرل بك وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، وكان كثير الرغبة في الخير ، وقف بمر ومدرسة على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وورثته . قال ابن الجوزي : فهم يتولونها إلى الآن ، وبنى بنيسابور مدرسة ، وفيها تربته . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

نصر بن أحمد

ابن عبد الله بن البطران الخطابي البزار القاري . ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وسمع الكثير وتفرد عن ابن زرقويه وغيره ، وطال عمره ، ورحل إليه من الآفاق ، وكان صحيح السماع [(١)] .

(١) زيادة من المصرية .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالسكيا الهراسي ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بمضهم عند السلطان بأنه باطني ، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصه . وفيها في يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده ، ووجه الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه ، قبالاً الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية ، على محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مرا كبه ، وعلى سنجر دون ذلك ، وولى السلطان محمد الملك ، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد في تاسع عشر الشهر فأرجف الناس ، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهمز محمد وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتي بيانه . وفي رجب منها قبل القاضي أبو الحسن ابن الدامغانى شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابني القاضي أبي يعلى ابن القراء . وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوي فوعظ الناس وكان شافعياً أشعرياً ، فوقمت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد . وفيها وقع حريق عظيم ببغداد ، وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس ، صاحب الحلة .

ومن توفي فيها من الأعيان أبو القاسم صاحب مصر

الخليفة الملقب بالمستعلى ، في ذى الحجة منها ، وقام بالأمر بعده ابنه على وله تسع سنين ، ولقب بالأمير بأحكام الله .

محمد بن هبة الله

أبو نصر القاضي البندنجي الضرير الفقيه الشافعي ، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتي ويدرس ويروى الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عَدَمْتُكَ نَفْسِي مَا تَمَلَّيْتُ بِطَالَتِي * وَقَدْ مَرَّ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي
أَعَاهَدُ رَبِّي ثُمَّ أَنْقَضْتُ عَهْدَهُ * وَأَتْرَكَ عَزْمِي حِينَ تَعَرَّضْتُ شَهْوَتِي
وَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مَبْلَغِي * أَلْزَادِ أَبِي أَمْ لِيَعْدِ مَسَافَتِي ؟

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتد الغلاء عندهم جداً ، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً

فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز ، فلم يتمكن من القبض عليه ، ونجا بنفسه سالماً . قال ابن الجوزي : وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى تاج الاسلام . وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد ، واقتصر على ذكر الخليفة فيها ، والدعاء له ، ثم التقي الأخوان بركيارق ومحمد ، فانهزم محمد أيضاً ثم اصطالحا . وفيها ملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة . وفيها قتل أبو المظفر الخجندی الواعظ بالري ، وكان فقيهاً شافعيّاً مدرساً ، قتله رافضى علوى في الفتنة ، وكان عالماً فاضلاً ، كان نظام الملك يزوره ويعظمه . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن علي

ابن عبد الله بن سوار ، أبو طاهر المقرئ ، صاحب المصنفات في علوم القرآن ، كان ثقة ثباتاً مونا عالماً بهذا الشأن ، قد جاوز الثمانين .

أبو المعالي

أحد الصالحاء الزهاد ، ذوى الكرامات والمكاشفات ، وكان كثير العبادة متقللاً من الدنيا ، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قميصاً واحداً ، فاذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزراً ، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة في شهر رمضان ، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئاً ، قال : فبينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفى ، وقال يا أبا المعالي أنا الملك الفلانى ، لا تمض إليه نحن نأتيك به ، قال فبكر إلى الرجل . رواه ابن الجوزى في منتظمه من طرق عدة ، كانت وقاته في هذه السنة ، ودفن قريباً من قبر أحمد .

السيدة بنت القائم بأمر الله

أمير المؤمنين التى تزوجها طغرلبيك ، ودفنت بالرصافة ، وكانت كثيرة الصدقة ، وجلس لعزائها في بيت النبوة الوزير ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً ، ورد الله الذين كفروا بفيظهم لم ينالوا خيراً ، وقد أسرفى هذه الوقعة بردويل صاحب الرها . وفيها سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر ، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقية الحجاج ، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء ووعويل شديد ، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد ، وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر . وفيها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ومحمد ، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز . وفيها أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل . وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط . وفيها توفى الملك دقاق بن تتش

صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طفتنكين ولدا له صغيراً مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكه بدير المملكة مدة بدمشق . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي ونفاه إلى غزنة . وفيها ولي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الأئشاء ، وفيها قتل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم ، وكانت له إصابات عجيبة . وحج بالناس فيها الأمير خوارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان **أردشير بن منصور**

أبو الحسن العبادي الواعظ ، تقدم أنه قدم ببغداد فوعظ بها فأحبته العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج القومساني ، من أهل همدان ، سمع من أبيه وجده . وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون ، مأمونا .

العلاء بن الحسن بن وهب

ابن الموصلياء ، سعد الدولة ، كاتب الأئشاء ببغداد ، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فكث في الرياضة مدة طويلة ، نحواً من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة ، وتوفى عن عمر طويل .

محمد بن أحمد بن عمر

أبو عمر التهاوندي . قاضي البصرة مدة طويلة ، وكان قبيها ، سمع من أبي الحسن الماوردي وغيره مولده في سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربعمائة والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

فيها توفى السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه ، وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد ، ونثر عند ذكره الدنانير والدرام : وجعل أتابكه الأمير إياز ولقبه جلال الدولة ، ثم جاء السلطان مجد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه ، وكان الذي أخذ البيعة بالصلح الكيا الهراسي ، وخطبه بالجانب الغربي ، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ، ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدمست ، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي ، في درس النظامية ، ليرغب الناس في العلم ، وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ولا يعرف ما سبب ذلك . وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج ، قتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً ، ثم أديل عليهم الفرنج قتلوا منهم خلقاً .

ومن توفى فيها من الأعيان **السلطان بركيارق بن ملكشاه**

ركن الدولة السلجوقي ، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة ، خطب له ببغداد ست مرات ،

ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد ، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور ، ثم قام من بعده ولده ملكشاه ، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

عيسى بن عبد الله

القاسم أبو الوليد الفزنوي الأشعري ، كان متمصبا للأشعري ، خرج من بغداد قاصداً لبلده فتوفى باسفرايين .
محمد بن أحمد بن إبراهيم
ابن سلفة الأصبهاني ، أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ .

أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

ابن أحمد الفسافي الأندلسي ، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً بالغة والشعر والأدب ، وكان يسمع في جامع قرطبة ، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر

أبو الحسن الواسطي ، سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب وقال الشعر . من ذلك قوله :

مَنْ قَالَ لِي جَاءَ وَلِي حِشْمَةٌ * وَلِي قَبُولٌ عِنْدَ مَوْلَانَا
وَلَمْ يَعِدْ ذَلِكَ بِنَفْعٍ عَلَيَّ * صَدِيقِي لَا كَانَ مَا كَانَا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في المحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحي نهاوند ، وسمى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالتة خاق من الجهلة الرعاع ، وباعوا أملاكهم ودفعوا أيمانها إليه ، وكان كرمياً يعطى من قصده ما عنده ، ثم إنه قتل بتلك الناحية . ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره ، بل قبض عليه في أقل من شهرين ، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك ، فما كان بأسرع من زوال دولتهما . وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة ، فأتلقت شيئا كثيرا من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد . وفيها كسر طفتكين أتاكبك عساكر دمشق الفرنج ، وعلا مؤيدا منصوراً إلى دمشق ، وزينت البلد زينة عجيبية مليحة ، سروراً بكسره الفرنج . وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تنش صاحب حلب مدينة نصيبين ، وفيها ورد إلى بغداد ملك من الملوك وصحبته رجل يقال له الفقيه ، فوعظ الناس في جامع القصر . وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو الفتح الحاكم

سمع الحديث من البيهقي وغيره ، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك ، وكان قد تفقه أولاً على الشيخ أبي علي السنجبي ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بمحضته ، واستجاده وولى بلده مدة طويلة ، وناظر ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلكان : وبني للصوفية رباطاً من ماله ، ولزم التعبد إلى أن مات في مسهل المحرم من هذه السنة .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق ، أبو منصور الخياط ، أحد القراء والصلحاء ، ختم الوفا من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفى اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يجتمع لغيره مثله ، ولم ينفد له نظير في تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفى سبعاً وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رئاه الشعراء ، ورآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بتعليمي الصبيان الفاتحة .

محمد بن عبيد الله بن الحسن

ابن الحسين ، أبو الفرج البصري قاضياً ، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما ، ورحل في طلب الحديث ، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر . **مهارش بن مجلى** أمير العرب بمدينة غانة ، وهو الذي أودع عنده القائم بأمر الله ، حين كانت فتنة البساسيري ، فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى ، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة ، توفى في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس مائة من الهجرة

قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله (س) : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » . حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي (س) : « أنه قال : « إني لأرجو أن لا يعجز أمتي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم . قيل لسعد : ولم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة » . وهذا من دلائل النبوة . وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنه عليه السلام ذكر شيئاً من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء . وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا ، وبالله المستعان .

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها ما كان كثيرة ، وقتل خلقاً منهم ، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، في رأس جبل منيع هناك ، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة في بعض صيوده

فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، فقال الرومي : لو كان هذا الجبل ببلادنا لا نخذنا عليه قلعة ، فخذنا هذا السلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار ، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الله بن عطاء ، فتعب المسلمون بسببها ، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه ، وطاف به في الأقاليم ، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا ، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة ، وكان الناس يتشاهمون بهذه القلعة ، يقولون : كان دليلها كلبا ، والمشير بها كافرا ، والمتحصن بها زنديقا . وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين بني عبادة ، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها . وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولى سقاو وإلى الموصل وأقطعه إياها ، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد مقاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا ، ثم أقبل قليج أرسلان بن قتلش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولى ، فصار جاولى إلى الرحبة ، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قليج فكسره وألقى قليج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك . وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقنتلوا قتالا عظيما والله الحمد ، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ، ثم كانت الهزيمة على الفرنج والله الحمد رب العالمين .

قتل فخر الملك أبو المظفر

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاد أبيه ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائماً ، قتله باطنياً ، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي وهو يقول له : عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة ، فأصبح متعجباً ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار إليه بهض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شاباً يتظلم وفي يده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بمخنجر بيده فقتله ، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقررره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذباً ، فقتل وقتلوا أيضاً . وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهير وخرّب داره التي كان قد بناها أبوه ، من خراب بيوت الناس ، فكان في ذلك عبيرة وموعظة لنوى البصائر والنهي ، واستنيب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغانى ، ومعه آخر . وحج بالناس فيها الأمير ترکان وإسمه اليرن ، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن المظفر

أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإحام الخصوم . قال والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خوف ، ناحية من نواحي نيسابور .

جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، أبو محمد القاري البغدادي ، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبوية ، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات ، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته ، وكان صحيح الثبت ، جيد الذهن ، أديباً شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتاباً في القراءات ، وكتاب التنبية والخرق وغير ذلك ، وله كتاب مصارع المشاق وغير ذلك ، ومن شعره قوله :

قتل الذين بجهلهم * أضحوا يعيرون الحبار
والحاملين لها من الـ * أيدي بمجتمع الأساور
لولا الحبار والمقا * لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة الـ * مبعوث من خير المشائر
والناقلون حديثه عن * كابر ثبت وكابر
لأيت من بشع الضلا * ل عسا كرا تتلوعسا كرا
كل يقول بجهله * والله للظلم ناصر
مميهم أهل الحديث * أولى النهى وأولى البصائر
م حشؤ جنات النعيم * على الأسرة والمنابر
رقاء أحمد كلهم * عن حوضه ريان صادر

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائعة منها قوله :

ومدح شرح الشباب وقد * عمه الشيب على وفرة
يخضب بالوشمة عشونه * يكفيه أن يكذب في لحيته

عبد الوهاب بن محمد

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي ، سمع الحديث الكثير ، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد ، في سنة ثلاث وثمانين ، فدرس بها مدة ، وكان يعلّم الأحاديث ، وكان كثير التصحيف ، روى مرة حديث « صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين » . فقال :

كتاب في غلاس . ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لاضاءتها .

محمد بن إبراهيم

ابن عبيد الأسدي الشاعر ، لقي الخنيسى التهامي ، وكان مغرمًا بما يمرض شعره ، وقد أقام
بالبحرين وبالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قالتْ قناتْ إذ أتيتْ مراراً • قال قلتْ كاهلي بالأيدى

قلتْ طوتْ قال بل تطولتْ • قلتْ مزقتْ قال حبل ودادى

يوسف بن علي

أبو القاسم الزنجاني الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن
القاضي أبي العلي ، قال : كنا يوماً بجامع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة
في المعار فقال الشاب : غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حبة قهض
الناس هاربين وتبعت الحبة ذلك الشاب من بينهم ، فقيل له تب تب . فقال : تب ، فذهبت فلا
ندري أين ذهبت . رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة

فيها جدد الخليفة اطلع على وزيره الجديد أبي الممالى هبة الله بن محمد بن المطلب ، وأكرمه
وعظمه . وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقاه الوزير والأعيان ، وأحسن
إلى أهلها ، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء . وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي
صاحب الخلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرحان الديلمي ، صاحب
ساوة ، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة . وقد كان جيشه
عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقتل صدقة في المعركة ، وأسر جماعة من رؤس أصحابه
وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار ، وجواهر نفيسة . قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صيبة
عجيبه تنكلم على أسرار الناس ، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات ، وبالغ للناس في أنواع الخيل
عليها ليمدوا حالها فلم يمدوا . قال ابن هقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ،
حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في
داخل البنادق من المشمع والطين المختلف ، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ
أحدم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله . وفيها قدم القاضي
نجر الملك أبو عبيد علي صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج ، فأكرمه السلطان
غياث الدين محمد إكراماً زائداً ، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج

ومن توفي فيها من الأعيان . **تيم بن المعز بن باديس**
صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك حلما وكرما ، وإحسانا ، ملك ستا وأربعين سنة ، وعمر
تسعا وتسعين سنة ، وترك من البنين أنهد من مائة ، ومن البنات ستين بنتا ، وملك من بعده ولده
يحيى ، ومن أحسن ما مدح به الأمير تيم قول الشاعر :

أصحُّ وأعلى ما معناه في النداء * من الخير المرويِّ منذُ قديمٍ
أحاديثُ تروها السيولُ عن الحيا * عن البحرِ عن كفتِ الأميرِ تيمِ

صدقة بن منصور

ابن ديبس بن علي بن يزيد الأسدي ، الأمير سيف الدولة ، صاحب الحلة وتكريت وواسط
وغيرها ، كان كريما عفيفا ذا ذمام ، ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده ، ونحت جناحه ، وكان يقرأ
الكتب المشككة ولا يحسن الكتابة ، وقد اقتنى كتباً نفيسة جداً ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ،
ولا يتسرى على سبيرة حفظاً للذمام ، ولثلا يكسر قلب أحد ، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً .
قتل في بعض الحروب ، قتله غلام اسمه برغش ، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى .
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالختون بنت ملكشاه أخت
السلطان محمد ، على صداق مائة ألف دينار ، ونثر الذهب ، وكتب العقد بأصبهان . وفيها كانت
الحروب الكثيرة بين الاتابك طفتكين صاحب دمشق وبين الفرنج . وفيها ملك سعيد بن حميد
العمري الحلة السيفية . وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ففرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك
غلاء شديداً . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان **الحسن العلوي**

أبو هاشم ابن رئيس همدان ، وكان ذامال جزيل ، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسمائة
ألف دينار ، فوزتها ولم يبع فيها عقاراً ولا غيره .

الحسن بن علي

أبو الفوارس بن الخازن ، الكاتب المشهور بالخط المنسوب . توفي في ذي الحجة منها . قال ابن
خلكان : كتب بيده خمسمائة ختمة ، مات فجأة .

الروباني صاحب البحر

عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو الحسن الروباني ، من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، ولد
سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصل علوماً آجة ، وسمع

الحديث الكثير ، وصنف كتباً في المذهب ، من ذلك البحر في الفروع ، وهو حافل كامل شامل للفرائب وغيرها ، وفي المثل « حدث عن البحر ولا حرج » وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفطي ، قتل ظلما يوم الجمعة ، وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان ، قتله رجل من أهلها رحمه الله . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه ، وكان للرواي الجاه العظيم ، والحرمة الوافرة ، وقد صنف كتباً في الأصول والفروع ، منها بحر المذهب ، وكتاب مناصب الامام الشافعي ، وكتاب الكافي ، وحلية المؤمن ، وله كتب في الخلاف أيضا .

يحيى بن علي

ابن محمد بن الحسن بن بسطام ، الشيباني التبريزي ، أبو زكريا ، أحد أئمة اللغة والنحو ، قرأ على أبي العلاء وغيره ، ونجرح به جماعة منهم منصور بن الجواليقي . قال ابن ناصر : وكان ثقة في النقل ، وله المصنفات الكثيرة . وقال ابن خيرون : لم يكن مرضى الطريقة ، توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال ، وسبوا الحرير والأطفال ، وغنموا الأمتعة والأموال ، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال . وقد هرب منهم نجر الملك بن عمار ، قصده صاحب دمشق طفتكين فأكرمه وأقطعه بلداً كثيرة . وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقى الحرق فأقر على جماعة من الباطنية فأخذوا قتلوا . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن علي

ابن أحمد ، أبو بكر العلوي ، كان يعمل في تجصيص الحيطان ، ولا ينتقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئاً ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وتفقه عليه بشيء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فاذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطأ بعصاه ويقول يا رب ههنا . فقيل إنه حج في هذه السنة فوقف بعرفات محرماً فتوفي بها من آخر ذلك اليوم ، ففسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لومات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله .

عمر بن عبد الكريم

ابن سعدويه الفتيان الدهقاني ، رحل في طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرج واتمخ ، وكان

له فقه في هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين . كانت وفاته
بسرخس في هذه السنة . محمد ويعرف بأخي حماد

وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبي (س) في المنام فعوفى ، فزعم
مسجدا له أربعين سنة ، لا يخرج إلا إلى الجمعة ، واقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته في هذه
السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسةائة

في أولها تجهز جماعة من البغدادية من الفقهاء وغيرهم ، ومنهم ابن الداغوثي ، للخروج إلى الشام
لأجل الجهاد ، وقتل الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا
في ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج . وفيها
قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فزلت في دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل
جهازها على مائة واثنين وستين جملا ، وسبعة وعشرين بغلا ، وزينت ببغداد لقدمها ، وكان دخولها
على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة . وفيها درس أبو بكر الشافعي بالنظامية
مع التاجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان . وحج بالناس قبازا ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج
من العطش وقلة الماء .

ومن توفى فيها من الأعيان ادريس بن حمزة

أبو الحسن الشافعي الرملي العثماني ، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي ، تفقه أولا على
نصر بن إبراهيم ، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي ، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء
النهر ، وأقام بسمرقند ودرس بمدرستها إلى أن توفى في هذه السنة .

علي بن محمد

ابن علي بن عماد الدين ، أبو الحسن الطبري ، ويعرف بالكيا الهراسي ، أحد الفقهاء الكبار ،
من رؤس الشافعية ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل على إمام الحرمين ، وكان هو والغزالي أكبر
التلامذة ، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد ، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهوريا
الصوت جميلا ، وكان يكرر لمن إبليس على كل مرقة من مراقب النظامية بنيسابور سبع مرات ، وكانت
المراقب سبعين مرقة ، وقد سمع الحديث الكثير ، وناظر وأنتق ودرس ، وكان من أكبر الفضلاء وسادات
الفقهاء ، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الامام أحمد بن حنبل في مجلد ، وله غيره من المصنفات ،
وقد اتهم في وقت بأنه يمالي الباطنية ، فترجع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك
منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه . توفى في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة

ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث وينظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقاييس في مهاب الرياح ، وحكى السلفي عنه أنه استفتى في كتبه الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله (س) « من حفظ على أمي أربعين حديثاً بعثه الله عالماً » . واستفتى في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً وفسقاً ، وجوز شتمه ، وأما الفزالي فإنه خالف في ذلك ، ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً لعنه ، لأن القاتل لا يلحق ، لا سيما وباب التوبة مفتوح ، والذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الفزالي : وأما الترحم عليه فحائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً في الصلوات . ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا هذا ، قال : والكيا كبير القدر مقدم معظم والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فيها بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيراً ، محبة الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل ، في جملة أمراء ونواب ، منهم سكان القطبي ، صاحب تبريز ، وأحمد يل صاحب مراغة ، والأمير إيلغازي صاحب ماردين ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فانزعوا من أيدي الفرنج حصونا كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً والله الحمد ، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاهه باطنى في زى سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته ، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع بيغداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة . وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فصربت الدباب والبوقات ، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضى بوفاته وجلس الوزير للهناء والرزاء . وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام ، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهراً . وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدي المصريين ، عليها عز الملك الاعز من جهتهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ومنعها منعاً جيداً ، حتى نفى ما عنده من النشاب والمدد ، فأمدته طفنتكين صاحب دمشق ، وأرسل إليه المدد والآلات أقوى جأشه وترحات عنه الفرنج في شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصصة مرخصة .

ومن توفي فيها من الأعيان أبو حامد الفزالي .

محمد بن محمد بن محمد

أبو حامد الفزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفق على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه ، وساد في

شبيته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل ، وهما من رؤس الخنابلة ، فتمعجبوا من فصاحته واطلاعه ، قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق دبيت المقدس مدة ، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين ، وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأمادينا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات ، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين ، وبين زيفها في مصنف مفيد ، وقد كان الغزالي يقول : أنا مزجي البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين ، وقد صنف ابن الجوزي كتاباً على الأحياء وسماه علوم الأحياء بأغاليط الأحياء ، قال ابن الجوزي : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستانا أنيقاً ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال : أوصني ، فقال : عليك بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة
 في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرساً بالنظامية وعزل عنها الشاشي . وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام ، وكان شافعيّاً تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة ، جراه رجل مرة يقال له ابن السقافي مسألة فقال : له أسكت فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك أن تموت على غير دين الاسلام ، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقافي إلى بلاد الروم في حاجة فتنصر هناك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقام إليه مرة وهو يعظ الناس ابناً أبي بكر الشاشي فقال له : إن كنت تتكلم على مذهب الأشعري وإلا فاسكت ، فقال : لا تمتعنا بشبابكنا ، فانا شابين ، ولم يبلغا سن الكهولة . وحج بالناس فيها أمير الجيوش بطز الخادم ، ونالهم عطش .

ومن توفي فيها من الأعيان صاعد بن منصور

ابن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابوري ، سمع الحديث الكثير ، وولى الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير ، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه ، وقد ولى قضاء خوارزم .

محمد بن موسى بن عبد الله

أبو عبد الله البلاساعوني التركي الحنفي ، ويعرف باللامشي ، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً وذكر أنه ولى قضاء بيت المقدس ، فشكوا منه فعزل عنها ، ثم ولى قضاء دمشق ، وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة ، وهو الذي رتب الإقامة منى ، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصلوا بأجمعهم في دار الخليل ، وهي التي قبل الجامع مكان المدرسة الامينية ، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة ، وكان يقول : لو كانت لي الولاية لأخنت من أصحاب الشافعي الجزية ، وكان مبعوضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته في القضاء مجودة ، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال : وقد شهدت جنازته وأنا صغير في الجامع .

المعمر بن المعمر

أبو سعد بن أبي عمار الواعظ ، كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكياً ، له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة ، توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

أبو علي المعري

كان عابداً زاهداً ، يتقوت بأدنى شيء ، ثم عن له أن يشتغل بعلم الكيمياء . فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك . نزوه

أم ولد الخليفة المستظهر بالله ، كانت سوداء محتشمة كريمة النفس ، توفيت يوم الجمعة ثاني عشر شوال منها .

أبو سعد السمعاني

مصنف الأناساب وغيره ، وهو تاج الاسلام عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر المنصور عبد الجبار السمعاني ، المروزي ، الفقيه الشافعي ، الحافظ المحدث ، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ ، وصنف التفسير والتاريخ والأناساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي ، وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جداً ، منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها إسناداً ومتنا ، وهو مفيد جداً رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الاتابك

طفنتكين ، ومعه صاحب سنجار وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خاتما كثيرا ، وغنموا منهم أموالا جزيلة ، وملكوا تلك النواحي كلها ، والله الحمد والمنة ، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة ، قال صلى هو الملك طفنتكين يوم الجمعة بالجامع ، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يدا الآخر فطفر باطى دلى مودود قتله رحمه الله ، فيقال إن طفنتكين هو الذى مالا عليه فله أعلم ، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إن أمة قتلت عبيدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبديها . وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تنش بعد أبيه ، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرسم . وفيها فتح المارستان الذى أنشأه كشتكين الخادم ببغداد . وحج بالناس زنى بن برشق .

ومن توفى فيها من الأعيان إسماعيل بن الحافظ ابى بكر بن الحسين البيهقي
سمع الكثير وتنقل في البلاد ، ودرس بمدينة خوارزم ، وكان فاضلا من أهل الحديث ، مرضى
الطريقة ، وكانت وفاته ببلده بيهق في هذه السنة .

شجاع بن أبي شجاع

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ ، سمع الكثير ، وكان فاضلا في هذا الشأن
وشرع في تسميم تاريخ الخطيب ثم غسله ، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن
الحجاج سبع مرات ، توفى في هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

محمد بن أحمد

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن
عبسة بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ، الأموى أبو المظفر بن أبي العباس الأبيوردى
الشاعر ، كان علما بالغة والأنسب ، سمع الكثير وصنف تاريخ أبي ورد ، وأنساب العرب ، وله
كتاب في المؤتاف والختاف ، وغير ذلك ، وكان ينسب إلى الكبر والتية الزائد ، حتى كان يدعو في
صلاته : اللهم ملكنى مشارق الأرض ومغاربها ، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعامى ، فكشط
الخليفة الميم فبقت المعامى ، ومن شعره قوله :

تنكر لى دهرى ولم يدبر أنى * أعز وأحداث الزمان تهون
وظل برينى الدهر كيف اختاراه * وبث أربه الصبر كيف يكون

محمد بن طاهر

ابن على بن أحمد ، أبو الفضل المقدسى الحافظ ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأول سماعه

سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة ، وصنف كتباً مفيدة ، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق فيه أحاديث منكورة جداً ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة .
 وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه . « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داودي المذهب ، فن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث ، وإلا فما يجرح به أولى . قال :
 وذكره أبو سعد السمعاني وانتصر له بغير حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطالحي فأكثر الثناء عليه ، وكان سيء الرأي فيه . قال وسمعت أبا الفضل ابن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يحتاج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية ، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات .

دَعِ النَّصُوفَ وَالزَّهْدَ الَّذِي اشْتَغَلْتْ * بِهِ خَوَارِجُ أَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ
 وَعَجَّ عَلَى دِيرِ دَارِيَا فَأَنَّ بِهِ الرَّهْمَ * بَلَّانُ مَا بَيْنَ قَسِيْسٍ وَشَمَاسِ
 وَاشْرَبَ مَعْتَقَةً مِنْ كَفِّ كَافِرَةٍ * تَسْمِيكَ خَمْرِينَ مِنْ لِحْظٍ وَمِنْ كَاسِ
 نَمِ اسْتَمَعَ رَنَةَ الْأَوْتَارِ مِنْ رَشَاءِ * مَهْفَبِ طَرْفُهُ أَمْضَى مِنَ الْمَاسِ
 فَتَى بِشَعْرِ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مَشْهُرٍ * مَدُونٍ عِنْدَهُمْ فِي صَدْرِ قِرْطَاسِ
 لَوْلَا نَسِيْمٌ بَدَأَ مِنْكُمْ بِرُوحِي * لَكُنْتُ مُحْتَرَقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

ثم قال السمعاني : له-له قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت .
 وَمَا كُنْتُمْ تُعْرِفُونَ الْجَفَا * فَمَنْ نَزَى قَدْ تَلَمَّتْ
 ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

أبو بكر الشاشي

صاحب المستظري محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء ، وأبي بكر الخطيب ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وتفقه عليه وعلى غيره ، وقرأ الشامل على مصنعه ابن الصباغ ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ، ويعرف بالمستظري ، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد :

كَلِّمْ يَا فَتَى وَالِدُودُ غَضْبَةً * وَطِينِكَ لَيْتَ وَالطَّبِيخُ قَابِلٌ
 فَحَسْبُكَ يَا فَتَى شَرْطًا وَغَفْرًا * سَكَوتُ الْحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلٌ

توفي سحر يوم السبت السادس عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي
بياب إبرز .
المؤتمن بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله ، أبو نصر الساجي المقدسي ، سمع الحديث الكثير ، وخرج
وكان صحيح النقل ، حسن الخط ، مشكور السيرة لطيفاً ، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق
الشيرازي مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيرها ، وهو معدود من جملة الحفاظ ، لا سيما المشون ، وقد
تكلم فيه ابن طاهر . قال ابن الجوزي : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثريا من الثرى ؟ توفي المؤتمن
يوم السبت ثاني عشر صفر منها ، ودفن بياب حرب والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر
ربحاً ، ومن الرها بيوتا كثيرة ، وبعض دور خراسان ، ودورا كثيرة في بلاد شق ، فهلك من أهلها
نحو من مائة ألف ، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها ، وخسف بمدينة حميساط وهلك تحت
الردم خلق كثير . وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تنش ، قتله
غلمانه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد
غزنة ، وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة ، وأخذ منها أموالا كثيرة لم ير مثلها ، من ذلك خمس تيجان
قيمة كل تاج منها ألف دينار ، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمائة قطعة
مصاغ مرصعة ، فأقام بها أربعين يوماً ، وقرر في ملكها بهرام شاه ، رجل من بيت سبكتكين ، ولم
يخطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا ، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة ، لا يجسر
أحد من الملوك عليهم ، ولا يطبق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سبكتكين . وفيها ولي السلطان محمد
للأمير آقسنقر البرسقي الموصل وأعمالها ، وأمره بمقاتلة الفرنج ، فقاتلهم في أواخر هذه السنة فأخذ
منهم الرها وحرهما وبروج وحميساط ، ونهب ماردین وأسر ابن ملكها إلياز إيلغازي ، فأرسل
السلطان محمد إليه من يتهده ففر منه إلى طفتكين صاحب دمشق ، فاتفقا على عصيان السلطان
محمد ، فجرت بينهما وبين نائب حصن قرجان بن قراجه حروب كثيرة ، ثم اصطلحوا . وفيها ملكت
زوجة مرعش الأفرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير بن
الخادم ، وشكر الناس حجهم معه .

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشا كثيرا مع الأمير برشق
ابن إيلغازي صاحب ماردین إلى صاحب دمشق طفتكين ، وإلى آقسنقر البرسقي ليقاتلها ، لأجل

عصيانها عليه ، وقطع خطبته ، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه ونجوا إلى الفرنج ، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية ، وجاء صاحب إنطاكية روجيل في خمسمائة فارس وألني راجل ، فكبس المسلمين فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة وهرب برشق في طائفة قليلة ، وتمزق الجيش الذي كان معه شد مذر ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي ذى القعدة منها قدم السلطان محمد إلى بغداد ، وجاء إليه طفتكين صاحب دمشق معتذرا إليه ، فخلع عليه ، ورضى عنه ورده إلى عمله .

وفيها توفي من الأعيان . إسماعيل بن محمد

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني أحد الرحالين في طلب الحديث ، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا ، واستملى عليه محمد بن ناصر ، وتوفي بأصبهان .

منجب بن عبد الله المستظهري

أبو الحسن الخادم ، كان كثير العبادة ، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر ، قال : وقف على أصحاب

الحديث وقتا عبد الله بن المبارك

ابن موسى ، أبو البركات السقطي ، سمع الكثير ورحل فيه ، وكان فاضلا عارفا باللغة ، ودفن بباب

يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

حرب

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، عارفاً حسن السيرة محباً للفقراء والعلماء ، وله عليهم

أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولداً ، وقام بالأمر من بعده ولده علي .

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزينبي ، ورباط نهر زور

ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها . وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس

السلطان محمد ، قتله الباطنية ، وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الرافض والسنة بمشهد علي

ابن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت

نائبها خوفاً عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس بطرخادام ، وكانت سنة مخصبة آمنة والله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان . . . عقيل بن الأمام أبي الوفا

علي بن عقيل الحنبلي ، كان شاباً قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعاني جيدا ، ولما توفي

صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد ، فقرأ قارىء في العزاء [قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا]

الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديداً .

علي بن أحمد بن محمد

ابن الرزاز ، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة ، وتفرد بأشياء غيره . توفى فيها عن سبع وأسمين سنة .
محمد بن منصور

ابن محمد بن عبد الجبار ، أبو بكر السمعاني ، سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد ، وأملى بمرو ومائة وأربعين مجلساً ، وكانت له معرفة تامة بالحديث ، وكان أديباً شاعراً فاضلاً ، له قبول عظيم في القلوب ، توفى بمرو عن ثلاث وأربعين سنة .

محمد بن أحمد بن طاهر

ابن أحمد بن منصور الخازن ، قبه الامامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان ، توفى في رمضان منها .

محمد بن علي بن محمد

أبو بكر النسوي ، الفقيه الشافعي ، سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلاً أديباً ورعاً .
محفوظ بن أحمد

ابن الحسن ، أبو الخطاب الكلوزاني ، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم ، سمع الكثير وتفقه بالقاضي أبي يعلى ، وقرأ الفرائض على الوفي ، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع ، وله شعر حسن ، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها :

دع عنك تذكار الخليط المتحد * والشوق نحو الآنسات الخرد
والنوح في تذكار سمدي إنما * تذكار سمدي شغل من لم يسعد
واسمع معاني إن أردت تخلصاً * يوم الحساب وخذ بقولي تهتدي

وذكر تمامها وهي طويلة ، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، وصلى عليه بجامع القصر ، وجامع المنصور ، ودفن بالقرب من الامام أحمد .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسة مائة

في رابع صفر منها انكسف القمر كسوفاً كلياً ، وفي تلك الليلة هجم الفرنج على ربض حماه فقتلوا خلقاً كثيراً ، ورجعوا إلى بلادهم . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الغلات بها جدا ، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذي كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تنش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجها إلى حمير ، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنب أرنب ، فرموه بالشباب موهمين أنهم يصيدون أرنباً فقتلوه . وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن

سلجوق ، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة . والأقاليم الواسعة . كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، غادلاً رحباً ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه وبكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران وحكم ، ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى المساكين وكان فيها إحدى عشر ألف دينار ، واستقر الملك له ، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً . وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر ، صاحب حلب بدمشق .

ومن توفي فيها من الأعيان . القاضي المرتضى

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري ، قاضي دمشق في أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وتفتحه بها ، وكان شافعي المذهب ، بارعاً ديناً ، حسن النظم ، وله قصيدة في علم التصوف ، وكان يتكلم على القلوب ، أورد قصيدته بتامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمتْ ناهمُ وقد عسعسَ اليدي * لُوْمَلِّ الحادي وَحَارَ الدليلُ
فَنَامَلَتْهَا وفكري من البيتِ * من عليلٍ ولحظُ عَيْني كليلُ
وفؤادي ذاك الفؤادُ المعنى * وغرامِي ذاك الغرامُ اللخيلُ
وله ياليلُ ما جئتكم زاراً * إلا وجدتُ الأرضَ تطوى لي
ولا نثيتُ العزمَ عن بابكم * إلا تعنتتُ بأذيالي
وله يا قلبُ إلى متى لا يفيدُ النصيحُ * دَعْ مَرْحُوكَ كم جنى عليك المرحُ
ما جارحةٌ منكُ غذاها جرحُ * ما تشعُرُ بالخنارِ حتى تصحو

توفي في هذه السنة . قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بعد العشرين وخمسةائة فإله أعلم .

محمد بن سعد

ابن نبهان ، أبو علي الكاتب ، سمع الحديث وروى وعمره مائة سنة وتغير قبل موته ، وله شعر حسن ، فنه قوله في قصيدة له :

لي رزقٌ قدره اللهُ * نعمَ ورزقٌ أنوطاهُ
حتى إذا استوفيتُ منه * الذي قدر لي لا أتمدها
قال كرامٌ كنتُ أغشاهُ * في مجلسٍ كنتُ أغشاهُ
صارَ ابنُ نبهانَ إلى ربه * برحمتنا اللهُ وإياهُ

أمير الحاج

بن عبد الله أبو الخير المستظهرى ، كان جواداً كريماً ممدحاً ذا رأى وفطنة ناقبة ، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعالى بإفادة أبي نصر الأصبهاني ، وكان يؤم به في الصلوات ، ولما قدم رسولا إلى أصفهان حدث بها . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصفهان ثم دخلت سنة إثنتي عشرة وخمسمائة

فيها خطب للسلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وفيها سأل ديبس بن صدقة الأسدى من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها ، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال ، فأجابه إلى ذلك ، فمظم وارفع شأنه .

وفاة الخليفة المستظهر بالله

هو أبو العباس أحمد بن المقتدى ، كان خيراً فاضلاً ذكياً بارعاً ، كتب الخط المنسوب ، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد ، وكان راغباً في البر والخير ، مسارعاً إلى ذلك ، لا يرد سائلاً ، وكان جميل المشرة لا يصغى إلى أقوال الوشاة من الناس ، ولا يثق بالمباشرين ، وقد ضبط أمور الخلافة جيداً ، وأحكمها وعلمها ، وكان لديه علم كثير ، وله شعر حسن . قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافته ، وقد ولى غسله ابن عقيل وابن السنى ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبيراً ربماً ، ودفن في حجرة كان يسكنها ، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدى ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا ، في سادس عشر ربيع الآخر ، وله من العمر إحدى وأربعون سنة ، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

خلافة المسترشد أمير المؤمنين

أبو منصور الفضل بن المستظهر : لما توفي أبوه كما ذكرنا يبيع له بالخلافة ، وخطب له على المنابر وقد كان ولى العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان الذى أخذ البيعة له قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ولما استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن فى سفينة ومعه ثلاثة نفر ، وقصد ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن على بن مزيد الأسدى بالحلة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فقلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك ، فراسل ديبساً فى ذلك مع ققيب النقباء الزينبى ، فهرب أخو الخليفة من ديبس فأرسل إليه جيشاً فألجأوه إلى البرية ، فالحقه عطش شديد ، فلقبه بدويان فسقيه ماء وحمله إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتبا كياً ، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة ، وأحسن إليه ، وطيب نفسه ، وكانت مدة غيبته عن بغداد إحدى عشر شهراً ، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها كان غلاء شديد ببغداد ، وانقطع الغيث وعمدت الأقوات ، وتفانم أمر

العيارين ببغداد ، ونهبوا الدور نهاراً جهاراً ، ولم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس في هذه السنة الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان الخليفة المستظهر
كما تقدم . ثم توفيت بعده جدته أم أبيه المقتدى .

أرجوان الأرمنية

وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجبت ثلاث حجبات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولدا .

بكر بن محمد بن علي .

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري ، روى الحديث ، وكان يضرب به المثل في مذهب أبي حنيفة ، وتفقه على عبد العزيز بن محمد الحلواني ، وكان يذكر الدروس من أى موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة . توفي في شعبان منها .

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

الزيني ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه على أبي عبد الله الدامغاني ، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة ، ونظر في أوقافها ، وانتهت إليه رياسة مذهب أبي حنيفة ، ولقب نور الهدى ، وسار في الرسلية إلى الملوك ، وولى نقابة الطالبين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهر فقولها أخوه طراد . توفي يوم الاثنين الحادى عشر من صفر ، وله من العمر ثمان وتسعون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي ، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء ، ودفن عند قبر أبي حنيفة داخل القبة .

يوسف بن أحمد أبو طاهر

ويعرف بابن الجزرى ، صاحب الخزن في أيام المستظهر ، وكان لا يوفى المسترشد حقه من التعظيم وهو ولى العهد ، فلما صارت إليه الخلافة صادرة بمائة ألف دينار ، ثم استقر غلاماً له فأوماً إلى بيت فوجد فيه أربعمائة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل بهذا العام .

أبو الفضل بن الخازن

كان أديباً لطيفاً شاعراً فاضلاً فن شعره قوله :

وافيتُ منزله فلم أر صاحباً * إلا تلقاني بوجه ضاحكٍ
والبشر في وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلتُ جنته وزرتُ جحيمه * فشكرتُ رضواناً ورأفة مالك

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها لسنجر ، فغلب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أعماله . وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها ، وقتلوا من أهلها خلقا ، فسار إليهم صاحب ماردن إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف ، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به ، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة ، والله الحمد . ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر من مقدميهم نيفا وتسعين رجلا ، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فقال بهض الشعراء في ذلك وقد بالغ مبالغة فاحشة :

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الأنجيل

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد ، وكان ظلما غاشما سعى السيرة ، قتله السلطان محمود بن محمد صبرا بين يديه لأمر : منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها ، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه ما كان أظلمه وأغشمه . وفيها تولى قضاء قضاء بغداد الأكل أبو القاسم ابن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي ، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدامغانى ، وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب ، وشاهد ذلك الناس ، ولم تبطل أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة ، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه ، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزى والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ابن عقيل

علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن سبطا ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان ، والفرائض على عبد الملك الهمداني ، والوعظ على أبي طاهر بن الملا ، صاحب ابن ميمون ، والأصول على أبي الوليد المعتزلى ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لامة بهض أصحابه فلا يولى عليهم ، فلهدنا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ في بعض الأحيان فوقت فتنة فترك ذلك ، وقد تمتع الله بجميع حواسه إلى حين موته ، توفى بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت جنازته حافلة جدا ، ودفن قريبا من قبر الامام أحمد ، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله .

أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني

قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، ولد فى رجب سنة ست وأربعمائة ، وولى القضاة بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة ، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره ، لا شريح ، ثم ذكر إمامته وديانته وصيافته مما يدل على نخوته ، وتفوقه وقوته ، تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبى حنيفة .

المبارك بن علي

ابن الحسين أبو سعد المخرمى ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاة ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأفضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهى المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاة وصودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى الحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند قبر أحمد .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

فى النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود ومسعود ابنى محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه ، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبى إسماعيل ، فقتل وله نيف وستون سنة ، وله تصانيف فى صناعة الكيمياء . ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستقدمه عليه ، فلما التقيابكيا واصطالحا . وفيها نهب ديبس صاحب الحلة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمته بأزاء دار الخلافة ، وأظهر ما فى نفسه من الضغائن ، وذكرك كيف طيف برأس أبيه فى البلاد ، وتهدد المسترشد ، فأرسل إليه الخليفة يسكن جاشه ويمده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود ، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل ديبس يستأمن فأمنه وأجراه على عادته ، ثم إنه نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليمبر فيها ، فهرب ديبس والتجأ إلى إيلغازى فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يمتذر إليهما مما كان منه ، فلم يقبل منه ، وجهز إليه السلطان جيشاً فحاصروه وضيقوا عليه قريباً من سنة ، وهو ممتنع فى بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ، ومع الكرج كفار الفعجاق فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ونهب الكرج تلك النواحي وفعالوا أشياء منكراً ، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعد ما أحرقوا القاضى والخطيب حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسبوا الثرية واستحذوا على الأموال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيها أغار

جوسكين الفرنجى على خلق من العرب والتركمان قتلهم وأخذ أموالهم ، وهذا هو صاحب الرها .
وفيهما تمرت العيارون ببغداد وأخذوا الدور جهاراً ليلاً ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيهما كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب ، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم في
حدائة سنة من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد ، واشتغل بالعلم فحصل منه جانباً جيداً من الفروع
والأصول ، على الغزالي وغيره ، وكان يظهر التعمد والزهد والورع ، وربما كان ينكر على الغزالي
حسن ملابسه ، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية ، أظهر الانكار عليه جداً ، وكذلك على
غيره ، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرى الناس القرآن
ويشغلهم في الفقه ، فطار ذكره في الناس ، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد
إفريقية ، فظلمه وأكرمه ، وسأله الدعاء ، فاشتهر أيضاً بذلك ، وبعد صيته ، وليس معه إلا ركوة
وعصا ، ولا يسكن إلا المساجد ، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مرا كش ومعه تلميذه
عبد المؤمن بن علي ، وقد كان تومر النجابة والشهامة فيه ، فرأى في مرا كش من المنكرات أضعاف
ما رأى في غيرها ، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخذ في
إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مرا كش وما حولها ،
ومعها نساء مثلها را كبات حاسرات عن وجوههن ، فشرع هو وأصحابه في الإنكار عليهن ، وجعلوا
يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها ، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم
بالحجة ، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع
عليه ويدعو الناس إلى قتاله ، فاتبعه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه الملك جيشاً كثيفاً فبهزمهم ابن
تومرت ، فمظم شأنه وارتفع أمره ، وقويت شوكته ، وتسمى بالمهدي ، وسمى جيشه جيش الموحدين
وألف كتاباً في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ، ثم كانت له وقعت مع جيوش صاحب مرا كش ،
فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً ، وذلك بأشارة أبي عبد الله التومرتي ، وكان ذكر أنه
نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر ساه ، فلما اجتاز به وكان
قد أُرصد فيه رجالاً ، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر
حينئذ بعم البئر عليهم فاتوا عن آخرهم ، ولهذا يقال من أعان ظالماً ساط عليه . ثم جهز ابن تومرت
الذي لقب نفسه بالمهدي جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتي ، وعبد المؤمن ، لمحاصرة مرا كش ،
ففرج إليهم أهلها فقتلوا قتالاً شديداً ، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله التومرتي هذا الذي زعم
أن الملائكة تخاطبه ، ثم افتقدوه في القتلى فلم يجدوه ، فقالوا : إن الملائكة رفعت ، وقد كان عبد المؤمن
دفنه والناس في المعركة ، وقتل من معه من أصحاب المهدي خلق كثير ، وقد كان حين جهز الجيش

مريضاً مدنفاً ، فلما جاءه الخبر ازداد مرضاً إلى مرضه ، وساءه قتل أبي عبد الله التومرتي ، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي ، ولقبه أمير المؤمنين . وقد كان شاباً حسناً حازماً عاقلاً ، ثم مات ابن تومرت وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه عشر سنين ، وحين صار إلى عبد المؤمن ابن علي الملك أحسن إلى الرعايا ، وظهرت له سيرة جيدة فأحبه الناس ، واتسمت ممالكه ، وكثرت جيوشه ورعيته ، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مرا كش ، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين ، فمات تاشفين ققام ولده من بعده ، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فتولى أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن فملك تلك النواحي ، وفتح مدينة مرا كش ، وقتل هنالك أمماً لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين ، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان ملكهم سبعين سنة . والذين ملكوا منهم أربعة : علي وولده يوسف ، وولده أبو سفيان وإسحاق ابنا علي المذكور ، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مرا كش ، واستقر ملكه بتلك الناحية ، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدكالة وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس مقاتل ، وهم من الشجعان الأبطال ، قتل منهم خلقاً كثيراً ، وجما غفيراً ، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه بيعت الجارية الحسنة بدرهم معدودة ، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلداً في أحكامه وإمامته ، وما كان في أيامه ، وكيف تملك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي تومر أنها أحوال برة ، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزحق من الأنفس .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن عبد الوهاب بن السني

أبو البركات ، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاءه الخزن ، وكان كثير الأموال والصدقات ، يتعاهد أهل العلم ، وخلف مالا كثيراً حزر بمائتي ألف دينار ، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لملكة والمدينة ، توفى فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة ، ودفن بباب حرب .

عبد الرحيم بن عبد الكبير

ابن هوازن ، أبو نصر القشيري ، قرأ على أبيه وإمام الحرمين ، وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وفطنة ، وله خاطر حاضر جرىء ، ولسان ماهر فصيح ، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن القشيري من بغداد لاطفاء الفتنة فعاد إلى بلده ، توفى في هذه السنة .

عبد العزيز بن علي

ابن حامد أبو حامد الدينوري ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مليح الإيراد حلو المنطق ، توفي بالرى والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسمائة

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميا فارقين ، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة ثمانين وخمسمائة . وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل لقتال الفرنج ، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها فأمر ملكها جوسكين الأفرنجي وجماعة من رؤس أصحابه وسجنهم بقلعة خربت . وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعض بسببها الركن البعاني ، وتهدم بهضه ، وتهدم شيء من مسجد رسول الله (ص) . وفيها ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاتبعه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين . وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شيء من الآثار والتماش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان ، وكان جامعا عظيما ، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار ، ومن جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف ، من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي شعبان منها جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة ، وجاء الاخوان السلطان محمود ومسمود قبلا الأرض ووقفا بين يديه ، فنزع على محمود سبع خلع وطوقا وسوارين وتاجا ، وأجلس على كرسى ووعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى [فن يعمل ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] وأمره بالاحسان إلى الرعايا ، وعقد له لواءين بيده ، وقلده الملك ، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين ، والجيش بين أيديهما في أبهة عظيمة جدا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها . ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي ، ثم المصري اللغوي المصنف كتاب الأفعال ، الذي برز فيه على ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر في حدود سنة خمسمائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين .

أبو القاسم شاهنشاه

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش

بمصر، والعامسة تقول مرجوش، وأبوه باني الجامع الذي بشفر الاسكندرية بسوق العطارين، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور، وقيل على عكا، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر، فسدد الأمور بدم فسادها، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة، ولما مات المستنصر أقام المستعلي واستمرت الأمور على يديه، وكان عادلاً حسن السيرة، موصوفاً ببجودة السريرة فأنه أعلم، ضربه فداوى وهو راكب قتلته في رمضان من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر، وقد وجد له أموال عديدة جداً، تفوق العد والاحصاء، من القناطير المنقطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والأتمام والحراث، والجواهر النفائس، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي، فجعل في خزائنه، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على الفتيل من ذلك والتقير والقطير واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطالحي، ولقبه المأمون. قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا، وسبعين ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي، ودواة ذهب فيها جوهرة باني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال، في عشرة مجالس كان يجلس فيها، على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه، قال: وخلف من الرقيق والخليل والبغال والمراكب والمسك والطيب والخلي ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي الإنسان من ذكره، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوئين بذهب برسم النساء.

عبد الرزاق بن عبد الله

ابن علي بن إسحاق الطوسي، ابن أخى نظام الملك، تفقه بامام الحرمين، وأفتى ودرس وناظر،

خاتون السفريه

ووزر للملك سنجر

حظية السلطان ملكشاه، وهى أم السلطانين محمد وسنجر، كانت كثيرة الصدقة والاحسان إلى الناس، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج. وفيها دين وخير، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها، فأحبت أن تستعلم فهمها فجلست بين جواربها، فلما سمعت أمها كلامها عرقها فقامت إليها فاعتنقا وبكيا، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيراً. وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين، في دولة الأتراك والعجم، ولا يعرف لها نظير في ذلك إلا اليسير من ذلك، وهى

ولادة بنت العباس ، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ، وشاهوند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ، وقد ولها الخلافة أيضاً ، والخيزران ولدت للمهدى الهادي والرشيد .

الطغراني

صاحب لامية العجم ، الحسين بن علي بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصبهاني ، العميد نخر الكتاب اللبني الشاعر ، المعروف بالطغراني ، ولي الوزارة بأربل مدة ، وأورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التي ألفها في سنة خمس وخمسمائة ، في بغداد ، يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية العجم أولها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى المطل
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الإقامة بالزوراء ؟ لا سكنى * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وقد سردها ابن خلكان بكاملها ، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

في المحرم منها رجع السلطان طغرل بك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها ، وأخذ بلاد أذربيجان . وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط لآقسنقر مضافاً إلى الموصل ، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية . وفي صفر منها قتل الوزير السلطان محمود أبو طالب السميرمي ، قتله باطنى ، وكان قد برز للسير إلى همدان ، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوهن ، قد هن بعد العز ، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك . وفيها التقى آقسنقر ودييس بن صدقة ، فهزمه ديبس وقتل خلقاً من جيشه ، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا ديبس وولده ، ورفعهما إلى القاعة ، فعند ذلك آذى ديبس تلك الناحية ونهب البلاد ، وجز شعره ولبس السواد ، ونهبت أموال الخليفة أيضاً ، فنودى في بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباه أسود وطرحة ، وعلى كتفيه البردة ويده القضيب ، وفي وسطه منطقة خرب صيني ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل ، وتلقاه آقسنقر البرشقي ومعه الجيش فقبلوا الأرض ورتب البرشقي الجيش ، ووقف القراء بين يدي الخليفة ، وأقبل ديبس وبين يديه الاماء يضر بن بالدوف والمخانيث بالملاهي ، والتقى الفريقان ، وقد شعر الخليفة سيفه وكبر واقرب من المعركة ، فحمل عنتر بن أبي المسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالاولى فحمل عليه عماد

الدين زندي بن آقسنقر فأسر عنتر وأسر معه بديل بن زائدة ، ثم انهزم عسكر ديبس وألقوا أنفسهم في الماء ، ففرق كثير منهم ، فأسر الخليفة بضر أعناق الأسارى صبراً بين يديه ، وحصل نساء ديبس وسراريه تحت الأسر ، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً ، وأما ديبس فإنه نجى بنفسه وقصد غزوة ثم إلى المنتفق فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها ، ثم خاف من البرشقي فخرج منها وسار على البرية والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب ، ثم فارقه والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود . وفيها ملك السلطان سهام الدين تماش بن إيلغازى ابن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه ، وملك أخوه سليمان ميافارقين . وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين . وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام . وحج بالناس قطز الخادم .

عبدالله بن أحمد

ومن توفى فيها من الأعيان .
ابن عمر بن أبى الأشعث ، أبو محمد السمرقندى ، أخو أبى القاسم ، وكان من حفاظ الحديث ، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبى زرعة الرازى ، وقد صحب الخطيب مدة وجمع ألف وصنف ورحل إلى الآفاق ، توفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة .

علي بن أحمد السمرقندى

نسبة إلى قرية بأصبهان ، كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً ، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحيت من كثرة ظلم من لا ناصر له ، وكثيرة ما أحدثت من السنن السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همدان أحضر المنجمين فضر بوا له تحت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لهودته ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلوطة ، والماليك الكثيرة بالعدد الباهرة ، فما أغنى عنه ذلك شيئاً ، بل جاءه باطنى فضر به فقتله ، ثم مات الباطنى بعده ، ورجع نساؤه بعد أن ذهب بين يديه على مراكب الذهب ، حاسرات عن وجوههن ، قد أبدطن الله الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ، والحزن بعد السرور والفرح ، جزاء وفاقا ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر ، وما أشبه حاله بقول أبى العتاهية في الخيزران وجواربها حين مات المهدي :

رُحِنَ فِي الوُشِيِّ عَلَيْهِنَّ المَسُوحُ * كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ يَوْمٌ يَطْوَحُ
لَتَمُوتَنَّ وَلَوْ عُمِّرَتْ مَا عُمِّرَتْ نُوْحُ * فَعَلَى نَفْسِكُمْ نَحْمٌ إِنْ كُنْتُمْ لَا بَدَّ تَنُوْحُ

الحريري صاحب المقامات

القاسم بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان ، فخر الدولة أبو محمد الحريري . مؤلف المقامات التي

سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سحبان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو ، وصنف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببيعتاد وعمل صناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تنكر بديهته ولا تتمكر فكرته وقريجته . قال ابن الجوزي : صنف وقرأ الأدب واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفظنة والفصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذكاء منشئها ، وقدره وفصاحته ، وعلمه . توفي في هذه السنة بالبصرة . وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال ، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجي كان له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللغة فأنه أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا في النحو واللغة ، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فإنه غنى بنفسه ، لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام . كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ « أصدق الأسماء حارث وهمام » لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة وهو العزم والخطار ، وذكر أن أول مقامة عملها الثامنة والأربعون وهي الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجي ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي المزبن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأنما خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينفث عثونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله بالمشان هو مكان بالبصرة ، وكان الحريري صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميم الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول ساير غرة قرم * ورائداً أعجبت خضرة الدمن
فاختبر نفسك غيري إنني رجل * مثل الميدي فاسمع بي ولا ترني

ويقال إن المعبدى اسم حصان جواد كان في العرب ذميمة الخلق والله أعلم .

البعوي المفسر

الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ، صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه ، والجمع بين الصحيحين والمصاييح في الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً . توفي في شوال منها وقيل في سنة عشر فله أعلم . ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسة

في يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصوراً من قتال ديبس . وفيها عزم الخليفة على طهور أولاد أخيه ، وكانوا اثني عشر ذكراً ، فزينت بغداد سبعة أيام بزيئة لم ير مثلها . وفي شعبان منها قدم أسعد المهيتي مدرساً بالنظامية ببغداد ، وناظرها عليها ، وصرف الباقرجي عنها ، ووقع بينه وبين الفقهاء فنته بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بمائتي طالب منهم ، فلم يهن ذلك على كثير منهم . وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقائلهم فوزمهم ، ثم عاد إلى همدان . وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه بعد وفاة صاحبها قراجا ، وقد كان ظالماً غاشماً . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو علي بن أفلاح ، لأنه كان عيناً لديس ، وأضيف إلى علي بن طراد نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن محمد

ابن علي بن صدقة ، التغلبي ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لو لم يكن له سواها لكفته وهي التي يقول فيها :

خذنا من صبا نجد أماناً لقلبه * فقد كادَ رِيَّاهَا يطيرُ بِلَبِّهِ
وإيا كما ذاك النسيمِ فإنه * متى هبَّ كان الوجدُ يسرَّ خطبه
خليبي ، لو أحببتنا لعلنا * محل الهوى من مغرم القلب صبه
أندكرُ والذكري تشوقُ وذو الهوى * يتوقُ ومن يعلّقُ به الحبُّ يُصْبِرُ
غرامٌ على ياسِ الهوى ورجائه * وشوقٌ على بُعدِ المزارِ وقربه
وفي الركبِ مطويّ الضلوعِ على جوى * متى يدعُ داعي الغرامِ بِلَبِّهِ
إذا خطرَت من جانبِ الرملِ نفحةٌ * تضمنَ منها داوؤهُ دونَ صحبه

وحتجب بين السنة معرض * وفي القلب من أعراضه مثل حجه
أغار إذا آنت في الحى أنة • حذارا وخوفا أن تكون لجه
توفى في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

ثم دخلت سنة ثمان عشر وخمسمائة

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعائة . وفيها ردت شحنة بفسداد إلى
سعد الدولة يرتقش الزكوى وسلم إليه منصور بن صدقة أخو ديبس ليسله إلى دار الخلافة ، وورد الخبر
بأن ديبساً قد التجأ إلى طبرلبك وقد اتفقا على أخذ بفسداد ، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما ، وأمر
آقسنقر بالعود إلى الموصل ، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وفي ربيع الأول
دخل الملك حسام تمرناش بن إيلغازى بن أرتق صاحب حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن
بهرام ، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فمات ، فاستناب تمرناش بحلب ، ثم عاد إلى
ماردين فأخذت منه بعد ذلك ، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل ، وفيها أرسل الخليفة القاضي أبا
سعد الهروي ليخطب له ابنة السلطان سنجر ، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل
العروس . وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدى .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن علي بن برهان

أبو الفتح ، ويعرف بابن الحامى ، ثقة على أبي الوفاء بن عقيل ، وبرع في مذهب الامام أحمد ،
ثم قم عليه أصحابه أشياء ، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعى ، فاشتغل على النزالى
والشاشى ، وبرع وساد وشهد عند الزيبي قبلة ، ودرس في النظامية شهراً . توفى في جمادى ودفن
بباب إبرز .
عبدالله بن محمد بن جعفر

أبو على الدامغانى ، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب في الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك
كله ، وولى حجابة باب النبوى ، ثم عزل ثم أعيد . توفى في جمادى .

أحمد بن محمد

ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الأمثال ، ليس له مثله في بابه ، له شعر جيد ،
توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها قصد ديبس والسلطان طغرل بفسداد ليأخذها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما
الخليفة في جفصل عظيم ، والناس مشاة بين يديه إلى أول منزلة ، ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما
أمست الليلة التي يقتلون في صبيحتها ، ومن عزمهم أن ينهبوا بفسداد ، أرسل الله مطراً عظيماً ،

ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة ، ففرقت تلك الجوع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين ،
 والتجأ ديبس وطغرل إلى الملك سنجر وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس ديبساً
 في قلعة ووشى واش أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى اللان لمحاربة
 الأعداء ، فوقع في نفس سنجر من ذلك وأضمر سوءاً ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة . وفيها قتل
 القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان ، قتله الباطنية ، وهو الذي أرسله الخليفة
 إلى سنجر ليخطب ابنته . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . **أقسنقر البرشقي**

صاحب حلب ، قتله الباطنية - وهم الفداوية - في مقصورة جامعها يوم الجمعة ، وقد كان تركيا
 جيد السيرة ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، كثير البر والصدقات إلى الفقراء ، كثير الاحسان
 إلى الرعايا ، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

بلال بن عبد الرحمن

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله
 (ص) ، رحل وجال في البلاد ، وكان شيخاً جهورى الصوت ، حسن القراءة ، طيب النعمة توفى في
 هذه السنة بسمرقند رحمه الله .

القاضي أبو سعد الهروي

أحمد^(١) بن نصر ، أحد مشاهير الفقهاء ، وسادة الكبراء ، قتله الباطنية بهمدان فيها .

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

فيها ترأس السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر ، وأن يكونا عليه ، فلما علم بذلك سنجر
 كتب إلى ابن أخيه محمود ينهيه ويستميله إليه ، ويحذره من الخليفة ، وأنه لا تؤمن غائلته ، وأنه متى
 فرغ مني دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه ، وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك ،
 فكتب إليه الخليفة ينهيه عن ذلك لقلّة الاقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أرف قدمه
 خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربي فشق عليه ذلك وعلى الناس ، ودخل عيد الأضحى
 فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جيداً ، وكبر وراه خطباء الجوامع ، وكان
 يوماً مشهوداً . وقد سردها ابن الجوزي بطولها ورواها عن من حضرها ، مع قاضي القضاة الزينبي ،
 وجماعة من المدول ، ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيسده ، ودخل السرادق وتباكى الناس
 ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر ، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي

(١) كذا . وفي ابن الأثير محمد بن نصر .

الحجة ، قتلوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم ، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة ، وركب في جيشه وقاتل الأتراك ومعه شردمة قليلة من المقاتلة ، ولكن العامة كلهم معه ، وقتل من الأتراك خلقا ، ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في سفن إلى السلطان نجدة ، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح ، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جنبا ، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همدان لمرض حصل له . وفيها كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي ، وكان نسيبا ، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقلها ، وكان يوما مشهودا . قال ابن الجوزي : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا ، والله أعلم . وفيها اقتتل طفتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج قتل منهم خلقا كثيرا ، وغنم منهم أموالا جزيلة والله الحمد والمنة

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن محمد

أبو الفتح الطوسي الغزالي ، أخو أبي حامد الغزالي ، كان واعظا مفوها ، ، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأمي ، وله نكت جيدة ، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار ، وخرج فاذا على الباب فرس الوزير بسرجهما الذهب ، وسلاحها وما عليها من الحلى ، فركبها ، فبلغ ذلك الوزير فقال : دعوه ولا يرد على الفرس ، فأخذها الغزالي ، وسمع مرة ناعورة تثنى فأتى عليها رداه فتمزق قطعا قطعا . قال ابن الجوزي : وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمعاني الفاسدة ، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكرة من كلامه فأنه أعلم ، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله (ص) في اليقظة فسأله عن ذلك فدل على الصواب ، وكان يتعصب إلى بليس ويعتذر له ، وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير . قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة فأنه أعلم بصحة ذلك . قال ابن خلدكان : كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد ، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه « لباب الاحياء » وله الذخيرة في علم البصيرة ، وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة والله أعلم بحاله .

أحمد بن علي

ابن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي ، تفقه على الغزالي وعلى الكيا الهراسي ، وعلى الشاشي ، وكان بارعا في الأصول ، وله كتاب الذخيرة في أصول الفقه ، وكان يعرف

فنونا جيدة ، بعينها . وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر
بهرام بن بهرام

أبو شجاع البيهق ، مع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكراوى ، ووقف قطعة من
أملأه على الفقهاء بها .

صاعد بن سيار

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلام الاسحاقى الهروى الحافظ ، أحد المتقنين ، مع الحديث
وتوفى بتورج قرية على باب هراة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان والخليفة فى السراق فى الجانب الغربى ،
فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جنود السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف
مقاتل عليهم السلاح ، فنهبوا الأموال ، وخرج الجوارى وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار
الختان . قال ابن الجوزى : وأنا رأيتهن كذلك ، فلما وقع ذلك ركب الخليفة فى جيشه وجىء
بالسفن وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قدزلت ، ونارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا
جيش السلطان وقتلوا خلقا من الأمراء ، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار
طبيبه أبى البركات ، وأخذوا ما كان فى داره من الودائع ، ومرت خبطة عظيمة جدا ، حتى أنهم نهبوا
الصوفية ، برباط نهر جور ، وجرت أمور طويلة ، ونالت العامة من السلطان ، وجعلوا يقولون له
يا باطنى تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة ، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره فى سابع المحرم ، فلما كان
فى يوم عاشوراء تماثل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ،
وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشيخ الشيوخ وبضما
وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى
أشد من الأولى ، وكان برنقش الزكوى شحنة بغداد يفرى السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ،
فلم يقبل منه ، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوه عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضى وقرأوا عليه
كتاب الخليفة ، فقام قائماً ، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتخليف ،
ودخل جيش السلطان وهم فى غاية الجهد من قلة الطعام عندهم فى المسكر ، وقالوا : لو لم يصالح لمتناجوعا ،
وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند ، وأن من كتم شيئاً
أبيح دمه . وبمضى الخليفة على بن طراد الزينبى النقيب إلى السلطان سنجر ليحمد عن باب ديبسا ،
وأرسل معه الخلع والاكرام ، فأكرم سنجر رسول الخليفة ، وأمر بضرب الطبول على بابه فى ثلاثة

أوقات ، وظهر منه طاعة كثيرة ، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأصره الطبيب بالانتقال عنها إلى همدان ، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنية بغداد إلى عماد الدين زنكي ، فلما وصل السلطان إلى همدان نمت على شحنية بغداد مجاهد الدين بهروز ، وجعل إليه الحلة وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها . وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد . وفيها ورد أبو الفتح الاسفرايني فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا ، فاستتيب منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشد معه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه ، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي فتكلم على الناس فأعجبهم ، وأحبوه وتركوا ذلك . وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفا . وحج بالناس قطن الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن عبد الملك

ابن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني الفرضي ، صاحب التاريخ من بيت الحديث . وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه . توفي فجأة في شوال ، ودفن إلى جانب ابن شريح .

فاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن فضلوليه

صممت الخطيب وابن المسلمة وغيرها ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره .

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن السيد البطليوسى ، ثم التنيسى صاحب المصنفات في اللغة وغيرها ، جمع المثلث في مجلدين ، وزاد فيه على قطرب شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذى أورده له ابن خلكان .

أخو العلم حتى خالده بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجبل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الأحياء وهو عديم

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسائة

في أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخاطب له على منابر بغداد ، وكان يخاطب له في كل جمعة بجامع النصور . وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة ، وجعل مكانه نقيب النقباء . وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر واصطلحا بعد خشونة ، وسلم سنجر ديبساً إلى السلطان محمود على أن يسترضى عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل ، ويسلم ذلك إلى ديبس ، واشتهر في ربيع الأول

ببغداد أن ديبساً أقبل إلى بغداد في جيش كنيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكف ديبساً عن القدوم إلى بغداد وإلا خرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهود والصلح . وفيها ملك الأتابك زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد . وفيها ملك تاج الملوك بوري بن طغتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من مماليك ألب أرسلان ، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيراً ، كثير الجهاد في الفرنج رحمه الله . وفيها عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلية ، وحوط عليه ، وجعل فيه قبلة . وحج بالناس قطز الخادم المتقدم ذكره .

ومن توفي فيها من الأعيان . الحسين بن علي بن صدقه أبو علي وزير الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها . ومن شعره الذي أورده ابن الجوزي وقد بالغ في مدح الخليفة فيه وأخطأ :

وجدت أوري كالماء طعماً ورقاً * وأن أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصاً مصوراً * وأن أمير المؤمنين مثاله
فلولا مكان الشرع والدين والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

الحسين بن علي

ابن أبي القاسم اللاتني ، من أهل سمرقند ، روى الحديث وفقه ، وكان يضرب به المثل في المناظرة ، وكان خيراً ديناً على طريقة السلف ، مطرحاً للتكلف أماراً بالمعروف ، قدم من عند الخاقان ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة ، فقيل له ألا تصحج عامك هذا ؟ فقال : لأجمل الحج تبعاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلده فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

طغتكين الأتابك

صاحب دمشق التركي ، أحد غلمان تنش ، كان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم جهاداً للفرنج ، وقام من بعده ولده تاج الملوك بوري .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسائة

في المحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغداد ، واجتهد في إرضاء الخليفة عن ديبس ، وأن يسلم إليه بلاد الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الأباه ، هذا وقد تأخر ديبس عن الدخول إلى بغداد ، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتموه في وجهه ، وقدم عماد الدين زنكي فبذل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار ، وهدايا ونحوها ، وانتمز للخليفة بمثلها على أن لا يولي ديبساً شيئاً وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل ، فأقره على ذلك وخلع عليه ، ورجع إلى عمله فلك حلب وحماه ، وأسر صاحبها سونج بن تاج الملوك ، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار . وفي يوم الاثنين

سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالاً ، ولا يعرف أحد من العباسيين بأشر
الوزراء غيره . وفي رمضان منها جاء ديبس في جيش إلى الحلة فلحها ودخلها في أصحابه ، وكانوا
ثلاثمائة فارس ، ثم إنه شرع في جمع الأموال وأخذ الغلات من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة
ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتفاقم الحال بأمره ، وبعث إلى الخليفة
يسترضيه فلم يرض عليه ، وعرض عليه أموالاً فلم يقبلها ، وبعث إليه السلطان جيشاً فانهزم إلى البرية
ثم أغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة ، ثم دخل البرية فأنقطع خبره . وفي هذه
السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف ، وعلق رؤس كبارهم على باب القلعة ، وأراح الله
الشام منهم . وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وبعث
أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة ، وهووا بكسر منبر الجامع ،
حتى وعدم بأنه سيكتب إلى السلطان ليعث لهم جيشاً يقاتلون الفرنج ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث
لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده ، فان المسلمين هزموهم وقتلوا منهم عشرة آلاف ، ولم يفلت منهم
سوى أربعين نفساً والله الحمد والمنة . وقتل يميند الفرنجي صاحب إنطاكية . وفيها نجبت الناس في
الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة ديبس ، حتى حج بهم برنقش الزكوى ، وكان اسمه بغاجق .

ومن توفي فيها من الأعيان . أسعد بن أبي نصر

المبني أبو الفتح ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، تفقه على أبي المظفر السمعاني ، وساد أهل زمانه
وبرع وتفرد من بين أقرانه ، وولى تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخاص والعام
وعلق عنه تعليقة في الخلاف . ثم عزل عن النظامية فسار إلى همدان فلت بها في هذه السنة رحمه الله
تعالى . ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد . ووقع بأرض الموصل مطر
عظيم فسطط بعضه ناراً تأجج فأحرقت دوراً كثيرة ، وخلقاً من ذلك المطر وتهارب الناس .
وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان ، تخاف الناس منها خوفاً شديداً . وفيها ملك السلطان
سنجر مدينة صمرقند وكان بها محمد بن خاقان . وفيها ملك عماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة
وهامع الفرنج ، وجرت معهم حروب طويلة ، نصر عليهم في تلك المواقف كلها والله الحمد . وقتل
خلقاً من جيش الروم حين قدموا الشام ، ومدحه الشعراء على ذلك ،
قتل خليفة مصر

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بن المستملى صاحب مصر ، قتله
الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر

ونصفا ، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي ؛ ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه
أرمنى فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فأقام
الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر ؛ وله من العمر ثمان وخمسون
سنة ، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجاسه ، لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد
هو ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

ومن توفى فيها من الأعيان إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق السكابي من أهل غزة ، جاوز الثمانين ، وله شعر جيد في الأثر . فنه :

في فتية من جيوش الترك ما تركت * للرعدي كراتهم صوتاً ولا صيتاً

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتاً

وله ليت الذي بالعشق دونك خصني * يا ظالمى قسم الحبة بيننا

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه * ويرو عنى نظر الغزال إذا دنا

وله إنما هذه الحياة مناع * والسفيه الغوى من يصطفئها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضاً : قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليم يعشق

ومن العجائب أنه لا يشتري * ويخاف فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها . وما أنشده ابن خلكان له :

إشارة منك تكفيننا وأحسن ما * رد السلام غداة البين بالنعيم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم سلك المقدي الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم

الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن
وهب اللدباس أبو عبد الله الشاعر المروفي بالبارع ، قرأ القراءات وسمع الحديث ، وكان عارفاً بالنحو
واللغة والأدب ، وله شعر حسن ، توفى في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

محمد بن سعدون بن مرجا

أبو عامر العبدي القرشي الحافظ ، أصله من بلاد المغرب وبغداد ، وسمع بها على
طراد الزينبي والحيدى وغير واحد ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، وكان يذهب في الفروع مذهب

الظاهرية . توفى في ربيع الآخر في بغداد .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها ضل ديبس عن الطريق في البرية فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طغتكين ، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل في يده لم يشك أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالاً جزيلة وقدمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها . وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجهوا للقتال ثم اصطلحا . وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم في الملك مكانه ابنه داود ، وجعل له إتابك وزر أيبه وخطب له بأكثر البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي

سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزي أنشدني :

على كل حالٍ فاجعل الحزمَ عدةً * تقدمها بينَ النوائبِ والدهرِ
فإن نلتُ خيراً نلتُهُ بعزيمةٍ * وإن قصرتُ عنكَ الامورِ فغن عذرِ
قال وأنشدني أيضاً :

ابستُ ثوبَ الرجاءِ الناسُ قدرِ قَدُوا * وقتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلتُ يا عدتي في كلِ نائبةٍ * ومنّ عليه لكشفِ الضرِّ أعتدُ
وقد مددتُ يدي والضرُّ مشتملٌ * إليك يا خيرُ من مدتُ إليه يدِ
فلا تردنها ياربُّ خائبةٍ * فبحرُ جودكُ بروي كلِّ من يردِ

الحسن بن سليمان

ابن عبد الله بن عبد الغني أبو علي الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول ما في الفقه منتهى ، ولا في الوعظ مبتدئ . توفى فيها وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن عند أبي إسحاق . حماد بن مسلم

الرجبي الدباس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات وإطلاوع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول : كان عرياً من العلوم الشرعية ، وإنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عدوي . قال ابن الجوزي : وكان الناس يندرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفى في رمضان ودفن بالشونيزية .

٢٠٣ علي بن المستظهر بالله

أخو الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، قترك ضرب الطبول وجلس الناس لل عزاء أياماً . محمد بن أحمد

ابن أبي الفضل الماهاني ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه بامام الحرمين وغيره ، ورحل في طلب الحديث ، ودرس وأفتى وناظر . توفي فيها وقد جاوز التسعين ، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو ، محمود السلطان بن السلطان ملكشاه

كان من خيار الملوك ، فيه حلم وإناة وصلابة ، وجلسوا لل عزاء به ثلاثة أيام ساءحه الله .

هبة الله بن محمد

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين ، أبو القاسم الشيباني ، راوى المسند عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربعين ، وبارك به أبوه فأسمعه ، ومعه أخوه عبد الواحد ، على جماعة من علية المشايخ ، وقدرى عنه ابن الجوزى وغير واحد ، وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع ، توفي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء منها وله ثلاث وتسعون سنة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

فيها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساقى ، وسلجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب الملك لنفسه ، وقدم عماد الدين زنكى لينضم إليهما فقتلاه الساقى فهزموه فهرب منه إلى تكريت ، فخدمه نائب قلعها نجم الدين أبوب والى الملك صلاح الدين يوسف ، فأخ بيت المقدس كما سيأتى إن شاء الله ، حتى عاد إلى بلاده ، وكان هذا هو السبب فى مصير نجم الدين أبوب إليه ، وهو بحلب ، فخدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتى إن شاء الله تعالى . ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقنتلا معه ، وكان جيشه مائة وستين ألفاً وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً ، وأسر جيش سنجر قراجا الساقى فقتله صبراً بين يديه ، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طغرل إلى ديبس وزنكى ليذهبا إلى بغداد ليأخذاها ، فأقبلا فى جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزموهما ، وقتل خلقاً من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه والله الحمد . وفيها قتل أبو على بن الفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ الفاطمى ، فنقل الحافظ الأموال التى كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح ، يانس الحافظى ، ولقبه أمير الجيوش ، ثم احتال فقتله واستوزر ولده حسنا وخطب له بولاية العهد . وفيها عزل المسترشد وزيره على بن طراد الزينبى

واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمتع . وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طفتكين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف بن فيروز ، وكان خيرا ، ملك بلادا كثيرة ، وأطاعه إخوته ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن عبيد الله .

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن يزيد السلي ، ويعرف بابن كادش الكبير ، أبو العز البغدادي ، سمع الحديث الكثير ، وكان يفهمه ويرويه وهو آخر من روى عن الماوردي ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو محمد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فأنه أعلم . وقال عبد الوهاب الأنماطي كان مخطئا ، توفى في جمادى الأولى منها . محمد بن محمد بن الحسين

ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، سمع أباه وغيره ، وثقته وناظر وأفتى ودرس ، وكان له بيت فيه مال فعدى عليه من الليل قتل وأخذ ماله ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله فقتلوه .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الدنانير والدرهم على الناس ، وخلع على السلطان داود بن محمود . وفيها جمع ديبس جمعا كثيرا بواسطة فأرسل إليه السلطان جيشا فكسروه وفرقوا شمله ، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من زنكي ، فعرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطاح مع ديبس وخلع عليه ، فكر راجعا سريعا إلى بغداد سالما معظما . وفيها مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة ، فطلب حلقته ابن الجوزي ، وكان شابا ، فحصلت لغيره ، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد ، وكثرت مجالسه وازدحم عليه الناس . وفيها ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه ، وكانت بيد زنكي . وفي ذي الحجة نهب التركمان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لئنه الله الفرنجي فهزموه وقتلوا خلقا من أصحابه ، وحاصروه فيها مدة طويلة ، حتى طال الحصار ، فانصرفوا . وفيها تولى قاسم بن أبي فليته مكة بعد أبيه . وفيها قتل شمس الملوك أخاه سونج ، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج . وفيها اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالا شديدا فمحق الله بسبب ذلك خلقا كثيرا ، وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالا جزيلة ، ويقال لها غزوة أسوار . وحج بالناس فيها قطز الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها .

أحمد بن سلامه

وتوفي فيها من الاعيان

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرطبي ، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد ، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندی ، ثم تولى الحكم ببغداد بالحريم والحسبة ببغداد ، وكان يؤدب أولاد الخليفة ، توفي في رجب منها ودفن عند أبي إسحاق .

أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل

أبو الفضل الميهني مجد الدين أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الخلاف والمطروقة ، وقد درس بالنظامية في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فعزل عنها ، واستمر أصحابه هنالك وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها ، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن خلكان : توفي سنة سبع وعشرين .

ابن الزاغوني الحنبلي

علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني ، الامام المشهور ، قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالقرع والنحو واللغة ، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع ، وله يد في الوعظ ، واجتمع الناس في جنازته ، وكانت حافلة جدا .

الحسن بن محمد

ابن إبراهيم البورباري ، من قراء أصبهان ، سمع الحديث ورحل وخرج ، وله تاريخ ، وكان يكتب حسناً ويقرأ فصيحاً ، توفي بأصبهان في هذه السنة .

علي بن يعلي

ابن عوض ، أبو القاسم العلوي الهروي ، سمع مسند أحمد من أبي الحسين ، والترمذي من أبي عامر الأزدي ، وكان يعظ الناس بنيسابور ، ثم قدم بغداد فوعظ بها ، فحصل له القبول التام ، وجمع أموالا وكتبا . قال ابن الجوزي : وهو أول من سلكني في الوعظ ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير ، وتكلمت عند انصرافه .

محمد بن أحمد

ابن يحيى أبو عبد الله العماني الديباجي ، وكان ببغداد يعرف بالمقدسي ، كان أشعري الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد ، قال ابن الجوزي : سمعته ينشد في مجلسه قوله :

دع دموعي يحق لي أن أنوحا * لم تدع لي الذنوب قلباً صحيحاً
أخلفت مهجتي أكف المعاصي * ونعاني المشيب نعيّاً فصيحاً
كلا قلت قد برا جرح قلبي * عاد قلبي من الذنوب جريحاً
إنما الفوز والنعيم لعبيد * جاء في الحشر آمنأ مستريحاً

محمد بن محمد

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ،
ولدمنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفي في صفر
منها . أبو محمد عبد الجبار

ابن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ، أنشده ابن خلكان أشعاراً
رائقة فمنها قوله :

قم هاتما من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليلُ بشيرَ الصباحِ
باكراً إلى اللذاتِ واركبْ لها * سوابقَ اللهبِ ذواتِ المراحِ
من قبل أن ترشفتْ شمسُ الضحا * ريقَ الغوادي من لغورِ الافاحِ

ومن جملة معانيه النادرة

زادت على كحل الجفون تكحلاً * وتسم فصل السهم وهو قتل
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة

فيها اصطالح الخليفة وزنكي . وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة ، وقتل خلقاً من الفرنج . وفيها
فتح شمس الملوك الشقيف تيروت ، ونهب بلاد الفرنج . وفيها قدم سلجوق شاه بغداد فنزل بدار
الملكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه
ركب على الجمال لقلعة الخليل . وفيها تولى إمرة بنى عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ، إكراماً
لجدهم . وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشدى خلع الملوك ، ولقب
ملك العرب سيف الدولة ، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان . وفيها قوى أمر الملك طغرل وضعف
أمر الملك مسعود .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن علي بن إبراهيم

أبو الوفا الفيروز ابادي ، أحد مشايخ الصوفية ، يسكن رباط الزوزني ، وكان كلامه يستحلى ،
وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئاً كثيراً .

أبو علي الفارقي

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وتفقه بها على
أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب الحاملي ، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ ،
وسمع الحديث وكان يكرر على المهذب والشامل ، ثم ولي القضاء بواسط ، وكان حسن السيرة جيد
السريرة ، متمماً بعقله وحواسه ، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة .

عبد الله بن محمد

ابن أحمد بن الحسن ، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي ، سمع الحديث وتفق على أبيه ، وفاخر وأفتى وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوهاً ، شكره ابن الجوزي في وعظه وحسن نظمه ونثره ، ولفظه ، توفي في المحرم وقد قارب الخمسين ، ودفن عند أبيه .

محمد بن أحمد

ابن علي بن أبي بكر العطار ، ويعرف بابن الحلاج البغدادي ، سمع الحديث وقرأ القراءات ، وكان خيراً زاهداً عابداً ، يتبرك بدعائه ويزار .

محمد بن عبد الواحد الشافعي

أبورشيد ، من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وحج وأقام بمكة ، وسمع من الحديث شيئاً يسيراً ، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه ، ركب مرة مع تجار في البحر فأوفوا على جزيرة . فقال : دعوني في هذه أعبد الله تعالى ، فما نموه فأبى إلا المقام بها . فتركوه وساروا فرددتهم الريح إليه فقالوا : إنه لا يمكن المسير إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها ، فسار معهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم رحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فمات بها رحمه الله ، ويقال إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها ، وكان بها ثعبان يبتلع الألسان ، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها ، وقبره مشهور بأمل يزار .

أم خليفه

المستشهد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال منها والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار إلى البلاد فملكها ، وقوى جأشه ، ثم شرع بجمع العساكر ليأخذ بغداد من الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك ، وقفز جماعة من رؤس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك محمود ، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة ، فيهم القضاة ورؤس الدولة من جميع الأصناف ، فمشوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السراشق ، وبعث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم دبيس بن صدقة بن منصور ، فجرت خطوب كثيرة ، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ولم يقتل من الصنفين سوى خمسة أنفس ، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزمهم

وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا الخليفة ، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم ، من جملة ذلك أربعة آلاف
 ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والخيل والآنسة والتماش ، فانا لله وانا إليه راجعون . وطار الخبر
 في الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، صورة
 ومعنى ، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات ، وخرج النساء في البلد
 حاسرات ينحن على الخليفة ، وما جرى عليه من الأسر ، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير
 من أهل البلاد ، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم ، واستمر الحال على ذلك شهر ذى القعدة
 والشنعة في الأقاليم منتشرة ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يحذره غيب ذلك عاقبة ما وقع
 فيه من الأمر العظيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه ودار خلافته ، فامثل الملك مسعود ذلك
 وضرب للخليفة سرادق عظيم ، ونصب له فيه قبة عظيمة وتحتها سريرهاثل ، وألبس السواد على عادته
 وأركبه بعض ما كان يركبه من مراكبه ، وأمسك لجام الفرس ومشى في خدمته ، والجيش كلهم مشاة
 حتى اجلس الخليفة على سريريه ، ووقف الملك مسعود قبال الأرض بين يديه وخلع الخليفة عليه ،
 وجىء بدبيس مكتوبا وعن يمينه أميران ، وعن يساره أميران ، وسيف مسلول ونسعة بيضاء ،
 فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم تطبيياً لقلبه ، فأقبل السلطان فشفع في دبيس وهو ملقى يقول
 العفويا أمير المؤمنين ، أنا أخطأت والعمو عند المقدرة . فأمر الخليفة باطلاقه وهو يقول : لا تتريب
 عليكم اليوم يغفر الله لكم . فنهض قائما والتبس أن يقبل يد الخليفة فأذن له لقبها ، وأمرها على وجهه
 وصدرة . وسأل العفو عنه وعما كان منه ، واستقر الأمر على ذلك ، وطار هذا الخبر في الآفاق وفرح
 الناس بذلك ، فلما كان مستهل ذى الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستحثه
 على الاحسان إلى الخليفة ، وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه ، وأرسل مع الرسل جيشا ليكونوا في
 خدمة الخليفة إلى بغداد ، فصحب الجيش عشرة من الباطنية ، فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة
 فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً ، ولم يالحق الناس منه إلا الرسوم ، وقتلوا معه أصحابه منهم عبيد الله بن
 سكينه ، ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبعهم الله ، وقيل إنهم كانوا مجهزين لقتله فله أعلم . وطار
 هذا الخبر في الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد ، وخرجت النساء في بغداد حاسرات
 عن وجوههن ينحن في الطرقات ، قتل على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة
 وحملت أعضاؤه إلى بغداد ، وعمل عزاؤه ثلاثة أيام بعد ما بويع لولده الراشد ، وقد كان المسترشد ،
 شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحاً بليغا ، عذب الكلام حسن اليراد ، مليح الخط ، كثير العبادة
 محببا إلى العامة والخاصة ، وهو آخر خليفة رؤى خطيباً ، قتل وعمره خمس وأربعون سنة ، وثلاثة
 أشهر ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وكانت أمه أم ولد من الأتراك

خلافة الراشد بالله

رحمه الله .

أبي جعفر منصور بن المسترشد ، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يقدر . فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخسمائة ، بايعه الناس والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد ، وكان أبيض جسيماً حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جئ بالمسترشد وصلى عليه ببیت التوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد ، وقد ظهر الرضا قليلاً في أول أيام الراشد .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسين

ابن عمرو ، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي ، تفقه بأبيه واخترمته المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية

إسماعيل بن عبد الله

ابن علي أبو القاسم الحاكم ، تفقه بامام الحرميين ، وكان رفيق الفزالي يحترمه ويكرمه ، وكان قفيها بارعاً ، وعابداً ورعاً ، توفى بطوس ودفن إلى جانب الفزالي .

دييس بن صدقه

ابن منصور بن دييس بن علي بن يزيد ، أبو الأعز الأسدي الأمير من بيت الامرة وسادة الاعراب ، كان شجاعاً بطلاً ، فعل الأفاعيل وتمرق في البلاد من خوفه من الخليفة ، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً ، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنديقاً ينهيه عن القدوم إلى السلطان ، ويحذره منه ، ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه يفكر في خيمته ، فما كلفه حتى شمر سيفه فضر به فأبان رأسه عن جثته ، ويقال بل استدعاه السلطان فقتله صبراً بين يديه فآله أعلم .

طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه

توفى بهمدان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها .

علي بن محمد التروجاني

كان عابداً زاهداً ، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيات ، ثم

أنكر ذلك وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

الفضل أبو منصور

أمير المؤمنين المسترشد ، تقدم شيء من ترجمته والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أمره ، التزم له بأربعمائة ألف دينار ، فامتنع من ذلك وقال : ليس بيننا وبينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخلف ، فاستعجاش السلطان بالعساكر ، واستنهض الخليفة الأمراء ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلأئق ، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه وبايعه على الملك ، فثأرت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا ، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه ، كما كانوا يعاملون أباه ، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل ، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبته يوم الاثنين رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه ، ثم استخاص من نساء الخليفة وحظاياها الحلى والمصاغ والثياب التي للزينة ، وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه ، فخلع في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بحكم الحاكم وفتيا الفقهاء ، وكانت خلافته إحدى عشر شهرا وإحدى عشر يوماً ، واستدعى السلطان بعنه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله .

خلافة المقتفي لأمر الله

أبى عبد الله بن المستظهر ، وأمه صفراء تسمى نسبا ، ويقال لها ست السادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة ، ولقب بالمقتفي لأنه يقال إنه رأى رسول الله (ص) وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقف بي ، فصار إليه بعد سنة أيام فلقب بذلك

فائدة حسنة ينبغي التنبيه لها

ولى المقتفي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين ، وكذلك السفاح والمنصور ، وكذلك الهادي والرشيدي ، ابنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان ، وأما ثلاثة إخوة فلا ميم والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي بنو المقتفي والمطيع بنو المقتدر ، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بنى أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ، ولما استقر المقتفي بالخلافة استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان **محمد بن حمويه**

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني ، روى الحديث وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد، وله كرامات ، دخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم :

لئن كان لي من بعد عود إليكم * نصيبٌ لباناتِ الفؤادِ إليكم
وإن تكن الأخرى وفي الغيب غيره * قضاؤه وإلا فالسلامُ عليكم

محمد بن عبدالله

ابن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامري ، المعروف بابن الخباز ، سمع الحديث وكان يعظ الناس على طريق التصوف ، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به ، وقد أثنى عليه وأنشد عنه من شعره :

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي * والشوقُ أملكُ لي من عدلِ عدائي
وكيف أشكو وفي حبي له شغلٌ * يحولُ بين مُهماتي وأشغالي

وكانت له معرفة بالفقه والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب ، وقد ابقني رباطا ، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاه بتقوى الله عز وجل والاحلاص لله والدين ، فلما فرغ شرع في النزاع وغرق جبينه فمد يده وقال بيتا لغيره :

هاقد بسطتُ يدي إليك فردها * بالفضل لا بشماتة الأعداء

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظرونني ، ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ودفن برباطه ، ثم غرق رباطه وقبره في سنة أربعين وخمسمائة ،

محمد بن الفضل

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي ، كان أبوه من ثغر فراوه ، وسكن نيسابور ، فولد له بها محمد هذا ، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق ، وتفقّه وأفتى وناظر ووعظ ، وكان ظريفا حسن الوجه جميل المعاشرة كثير التبسم ، وأملى أكثر من ألف مجاس ، ورحل إليه الطلبة من الآفاق حتى يقال للفراوي ألف راوي ، وقيل إن ذلك كان مكتوبا في خاتمه ، وقد أسمع صحيح مسلم قريبا من عشرين مرة ، توفي في شوال منها عن تسعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها كثرت موت العجأة بأصبهان فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة . وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار ، فحضر أخوها السلطان مسعود العقدة وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونثر على الناس أنواع النشار . وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحية .

قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله . وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصراني ، وقد كان تمكن في البلاد وأساء السيرة ، فتطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهب وترك العمل ، فاستوزر بعده رضوان بن الريحيني ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقب وزير قبله بهذا ، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده . وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان . وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاعت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ، وسقط برد كبار . وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدي الفرنج ، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن محمد بن ثابت

ابن الحسن أبو محمد الخجندی ، تفقه على والده الامام أبي بكر الخجندی الأصبهاني ، وولى تدريس النظامية ببغداد مراراً ، ويعزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفى في شعبان منها ، وقد قارب التسعين . هبة الله بن أحمد

ابن عمر الحريري ، يعرف بابن الطير ، سمع الكثير وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه الخطيب ، وكان ثبتاً كثير السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، ممتعاً بحواسه وقواه ، إلى أن توفى في جمادى الأولى عن ست وتسعين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها قتل الخليفة الراشد الخلويع ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصدوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزموه وبدد شملهم ، وقتل منهم خلقاً صبراً ، منهم صدقة بن دبيس ، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة الراشد الخلويع ، فدخل أصبهان فقتله رجل ممن كان يخدومه من الخراسانية ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيئاً ، أمه أم ولد . وفيها كشي الكعبة رجل من التجار يقال له راست الفارسي ، بثمانية عشر ألف دينار ، وذلك لأنه لم تأتها كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير من البيوت ، ومات تحت الهدم خلق كثير . وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في الحرم ، وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية . وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاعة ، وهي على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فنعمت

الخطبة ببغداد ، و جرت فتن طويلة . وفيها تزوج السلطان مسمود بسفري بنت ديدس بن صدقة و زينت ببغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزي : فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر ، ثم تزوج ابنة عمه فزينت ببغداد ثلاثة أيام أيضا . وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب ابن شارى بقلعة تكريت .

أحمد بن محمد

و عن توفى فيها من الأعيان أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي ، سمع الحديث و تفقه على أبي الخطاب الكلوزاني و أنقى و درس و ناظر ، كان أسعد المهني يقول عنه : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلته ، و قد تخرج به ابن الجوزي و أنشد :

تمنيت أن يسمي قهياً مناظراً * بنغير عيائٍ و الجنون فنونٌ
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن ، أبو المظفر القشيري ، آخر من بقى منهم ، سمع أباه و أبا بكر البيهقي وغيرهما ، و سمع منه عبد الوهاب الانماطي ، و أجاز ابن الجوزي ، و قارب التسمين .

محمد بن عبد الملك

ابن محمد بن عمر ، أبو الحسن الكرخي ، سمع الكثير في بلاد شتى ، و كان قهياً مفتياً ، تفقه بأبي إسحاق وغيره من الشافعية ، و كان شاعراً فصيحاً ، وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول ، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ، و يحكي فيه أشياء غريبة حسنة ، وله تفسير و كتاب في الفقه ، و كان لا يقنت في الفجر ، و يقول : لم يصح ذلك في حديث ، و قد كان إمامنا الشافعي يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، و اضربوا بقولي الحائط . و قد كان حسن الصورة جميل المعاشرة ، و من شعره قوله :

تناهت دارة عني ولكن * خيال جماله في القلب ساكن
إذا امتلاً الفؤاد به فإذا * يضر إذا خلت منه الأماكن

الخليفة الراشد

توفى و قد قارب التسمين . منصور بن المسترشد ، قتل بأصبهان بعد مرض أصابه ، فقيل إنه سم ، و قيل قتلته الباطنية ، و قيل قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره فأنه أعلم . و قد حكى ابن الجوزي عن أبي بكر الصولي أنه قال الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الاسلام لا بد أن يخلم . قال ابن الجوزي : فتأملت ذلك فرأيتة محبباً قيام رسول الله (ص) ، ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن بنجلمه معاوية

ثم يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير نخلع وقتل ، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد نخلع وقتل ، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي ثم أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين نخلع وقتل ، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين نخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدي والمعتصم والمعتضد والمكشفي ثم المعتذر نخلع ثم أعيد قتل ، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكشفي والمطيع ثم الطائع نخلع ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد ثم الراشد نخلع وقتل .

أنوشروان بن خالد

ابن محمد القاشاني القيني ، من قرية قين من قاشان ، الوزير أبو نصر ، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد ، وكان عقلاً مهيئاً عظيم الخلق ، وهو الذي أزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات ، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة ، فدخل عليه شيخ ذو طمرين فقالوا : من أنت ؟ قال أنا رجل من سروج ، يقال لي أبو زيد . فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس ، فلما طالها الوزير أنوشروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقامة ، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس ، وقد كان الوزير أنوشروان كريماً ، وقد مدحه الحريري صاحب المقامات .

ألا ليت شعري والتني لعله * وإن كان فيه راحة لأخي الكرب
أتدرون أني مذتنامت دياركم * وشط اقترابي من جنابكم الرحب
أكابد شوقاً ما أزال أداره * يقلبني في الليل جنباً على جنب
وأذكر أيام التلاق فأنثني * لتذكارها بادي الاسي طائر اللب
ولي حنة في كل وقت إليكم * ولا حنة الصادي إلى البارد العذب
فو الله لو أني كتمت هواكم * لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
ومما شجا قلبي المعنى وشقته * رضاكم باهمال الاجابة عن كني
وقد كنت لأخشى مع الذنب جفوة * فقدصرت أخشاها ومالي من ذنب
ولما سرى الوفد العراقي نحوكم * وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
جعلت كتابي نائباً عن ضروري * ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب
ويعضد أيضاً بضمة من جوارحي * تنبيكم عن سر حالي وتسقني
ولست أرى إذ كركم بعد خيركم * بمكرمة ، حسبى اعتذاركم حسي

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فمات بسببها مائتا ألف وثلثون ألفاً ، وصار مكانها ماء أسود عشرة فراسخ في مثلها ، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة . وفيها وضع السلطان محمود مكوسا كثيرة عن الناس ، وكثرت الأدعية له . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فهزمه سنجر وقتل ولده في المعركة ، فحزن عليه والده حزناً شديداً . وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طفتكين ، قتله ثلاثة من خواصه ليلاً وهربوا من القلعة ، فأدرك اثنان فصلبوا وأفلت واحد . وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدها قبل شهر وحج بالناس فيها قطر الخادم .

وفيها توفي من الأعيان **زاهر بن طاهر**

ابن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي المحدث المكثّر ، الرحال الجوال ، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، وتكلم فيه أبو سعد السمعاني ، وقال : إنه كان يجزل بالصلوات . وقد رد ابن الجوزي على السمعاني بعذر المرض ويقال : إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فالله أعلم ، باع خمساً وثمانين سنة توفي بنيسابور في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرته .

يحيى بن يحيى بن علي

ابن أفلاج ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهم فهدمهم كاهن واتخذ مكانهن داراً هائلة ، طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً ، وأطلق له الخليفة أخشابها وأجرها وطرازاتها ، وكتب عليها أسماراً حسنة من نظمه ونظم غيره ، فن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شدّ باني من كفه مزنة * ينجل منها العارض الصيب
ورنحت روضة أخلاقه * في ديار نورها منهد
صدر كسى صدرى من نوره * شمساً على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى * ما عاش داراً فآخرة
فاقتع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخرة
هاتيك وافيت بما * وعدت وهاتي باثرة

وفي موضع آخر مكتوب :

ونادِ كأنَّ جنانَ الخ * لدرأعارته من حسنهارونقا
 وأعطته من حادئات الزما * ن أن لا يلم به موبقا
 فأضحى ينبئه على كل ما * بنى مغرباً كان أو مشرقاً
 تظل الوفودُ به عكفاً * ويسى الضيوف به طرقتا
 بقيت له يا جمال الملو * لك وذا الفضل مهبأردت البقا
 وسالته فيك ريبُ الزما * ن ووقيت فيه الذي يتقى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب ديبساً فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعد ما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهي حكمته في كل دار بنيت بالأشر والبطر ، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعاراً حسنة من نظمه ، وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لا ناسَ يعرفونُ به * قد مارسوا الحب حتى أصعبه
 أدخلت نفسك فيما لست تجر به * والشئ صعب على من لا يجربه
 أمن اصطبار وإن لم تستطع خلداً * فرب مدرك أمرٍ عز مطلبه
 أحن الضلوع على قلبٍ يخبرني * في كل يوم يعينني تقلبه
 تارجُ الريح من نجدٍ يهيجه * ولا مع البرق من نغمت يطربه
 هذه الخليفة وهاتيك مني * فترفق أيها الحادى بنا
 واحبس الركب علينا ساعة * تندب الدار ونبكي الدنا
 فلذا الموقف أعددت البكا * ولذا اليوم الدموع تفتنى
 زماننا كنُ وكنا جيرة * فأعاد الله ذلك الزمانا
 بيننا يوم ائتلافٍ نلتقى * كان من غير تراضى بيننا

وقوله

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها حاصر زنكي دمشق فحضرها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين ، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمود بن بوري بن طغتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أئق ، وهو بيملبك فلما دخل دمشق ، فذهب زنكي إلى بيملبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين . وفيها دخل الخليفة على الخانوق فاطمة بنت السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياما . وفيها نودي للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق ،

وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير . وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا
وفيها ولد صاحب حماء تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب بن شاري .
ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن جعفر

ابن الفرج أبو العباس الحرابي ، أحد العباد الزهاد ، سمع الحديث وكانت له أحوال سالمة ، حتى
كان يقال : إنه كان يرى في بعض السنين بمرفات ، ولم يحج في تلك السنة .

عبد السلام بن الفضل

أبو القاسم الجيلي ، سمع الحديث وتفقّه على الكبا الهراسي ، وبرع في الأصول والفروع ، وغير
ذلك ، وولى قضاء البصرة وكان من خيار القضاة .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد ، وكان مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين ،
وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة . وفيها كملت المدرسة الكلبية
المنسوبة إلى كمال الدين ، أبي الفتوح حمزة بن طلحة ، صاحب الخزن ، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن
الحلي ، وحضر عنده الأعيان .

ومن توفى فيها من الأعيان إسماعيل بن محمد

ابن علي ، أبو القاسم الطلمحي الأصبهاني ، سمع الكثير ، ورحل وكتب وأملى بأصبهان ، قريبا
من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماما في الحديث والفقه والتفسير واللغة ، حافظا متقنا ، توفى ليلة عيد
الأضحى وقد قارب الثمانين ، ولما أراد الغاسل تنحية الخرقه عن فرجه ردها بيده ، وقيل : إنه وضع يده
على فرجه . محمد بن عبد الباقي

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجعة بن
الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ ،
وأملى الحديث في جامع القصر ، وكان مشاركا في علوم كثيرة ، وقد أسرف في صغره في أيدي الروم
فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم خط الروم ، وكان يقول من خدم المحابر
خدمته المنابر ، ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي عنه وسمعه منه قوله :

احفظ لسانك لا تبخ بثلاثة * سن ومالٍ إن سئلت ، ومنه ب

فلي الثلاثة تبلى بثلاثة * بمكفرٍ وبحاسدٍ ومكذبٍ

وقوله : لي مدة لا بد أبلغها * فإذا انقضت رمت

لو عاندتني الأسد ضارية * ما ضرتني ما لم يجي الوقت

قال ابن الجوزي: بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة، لم تتغير حواسه ولا عقله، توفي ثاني رجب منها. وحضر جنازته الأعيان وغيرهم، ودفن قريبا من قبر بشر.

يوسف بن أيوب

ابن الحسن بن زهرة، أبو يعقوب الهمداني، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وبرع في الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، وصحب الصالحين، وأقام بالجلال، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها، وحصل له قبول. توفي في ربيع الأول بيمض قرى هراة.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر ففنتك بها، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الخنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل. وفيها تحمل عمل دمشق التهوروز، وخلع نهر وز شحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومي، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعمائة ألف دينار. وفيها حج كمال الدين طلحة صاحب الخزن، وعاد قزهد وترك العمل ولزم داره. وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بأذن الخليفة. وحج بالناس قطز.

ومن توفي فيها من الأعيان. إسماعيل بن أحمد بن عمر

ابن الأشعث، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي الدمشقي ثم البغدادي، سمع الكثير وتفرد بمشايخ، وكان سماعه صحيحاً، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس، توفي وقد جاوز الثمانين.

يحيى بن علي

ابن محمد بن علي، أبو محمد بن الطراح المدبر، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير وأسمع، وكان شيخاً حسناً مهيباً كثير العبادة، توفي في رمضان منها.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها ملك عماد الدين زنكي المدينة، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نواباً من جهته.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود. وفيها ملك زنكي بعض بلاد بكر. وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه. وفيها وجد رجل يفسق بصبي فألقى من رأس منارة، وفي ليلة الثلاثاء الرابع

والعشرين من ذى القعدة زلزلت الأرض . وحج بالناس قطز .

ومن توفى فيها من الأعيان عبد الوهاب بن المبارك

ابن أحمد ، أبو البركات الأنطاطي ، الحافظ الكبير ، كان ثقة ديناً ورعاً ، طليق الوجه ، سهل الأخلاق ، توفى في المحرم عن ست وتسعين سنة .

علي بن طراد

ابن محمد الزينبي ، الوزير العباسي ، أبو القاسم تقيب النقباء على الطائفتين ، في أيام المستظهر ، ووزر للمستترشد ، وتوفى في رمضان عن ست وسبعين سنة .

الزخشي محمود

ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزخشي ، صاحب الكشاف في التفسير ، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر مناهج الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره ، وينظر عليه ، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة منها ، عن ست وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها أخذ المهدي زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساء كثيرة ، وغنم أموالاً جزيلة ، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً . وحج بالناس قطز الخادم وتنافس هو وأمير مكة قهب الحجيج وهم يطوفون .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن محمد بن منصور

ابن عمر أبو الوليد الكرخي ، ثقة بآبي إسحاق وأبي سعد المتولي ، حتى صار أوحد زمانه فقهاً وصلاًحاً ، مات في هذه السنة . سعد بن محمد

ابن عمر أبو منصور البزار ، سمع الحديث وثنقه بالفزالي والشاشي والمتولي والكنيا ، وولى تدريس النظامية ، وكان له همت حسن ، ووقار وسكون ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند أبي إسحاق .

عمر بن إبراهيم

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي العلوي ، أبو البركات الكوفي ، ثم البغدادي ، سمع الكثير وكتب كثيراً ، وأقام بدمشق مدة ، وكان له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب ، وله تصانيف في النحو ، وكان خشن العيش ، صابراً محتسباً ، توفى في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها حصر على بن ديبس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة وملكها ، وفي رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الري ، ومحمد شاه بن محمود ، ثم خرج منها في رمضان ، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية .

ومن توفى فيها من الأعيان **أحمد بن محمد**

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأصبهاني ، ثم البغدادي ، سمع الحديث وكان على طريقة السلف ، حلو الثمائل ، مطرح الكلفة ، ربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحج أحد عشر حجة ، وكان يعل الحديث ويكثر الصوم ، توفى بنهاوند في ربيع الأول من هذه السنة ، وقد قارب الثمانين .

علي بن أحمد

ابن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن البزدي ، تفقه بأبي بكر الشاشي ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان له ولأخيه قيص واحد ، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخري البيت عريانا ، وكذا الآخر .

موهوب بن أحمد

ابن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجوالقي ، شيخ اللغة في زمانه ، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي ، وكان يؤم بالمقتني ، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب ، وكان عاقلا متواضعا في ملبسه ، طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكمة ، وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس في مجلسه ، فقال فيهما بمض الأدياء :

بغدادٌ عندي ذُنُّها لن يَفُرا * وعيوبها مكشوفةٌ لن تَسْترا
كون الجوالقي فيها مُمْلِياً * لغةٌ وكونُ المغربي مَعْبِراً
ماسور لُكُنْتِه يقولُ فصاحةً * ولِوَمٍ يَقْظُه يَمْتَرُ في الكرا

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

في ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذي بناه المسترشد ، وكان في غاية الحسن ، وكان الخليفة المقتني قد انتقل بجواريه وحظاياهم إليه ليقم فيه ثلاثة أيام ، فاهو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخذت في يدها شمعة فعلق لها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله ، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقا من المحبس . وفي رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبث الخليفة إلى الجوامع والمساجد فأغلقت ثلاثة أيام ، حتى

اصطالحا . وفي يوم الجمعة نصف ذى القعدة جلس ابن العبادى الراعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس فى البيع مكسا فاحشا ، فقال فى جملة وعظه : يا سلطان العالم ، أنت تطلق فى بعض الأحيان للمغنى إذا طربت قريبا مما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فببني مغنيا وقد طربت فهب لى هذا المكس شكرا لنعم الله عليك . فأشار السلطان بيده أن قد فعلت ، فضج الناس بالدعاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودى فى البلد باسقاط ذلك المكس ، وفرح الناس بذلك والله الحمد والمنة . وفيها قل المطر جدا ، وقلت مياه الأنهار ، وانتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داء فى حلوهم ، فأت بذلك خلأئق كثيرة فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها قتل الملك عماد الدين زنكى بن قيم الدولة التركى صاحب الموصل ، وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة ، وكان محاصرا قلعة جعبر ، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي ، فبرطل بعض ممالك زنكى حتى قتله فى الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة . قال الهادى الكاتب : كان سكرانا لله أعلم . وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلا ، وكان شجاعا مقداما حازما ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرقهم بالعاملة ، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة ، وبجلب نور الدين محمود ، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها ، وكان أبوه قد فتحها . فلما مات عصوا فقهرهم نور الدين . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس ، بعد حروب طويلة . وفيها ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب ، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بلبلك . وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسله القلعة وأعطاه أمزبه عنده بدمشق . وفيها قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرل بك وقتل عباسا صاحب الرى ، وألقى رأسه إلى أصحابه فأنزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا ، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين ، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤسهم بمدينة الرى . وفيها مات تقيب النقباء بينغداد محمد بن طراد الزينبي ، فتولى بعده على بن طلحة الزينبي . وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فماتت فحضر جنازتها الأعيان . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . زنكى بن آقسنقر

تقدم ذكر شىء من ترجمته ، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد ، وقد أظن الشيخ أبو شامة فى الروضتين فى ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله .

سعد الخير

محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن المغربى الأندلسى الأنصارى ، رحل وحصل كتباً نفيسة ،

وروى عنه ابن الجوزى وغيره ، وقد أوصى عند وفاته أن يصلى عليه الغزنوى ، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الإمام أحمد ، وحضر جنازته خلأق من الناس .

شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم ، أبو عبد الله الجبلى الشافعى ، تفقه على الكيا وعلى الغزالي ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور فى الرواق . قال ابن الجوزى وكنت أحضر حلقتة .

عبد الله بن علي

ابن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد ، قرأ القراءات وصنف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأم فى مسجده نيفا وخمسين سنة ، وعلم خلقاً القرآن . قال ابن الجوزى : ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه ، وحضر جنازته خلق كثير .

عباس شحنة الرى

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود ، وقد كان كثير الصدقات والاحسان إلى الرعية ، وقتل من الباطنية خلقاً حتى بنى من رؤسهم منارة بالرى ، وتأسف الناس عليه .

محمد بن طراد

ابن محمد الزينبى ، أبو الحسن نقيب النقباء ، وهو أخو على بن طراد الوزير ، مع الكثير من أبيه ومن عمه أبي نصر وغيرهما ، وقارب السبعين .

وجيه بن طاهر

ابن محمد بن محمد ، أبو بكر الشحامى ، أخو زاهر ، وقد سمع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به ، وكان شيخاً حسن الوجه ، سريع الديمة ، كثير الذكر ، جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفى ببغداد فى هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس . وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل . وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتنى . وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ، وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية الخزن العمورة . وفيها اشتد الفلاء بافريقية وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل ، وأقلت المعامل . وفيها تزوج سيف الدين غازى بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرناش بن أرتق ، بعد أن حاصره فصالحه على ذلك ، فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض قد أشرف على الموت ، فلم يدخل بها حتى مات ، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مودود فتزوجها . قال ابن الجوزى :

وفي صفر رأى رجل في المنام قائلاً يقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له . قال فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره . قال ابن الجوزي : وعقدت يومئذ ثم مجلساً فاجتمع فيه ألوف من الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان . أسعد بن عبد الله

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو منصور ، سمع الحديث الكثير ، وكان خيراً صالحاً متمماً بحواسه وقواه ، إلى حين الوفاة . وقد جاوز المائة ينحو من سبع سنين

أبو محمد عبد الله بن محمد

ابن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي ، الرباطي الحافظ ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار ، وهو من أحسن التصانيف الكبار ، قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية .

نصر الله بن محمد

ابن عبد القوي ، أبو الفتح اللاذقي المصيبي الشافعي ، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، بصور ، وسمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب ، وسمع ببغداد والأنبار ، وكان أحد مشايخ الشام ، قهراً في الأصول والفروع ، توفي فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

هبة الله بن علي

ابن محمد بن حمزة أبو السعادات ابن الشجري النحوي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وسمع الحديث وانتهت إليه رياسة النحاة . قال سمعت بيتاً في الذم أبلغ من قول مكوبه :

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم * يضيع وعند الأكثرين يضيع

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخسمائة

فيها استغاث مجير الدين بن أنابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج ، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم ، ورجع فنزل على الكسوة ، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق فخدمه واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين حتى تمنوه . وفيها ملكت الفرنج المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله وخاف على أمواله فتمزقت في البلاد ، وتمزق هو أيضاً في البلاد ، وأكلهم الأقطار ، وكان آخر ملوك بني باديس ، وكان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فدخل الفرنج إليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعاسهم إلا الله عز وجل ، دمشق وعليها مجير الدين أرتق وأنابك معين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع

الأول ، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وثلاثين ألفاً ، فاقتلوا معهم قتالاً شديداً ، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون ، واستمر الحرب مدة ، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع ، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مكشفي الرؤس يدعون ويتباكون ، والرماد مفروش في البلد ، فاستغاث أرتق بنو الرازيين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فقصداه سريعاً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد ، فلاحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وجمّاً غفيراً ، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو الذي أغرام بدمشق ، وذلك أنه افتري مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق ، فقتل لعنه الله ، وقد كادوا يأخذون البلد ، ولكن الله سلم ، وحماها بحوله وقوته . قال تعالى [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً] ومدينة دمشق لاسبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها المحلة التي أخبر رسول الله (ص) عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم والفتن ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وقد قتل الفرنج خلقاً كثيراً من أهل دمشق ، ومن قتلوا القتيبة الكبير الملقب بحجة الدين شيخ المالكية بها ، أبو الحجلاج يوسف بن درناس الفندلاوي ، بأرض النيرب ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببيانياس ، فرحلوا عنها وتسلموا بانياس . وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمراهه فقارقه ، وقصدوا بغداد فاقتلوا مع العامة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً من الصغار والكبار ، ثم اجتمعوا قبال التاج وقبلوا الأرض واعتذروا إلى الخليفة مما وقع ، وساروا نحو النهر وان فترقوا في البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغاني ، بعد وفاة الزينبي . وفيها ملك سولي بن الحسين ملك النور مدينة غزنة ، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكتشكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها ، فجاء بجيوش عظيمة فاقتل غزنة من سولي ، وأخذ أسيراً فصلبه ، وقد كان كرمياً جواداً ، كثير الصدقات .

ومن توفى فيها من الأعيان . إبراهيم بن محمد

ابن نهار بن محرز الغنوي الرقي ، سمع الحديث وثقه بالشاشي والغزالي ، وكتب شيئاً كثيراً من مصنفاته ، وقرأها عليه ، وصحبه كثيراً ، وكان مهيباً كثير الصمت ، توفى في ذي الحجة منها وقد جاوز الثمانين . شاهان شاه بن ايوب

ابن شادي ، استشهد مع نور الدين ، وهو والد السم عذار ، واقفة المنارية ، وتقى الدين عمر واقف التقوية .

علي بن الحسين

ابن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم الأكل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي، قاضي القضاة ببغداد وغيرها، سمع الحديث، وكان فقيهاً رئيساً، وقورا حسن الهيئة والسمت، قليل الكلام، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل، وجرت له فصول ثم عاد إلى بغداد فمات بها في هذه السنة، وقد جاوز الستين، وكانت جنازته حافلة.

أبو الحجاج يوسف بن درباس

الفندلاوي، شيخ المالكية بدمشق، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريبا من الربوة في أرض النيرب، هو والشيخ عبد الرحمن الجلبولي، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، قاضيها أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، منها الشفا، وشرح مسلم، ومشارك الأنوار، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان إماما في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب، وأيام الناس، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، ومات يوم الجمعة في جمادى الآخرة، وقيل في رمضان من هذه السنة، بمدينة سبته. وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج، قتل منهم خلقا، وكان فيمن قتل البرنس صاحب إنطاكية، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم والله الحمد. وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق، فأرسل إليه بفريق من جيشه محبة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس، نائب صرخد فأبوا بلاء حسنا، وقد قال الشعراء في هذه الفزوة أشعارا كثيرة، منهم ابن القيسراني وغيره، وقد سردها أبو شامة في الروضتين. وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخليفة أبو المظفر يحيى بن هبيرة، ولقب عون الدين، وخلع عليه. وفي رجب قصد الملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الأمراء، ومعه علي بن ديبس وجماعة من التركان وغيرهم، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له فامتنع من ذلك، وتكررت المكاتبات، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم، فمادى عليه وضاق النطاق، واتسع الخرق على الراقع، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إلى الخليفة، فاجاء إلفي أواخر السنة، فانتشعت تلك الشرور كلها، وتبدلت سرورا أجمعها. وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزالا شديداً، وتموجت الأرض عشر مرات، وتقطع جبل بجلوان، وانهدم الرباط النهر جورى، وهلك خلق كثير بالبرسام، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا. وفيها مات سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن

زنكى ، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها ، الخاتون بنت تمرناش بن إيلغازى بن أرتق ، صاحب ماردین ، فولدت له أولادا كلهم ملكوا الموصل ، وكانت هذه المرأة تضع خاها بين خمسة عشر ملكا . وفيها سار نور الدين إلى سنجار ففتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ، ثم اصطلمها فعوضه منها الرحبة وحصص ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . ثم غزا فيها الفرنج قتل منهم خلقا وأسر البرنس صاحب إنطاكية ، فمدحه الشعراء منهم الفتح التيسراني بقصيدة يقول في أولها :

هذى العزائم لا ما تمنقُ القضبُ * وذى المكارمُ لا ما قالتُ الكتبُ
وهذه الممّمُ اللاني متى خطبتُ * تمنتُ خلفها الأشمارُ والخطبُ
صاغتُ يا ابن عمادِ الدين ذروتها * براحةٍ للمسامي دونها تمبُ
ما زالَ جدكُ بيني كل شاهقةٍ * حتى بنى قبةً أو نادها الشهبُ

وفيها فتح نور الدين حصن ظميا وهو قريب من حماه . وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر ، ققام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل ، وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثا ، ثم آخر الأمر أذن يحيى على خير العمل ، والحافظ هذا هو الذى وضع طبل التولنج الذى إذا ضرب به من به التولنج يخرج منه القولنج والريح الذى به ، وخرج بالحجاج الأمير قطز الخادم فرض بالكوفة فرجع واستخلف على الحجاج مولاة قيباز ، وحين وصوله إلى بغداد توفى بعد أيام ، فطمعت العرب فى الحجاج فوقفوا لهم فى الطريق وهم راجعون ، فضعف قيباز عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أمانا وهرب وأسلم إليهم الحجاج ، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس ، وقل من سلم فيمن نجا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها مات معين الدين بن أنابك المسافر بدمشق ، وكان أحد مماليك طغتكين ، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين ، وهو واقف المدرسة المعينية ، داخل باب الفرج ، وقبره فى قبة قتلى الشامية البرانية ، بحلة العونية ، عند دار البطيخ . وللمات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفى وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة ، اقتضت أنهما جندا من العامة والنوغاء ما يقاومه فاقتلوا قتل خلق من الفريقين . ثم وقع الصالح بعد ذلك .

ومن توفى فيها من الأعيان . أحمد بن نظام الملك

أبو الحسن على بن نصر الوزير للمسترشد ، والسلطان محمود ، وقد سمع الحديث ، وكان من خيار الوزراء . أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني ، قاضى تستر ، روى الحديث وكان له شعر رائع يتضمن معانى حسنة

فن ذلك قوله :

ولما بلوت الناس أطلبُ عندهم * أختة عند اعتراض الشدائد
 تطمئت في حالي رخاءٍ وشدة * وناديت في الأحياء هل من مساعدٍ؟
 فلم أر فيما ساءني غيرُ شامتٍ * ولم أر فيما سرني غيرُ حاسدٍ
 فظلمت ود العالمين جميعهم * ورحت فلا ألوى على غير واحدٍ
 تمنمتا يا ناظري بنظرةٍ * وأوردتما قلبي أمرَ المواردِ
 أعينى كفاً عن فؤادي فانه * من البغي سعى اثنين في قتل واحدٍ
 والقاضي عياض بن موسى السبتي صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله :
 الله يعلمُ أني منذُ لم أركم * كطائرٍ خانهُ ريشُ الجناحينِ
 ولو قدرتُ ركبتُ الريحَ نحوكم * فانْ بُعدكم عني جئني حثي
 وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

عيمى بن هبة الله

ابن عيسى ، أبو عبد الله النقاش ، جمع الحديث ، مولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة . قال ابن الجوزي : وكان ظريفاً خفيف الروح ، له نوادر حسنة رأى الناس ، وعاشراً الأكياس ، وكان يحضر مجلسي ويكاتبني وأكاتبه ، كتبت إليه مرة فعضمته في الكتاب فكتب إلي : قد زدتنى في الخطاب حتى خشيت نقصاً من الزيادة ، وله :

إذا وجدَ الشيخُ في نفسه * نشاطاً فذلك موتٌ خفي
 ألت ترى أن ضوءَ السرا * ج له لهُبٌ قبل أن ينطفي

غازي بن اقسنقر

الملك سيف الدين صاحب الموصل ، وهو أخو نور الدين محمود ، صاحب حلب ثم دمشق فيما بعد ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم صورة ، شجاعاً كريماً ، يذبح كل يوم لحيشه مائة من الغنم ، ولما ليكه ثلاثين رأساً ، وفي يوم العيد ألف رأس سوى البقر والدجاج ، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس ، وبنى مدرسة بالموصل ورباطاً للصوفية وامتدحه الحيص بيص فأعطاه ألف دينار عيناً ، وخلمة . ولما توفي بالحمى في جمادى الآخرة دفن في مدرسته المذكورة ، وله من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً ، رحمه الله .

قطز الخادم

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر ، سمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني ، وكان يحب العلم والصدقة ، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة والأمن ، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك ، توفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة ودفن بالرصافة .
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن فامية ، وهو من أحصن القلاع ، وقيل فتحه في التي قبلها . وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك ، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق ، وعلى وزيره ابن الصوفي ، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان ، وكذلك السكة . وفيها فتح نور الدين حصن إعرزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسلين ، وفرح المسلمون بذلك ، ثم أسر بعده والده جوسلين الفرنجي ، فتزايدت الفرحة بذلك ، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده . وفي الحرم منها حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية ، وخلص عليه ، ولما لم يكن ذلك باذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام ، منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد إلى المدرسة بالكلية ، وتولاها الشيخ أبو النجيب باذن الخليفة ومرسوم السلطان . قال ابن الجوزي : في هذه السنة وقع مطر باليمن كله دم ، حتى صبغ ثياب الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان **الحسن بن ذبي النون**

ابن أبي القاسم ، بن أبي الحسن ، أبو المفاخر النيسابوري ، قدم ببغداد فوعظ بها ، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبهته الخنازلة ، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي ففترسوقه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد سمع منه ابن الجوزي شيئاً من شعره ، من ذلك :

مات الكرام وسرواوا تقضوا ومضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوى سفه * لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

عبد الملك بن عبد الوهاب

الحنبلي القاضى بهاء الدين ، كان يعرف مذهب أبي حنيفة وأحمد ، وينظر عنهما ، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء .

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

أبو المعالي الجبلي ، كان قتيها صالحاً متعبداً فقيراً ، ليس له بيت يسكنه ، وإنما يبديت في المساجد المهجورة ، وقد خرج مع الحجيج فأقام بمكة يمد ربه ويفيد العلم ، فكان أهلها يثنون عليه خيراً
الفقيه ابن بكر بن العربي

المالكي ، شارح الترمذي ، كان قتيها عالماً ، وزاهداً عابداً ، وسمع الحديث بعد اشتغاله في

الفرج ، وصحب الغزالي وأخذ عنه ، وكان يتمه برأى الفلاسفة ، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة فيها أثار جيش السلطان على بلاد الاماعيلية ، فقتلوا خلقا ورجعوا سالمين . وفيها حاصر نور الدين دمشق شهورا ثم رحل عنها إلى حلب ، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي . وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وترك الترفه وهجر اللذة حتى يأخذ بالنار ، ثم إن أمراء التركان ومعهم جماعة من أعوانهم ترصدوا الملك جوسليق الافرنجى ، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيداته فأرسل نور الدين فكبس التركان وأخذ منهم جوسليق أسيرا ، وكان من أعيان الكفرة ، وأعظم الفجرة ، فأوقفه بين يديه في أذل حال ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها . وفي ذى الحجة جاس ابن العبادى فى جامع المنصور وتكلم ، وعنده جماعة من الأعيان ، فكادت الحنابلة يثيرون فتنة ذلك اليوم ، ولكن لطف الله وسلم . وحج بالناس فيها قياز الأرجوانى . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ .

برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

شيخ الحنفية بدمشق ، درس بالبلخية ثم بالخاتونية البرانية ، وكان عالما عاملا ، ورعا زاهدا ، ودفن بمقابر باب الصغير .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها توفى السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود ، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له ، وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله وألقاه للكلاب ، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضا ، فركب إليها فى الجيش فى أبهة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكر على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد فزينت له البلد . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بمجاية وهى بلاد بنى حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد ، ثم جهز عبد المؤمن جيشا إلى صنهاجة فحاصرها ، وأخذ أموالها . وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج ، فكسروهم وقتل منهم خلقا والله الحمد . وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين أول ملوكهم ، فكسروه سنجر وأسره ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بى لوأستنى؟ فأخرج قيدا من فضة وقال : كنت أتميدك بهذا . فعفى عنه وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزنة فأنزعا من يد صاحبها بهرام شاه السبكتكىنى ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين فغدر به أهل البلد وسلوه إلى بهرام شاه فصلبه ، ومات بهرام شاه قريبا فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام

شاه عنها، فدخلها علاء الدين فتهبها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشراً كثيراً، وسخر أهلها فحملوا تراباً في مخالي إلى محلة هناك بعيدة عن البلد، فممر من ذلك التراب قلمة معرفة إلى الآن، وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرم جهادا في الكفرة، وأكثرم أموالا ونساء وعددا وعددا، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرم ريفاً ومياها ففنى جميعه وزال عنهم [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزق من تشاء وتنتقل من تشاء بيديك الخبير إنك على كل شيء قدير] ثم ملك النور والهند وخراسان، واتسعت ممالكهم وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر، وحكى ابن الجوزي أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة، ثم باض بازي بيضتين، وباضت نعامة من غير ذكر، وهذا شيء عجيب.

ومن توفى فيها من الأعيان . المظفر بن اردشير

أبو منصور العبادي، الواعظ، مع الحديث ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به، فأجتمع له من ذلك مجلدات. قال ابن الجوزي: لا تكاد نجد في المجلد خمس كلمات جيدة، وتكلم فيه وأطال الخط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحب نعمة، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب. توفى وقد جاوز الخمسين بقليل.

مسعود السلطان

صاحب المراق وغيرها، حصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوط طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسرف في بعض حروبه الخليفة المسترشد كما تقدم، توفى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة منها.

يعقوب الخطاط الكاتب

توفى بالنظامية، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فنعهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل المدرس الشيخ أبي النجيب وضر به في الديوان تعزيراً.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً بحيث صارت القتلى مثل التلول العظيمة، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً، ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له، وقالوا نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار

من ممالئكم ، فأقام عندهم شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو ، وهي كرسى مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً ، فقال سنجر هذا لا يمكن ، هذه كرسى المملكة ، فضحكوا منه وضرطوا به فنزل عن سرير المملكة ودخل خانقاه ، وصار فقيراً من جملة أهلها ، وتاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد فتهبوا وتركوها قاعاً صفيصفاً ، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً ، وأقاموا سليمان شاه ملكاً ، فلم تطل أيامه حتى عزلوه ، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود ابن كوخان ، وتفرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ، وصارت الدولة دولة . وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب . وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة . وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد . وحج بالناس فيها قيام الأرجواني .

وفيها كانت وفاة الشاعر بن القرينين الشهيرين في الزمان الأخير .

بالفرزدق وجريير

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوني بجلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق ، وعلي بن السلال الملقب بالعدل وزير الظافر صاحب مصر ، وهو باني المدرسة بالاسكندرية للشافعية للحافظ أبي طاهر السلفي ، وقد كان العدل هذا ضد اسمه ، كان ظلوماً غشوماً حطوماً ، وقد ترجمه ابن خلكان . ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

فيها ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها ، ولقي هناك جمعاً من الأتراك والتركمان ، فأظفره الله بهم ، ثم عاد إلى بغداد .

ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظافر ، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور ، قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز ، فكتب الخليفة عهداً إلى نور الدين محمود بن زنكي بالولاية على بلاد الشام والديار المصرية ، وأرسله إليها . وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض وتمير ماء دجلة إلى الحرة ، وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه ، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه في أسر الترك ، وهو في غاية النل والاهانة ، وأنه يبكي على نفسه كل وقت . وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له في القلعة ، مع وزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي ، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظله وغشمه ، وكان الناس يدعون ليلاً ونهاراً أن يبذلهم بالملك نور الدين ، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان فخرن نور الدين على ذلك ،

ولا يمكنه الوصول إليهم ، لأن دمشق بينه وبينهم ، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه كما جرى غير مرة ، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطبقونه ، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس في صفة طلب الصلح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولا عده شيئا ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك ، فركب الملك نور الدين في جيشه فنزل عيون الفاسريا من أرض دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي ، ففتحها قهرا ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة وتمحصن مجير الدين في القلعة فأنزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق والله الحمد . ونادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواقيع على المنابر ، ففرح الناس بذلك وأكثروا الدعاء له ، وكتب مسالوك الفرنج إليه يهنونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويخضعون له .

ومن توفى فيها من الأعيان . الرئيس مؤيد الدولة

على بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة ، واستفحل أمره ، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم . عطاء الخادم

أحد أمراء دمشق ، ، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين ، وكان ينوب على بعلبك في بعض الأحيان ، وقد كان ظلما غاشما وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم . ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية

فيها خرج الخليفة في تجمل إلى دموقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم فان أهلها قد هلكوا من الجيشين ، فأجابهم ورحل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف ، ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه أناولى عهد سنجر ، فان قررتني في ذلك وإلا فأنا كأحد الأمراء ، فوعده خيرا ، وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله ، فهد الأمور ووطنها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه ، وكأنه خاف عليه غائلة الروافض أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئا أو غير ذلك ، والله أعلم .

فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عودا على يده وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائبا بها على البلد والقلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحاك البقاعي ، فاستحوذ عليها وكاتب نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا واستدعى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق فأقطعه

إقطاعا حسنا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فانه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق ، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، لأنه كان حسن الشكل حسن اللعب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتدمين الخليل وتعليمها الكر والفر ، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [وهو حسان بن نمير الكلبي] الشاعر :

رويدكم بالصوص الشام * فإني لكم ناصح في مقال

فاياكم ومعي النبي يوسف * رب الحجج والكمال

فذاك مقطّع أيدي النساء * وهذا مقطّع أيدي الرجال

وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

ومن توفي فيها من الأعيان . محمد بن ناصر

ابن محمد بن علي الحافظ ، أبو الفضل البغدادي . ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، ومع الكثير ، وتفرد بمشايخ ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر ، سريع الذاكرة . وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج ابن الجوزي ، مع بقراءته مسند أحمد وغيره من الكتب الكبار ، وكان يثني عليه كثيرا ، وقد رد على أبي سعد السمعاني في قوله : محمد بن ناصر يجب أن يقع في الناس . قال ابن الجوزي : والكلام في الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل ، وإنما ابن السمعاني يجب أن يتعصب على أمجاد الامام أحمد ، فهوذ بالله من سوء القصد والتعصب . توفي محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب .

مجلى بن جميع أبو المعالي

الخزومي الأرسوفي ثم المصري قاضيا ، الفقيه الشافعي ، مصنف النخار وفيها غرائب كثيرة وهي من الكتب المفيدة . ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في الحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية ، فتلقيه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة ، فقبل الأرض وحلقه على الطاعة وصفاء النية والمناسحة والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وتقرر أن للخليفة العراق وسليمان شاه ما يفتح من خراسان ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ، ثم خرج منها في ربيع الأول فاقتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد وهزم عسكره ، فذهب مهزوما فتلقيه نائب قطب الدين مودود بن زنكي ، صاحب الموصل ، فأسره وحبسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه وخدمه ، وهذا من أغرب

الاتفاقات . وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد . وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم واقتلعها من أيدي الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات ، وامتدحه الشعراء عند ذلك . وفيها هرب الملك سنجر من الأسر وعاد إلى ملكه بمر و ، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين . وفيها ولي عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده ، استناب كل واحد منهم على بلد كبير وإقليم .

حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفي يطلب منه أن يخطب له في بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همدان إلى بغداد ليحاصرها ، فاجتمع الناس وحصن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم ، ورموا نحوه الشباب ، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالا شديدا بالنفط وغيره ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همدان ، فانشمر عن بغداد إليها في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين ، وتفرقت عنه المسافر الذين كانوا معه في البلاد ، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ، وموت ذريع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين . وفيها أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين ، فتلقيه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشعراء ، وكان من جملتهم الأبله الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها :

بأي لسانٍ للوشاةِ الأمامِ * وقد علموا أني سهرتَ وناموا ؟

إلى أن قال :

ويستكثرونِ الوصلَ لي ليلةً * وقد مرَّ عامٌ بالصدودِ وعامٌ

فطرب الوزير عند ذلك . وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين ديناراً ، وحج بالناس قبازا .

ومن توفي فيها من الأعيان . علي بن الحسين

أبو الحسن الغزنوي الواعظ ، كان له قبول كثير من العامة ، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطا بباب الأرج ، ووقفت عليه أوقافا كثيرة ، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان . وكان حسن الإرادة ملبح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصناف الناس . وقد ذكر ابن الجوزي أشياء من وعظه ، قال وسمعت يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدال أعمال . ثم أنشد :

كم حسرةٍ لي في الحشا * من ولدٍ إذا نشأ * أولت فيه رُشدُهُ * فما يشاء كما نشأ

قال وسمعت يوماً يفسد :

يُحسدني قومي على صُنعتي * لأنني في صنعتي فارسُ
سهرتُ في ليليُ واستنمسا * وهل يستوى الساهرُ والناعسُ؟

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم في يوم عيدكم ، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم ؟ ثم يقول : ألا هل بلغت ؟ قال : وكان يتشيع ، ثم سعى في منعه من الوعظ ثم أذن له ، ولكن ظهر للناس أمر العبادي ، وكان كثير من الناس يميلون إليه ، وقد كان السلطان يعظمه ويحضر مجلسه ، فلما مات السلطان مسعود ولي الغزنوي بعده ، وأهين إهانة بالغة ، فرض ومات في هذه السنة . قال ابن الجوزي : وبلغني أنه كان يعرق في نزعته ثم يفيق وهو يقول : رضى وتسليم ، ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه .

محمود بن إسماعيل بن قادوس

أبو الفتح الدمياطي ، كاتب الانشا بالديار المصرية ، وهو شيخ القاضي الفاضل ، كان يسميه ذا البلاغتين ، وذكره العماد الكاتب في الجريدة . ومن شعره فيمن يكرر التكبير ويوسوس في نية الصلاة في أولها :

وفاترُ النيةِ عنينها * مع كثرةِ الرعدةِ والهزّةِ
يكبرُ التسعينَ في مرةٍ * كأنه يصلي على حمزةِ

الشيخ أبو البيان

بنا بن محمد المعروف بابن الحوراني ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع ، قرأ القرآن وكتاب التنبيه على مذهب الشافعي ، وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالمة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتابا بخطه فيه النظام التي يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين محمود في رباطه داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً . وقد ذكرته في طبقات الشافعية رحمه الله .

عبد الغافر بن إسماعيل

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد ، الفارسي الحافظ ، تفقه بامام الحرمين وسمع الكثير على جده لأمه أبي القاسم القشيري ، ورحل إلى البلاد وأسمع ، وصنف المفهم في غريب مسلم وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلاً ديناً حافظاً .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعمامة والجند من جهة الخليفة المقتفي

يقاتلون أشد القتال ، والجمعة لاتقام لمنذر القتال ، والفتنة منتشرة ، ثم يسر الله بذهاب السلطان ، كما تقدم في السنة التي قبلها ، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة فطول . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خاق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحمص وشيزر وحصن وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمرة وفاميه وإنطاكية وطرابلس . قال ابن الجوزي : وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخدام لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم من أهلها أحد ، وأما فاميه فساحت قلعتهما ، وتل حران انقسم نصفين فابدى نواويس وبيوتا كثيرة في وسطه . قال : وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير ، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى أن مكتبا من مدينة حمص انهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت أحديسأل عن أحد منهم ، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك . وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده . وفيها فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار ، وأخذ مدينة بملبك ، وكان بها الضحاك البقاعي ، وقد قيل إن ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم فأنه أعلم ، وقد تقدم ذلك . وفيها مرض نور الدين فرض الشام بمرضه ثم عوفي وفرح المسلمون فرحاً شديداً ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر . وفيها عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحاً بالذهب ، وأخذ بابها الأول فجعله لنفسه تابوتاً . وفيها أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحداً ، لا زاهداً ولا عالماً . وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم رجلاً علواً فطبخه وباعه في السوق ، فحين ظهر عليه قتل . [وذكر أبو شامة أن فتح بانياس كان في هذه السنة على يد نور الدين بنفسه ، وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقيل ملكها وغنم شيئاً كثيراً] . وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبس الأول بن عيسى بن شعيب السجزي ، فسمعوا عليه البخاري في دار الوزير ببغداد ، وحج بالناس قباً .

ومن توفي فيها من الأعيان . أحمد بن محمد

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفي من أهل سمرقند ، سمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان حسن السميت ، قدم ببغداد فوعظ الناس ، ثم عاد إلى بلده فقتله قطاع الطريق رحمه الله تعالى . أحمد بن بختيار

ابن علي بن محمد ، أبو العباس المارداني الواسطي قاضياً ، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة ، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك ، وكان ثقة صدوقاً توفي ببغداد وصلى عليه بالنظامية

السلطان سنجر

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو الحارث واسمه أحمد ، ولقب بسنجر ، مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام في الملك نيفا وستين سنة ، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة ، وقد أسره الغزنويون من خمس سنين ، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو ، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة ودفن في قبة بناها لها دار الآخرة رحمه الله .

محمد بن عبد اللطيف

ابن محمد بن ثابت ، أبو بكر الخلجندی الفقيه الشافعي ، ولى تدريس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسنا ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة . قال ابن الجوزي : ولم يكن ماهرا في الوعظ ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه ، توفي بأصبهان فجأة فيها .

محمد بن المبارك

ابن محمد بن الخلل أبو الحسن بن أبي البقاء ، سمع الحديث وتفقه على الشاشي ، ودرس وأفتى ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخلل الشاعر في ذي القعدة منها يحيى بن عيسى

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله ، وكان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، ورزق أولاداً صالحين ساهم بأسماء الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحفظهم القرآن كلهم بنفسه ، وختم خلقا كثيرا ، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا يفطران إلا بعد العشاء ، وكانت له كرامات ومنامات صلحة ، ولما مات قالت زوجته : اللهم لا تحبيني بعده ، فماتت بعده بخمسة عشر يوما ، وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها كثر فساد التركان من أصحاب ابن برجم الابوانى ، فجهز إليهم الخليفة منكورس^(١) المسترشدى في جيش كثيف ، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة ، وجاؤا بالأسارى والرؤس إلى بغداد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز ، فكسروه ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرو ثم طلبوه إليهم بخاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرمه ، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه . وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين ، وبين تقيب الصلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن ، فقتل منهم خلق كثير ، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق ، وانهمزم المؤيد

(١) كذا في الأصل وفي ابن الأثير « خطلوبرس » .

الشافعي إلى بهض القلاع . وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضى بأمر الله ، وفيها خرج المتقني نحو الأنبار متصيهاً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير . وحج بالناس فيها قباذ الأرجواني . وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسروم كسرة فجيسة صحبة الملك صالح أبو الفارات ، فارس الدين طلائع بن رزيك ، وامتدحه الشعراء . وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه وبقى هو في شردمة قليلة من أصحابه في نحر العدو ، فرموم بالسهم الكثيرة ، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشردمة القليلة خديعة لجي كمين إليهم ، ففروا منهزمين والله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان عبد الأول بن عيسى

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي ، راوى البخارى ومسند الدارمي ، والمنتخب من مسند عبد بن حميد ، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم ممتناً وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزي : أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال أسندته إلى فات ، وكان آخر ماتكمم به أن قال [يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين] .

نصر بن منصور

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار ، أبو القاسم الحرائي كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات في الجماعة ، ورؤيت له منامات سالحة ، وقارب الثمانين رحمه الله .

يحيى بن سلامة

ابن الحسين أبو الفضل الشافعي ، الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والآداب ، ناظماً ناثراً ، غير أنه كان ينسب إلى النلو في التشيع ، وقد أورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه ، فن ذلك قوله في جملة قضيدة له :

تقاسموا يوم الوداع كبدى * فليس لي منذ تولوا كبدى
على الجفون رحلوا وفي الحشاء * نزلوا وماء عيني وردوا
وأدعبي مسفوحة وكبدى * مقروحة وعلتي ماقد بدوا
وصبوتى دائمة ومقلتي * دامية ونومها مشرد
تبيني منهم غزال أعيد * يا حبذا ذلك الغزال الأعيد

غزال

حسانه مجردة وصرحة * مرمدة وخذة موردة
 وصدغه فوق احمرار خده * مبلبل مقرب مجعد
 كأنما نكته وريقة * مسك وخر والشايا برد
 يقعد عند القيام ردفه * وفي الحشامنه المقيم المقعد
 له قوام كقضيبي بانتم * يهتز قصدا ليس فيه أود

وهي طويلة جدا ، ثم خرج من هذا النزول إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله

وسألت عن حب أهل البيت * هل أقر إعلاناً به أم أجدد ؟
 هيات مزوج بلحمي ودمي * جهيم وهو الهدى والرشد
 حيدرة والحسان بعده * ثم علي وابنه محمد
 وجعفر الصادق وابن جعفر * موسى ويتلوه على السيد
 أعني الرضى ثم ابنه محمد * ثم علي وابنه المسدد
 والحسن الثاني ويتلو تلو * محمد بن الحسن المفتقد
 فانهم أمتي وسادتي * وإن لحاني معشر وفندوا
 أئمة أكرم بهم أئمة * أسماؤم مسرودة تطرد
 هم حجج الله على عباده * وهم إليه منهج ومقصود
 قوم لهم فضل ومجد باذخ * يعرفه المشرك والموحد
 قوم لهم في كل أرض مشهد * لا بل لهم في كل قلب مشهد
 قوم مني والشعران لهم * والمرتان لهم والمسجد
 قوم لهم مكة والأبطح والخ * يف وجمع والبقيع الفرقد

(المهدي حسنة)
 كما برئى حسنة

تسمع

ثم ذكر بلطف مقتل الحسين بالطف عبارة إلى أن قال :

يا أهل بيت المصطفى يا * عدني ومن على جهيم أعتد
 أنتم إلى الله غداً وسيلتي * وكيف أخشى وبكم أعتضد
 وليكم في الخلد حى خالد * والصد في نار لظى مخلد
 ولست أهواكم بيبغض غيركم * إني إذا أشقى بكم لا أسمع
 فلا يظن رافضي أنني * واقفته أو خارجي مفسد
 محمد والخلفاء بعده * أفضل خلق الله فيما أجد
 هم أسسوا قواعد الدين لنا * وهم بنوا أركانه وشيدوا

غلغلي X
 آل البيت X

ومن يحنُّ أحمدى أصحابه * نخصمه يومَ المعادِ أحمدُ
 هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا * هذا طريقى فاسلكوه تهتدوا
 والشافعى مذهبي مذهبه * لأنه فى قوله مؤيدُ
 اتبعته فى الأصل والفرع معا * فليتبعن الطالبُ المرشدُ
 إني باذنِ اللهِ ناجٍ سابقٌ * إذا ونى الظالمُ ثم المفسدُ
 ومن شعره أيضاً :

إذا قلّ مالى لم تجدى جازعاً * كثير الأسمى معرى بمض الانامل
 ولا بطراً إن جدد الله نعمة * ولو أن ما أوتى جميع الناس لى
 ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها مرض الخليفة المتنى مرضاً شديداً ، ثم عوفى منه فزينت بغداد أياماً ، وتصدق بصدقات كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهديّة من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين فى سنة ثلاث وأربعين . وفيها قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالتلل العظيم ، وفى صفر منها سقط برد بالعراق كبار ، زنة البردة قريب من خمسة أرتال ، ومنها ما هو تسعة أرتال بالبغدادى ، فهلك بذلك شئٌ كثير من الغلات ، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بسوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشحج جبينه ، ثم عوفى . وفى ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، ففرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلولا ، وغرقت تربة أحمد ، وخسفت هناك القبور ، وطففت الموتى على وجه الماء . قاله ابن الجوزى : وفى هذه السنة كثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم فى جحافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فردّه الله خائباً خاسئاً ، وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابن أخته والله الحمد . وحج بالناس فيها قباز الأرجوانى .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن معالي

ابن بركة الحربى ، تفته أبى الخطاب السكودانى الحنبلى ، وبرع وناظر ودرس وأفتى ، ثم صار بعد ذلك شافعيّاً ، ثم عاد حنبليّاً ، ووعظ ببغداد وتوفى فى هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به راحلته فى مكان ضيق فدخل قبر بوس سرجه فى صدره فمات .

السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همدان أصابه مرض السل فلم ينتج منه ، بل توفى فى ذى الحجة منها ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس فى المنظرة ،

فركب الجيش بكامله وأحضرت أمواله كلها ، ومما ليك حتى جواريه وحظاياها ، فجعل يبكي ويقول : هذه المساكر لا يدفعون عنى مثقال ذرة من أمر ربى ، ولا يزيدون فى عمرى لحظة ، ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتدى ، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم ، ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت منى فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجوارى الحسان والماليك لو قبلهم فداء منى لكانت بذلك سمحاً له . ثم قال : [ما أغنى عنى مالىه هلك عنى سلطانيه] ثم فرق شيئاً كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال ، وتوفى عن ولد صغير ، واجتمعت المساكر والأمرأ على عمه سامان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان مسجوناً بالموصل فأفرج عنه وانمقدت له السلطنة ، وخطاب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى بأمر الله .

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله

مرض بالتراقى وقيل بدمل خرج بمقله ، فمات ليلة الأحد نائى ربيع الأول منها عن ست وستين سنة ، لإثمانية وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وكان شهماً شجاعاً مقداماً ، يباشر الأمور بنفسه ، ويشاهد الحروب ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار ، وهو أول من استبد بال عراق منفرداً عن السلطان ، من أول أيام الديلم إلى أيامه ، وتمكن فى الخلافة وحكم على العسكر والأمرأ ، وقد وافق أباه فى أشياء : من ذلك مرضه بالتراقى ، وموته فى ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر ، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه ، وكذلك هذا . قال عفيف الناسخ : رأيت فى المنام قائلاً يقول : إذا اجتمعت ثلاث خآآت مات المقتدى - يعنى خمساً وخمسين وخمسمائة .

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتدى

لما توفى أبوه كما ذكرنا ببيع بالخلافة فى صبيحة يوم الأحد نائى ربيع الأول من هذه السنة ، بايمه أشرف بنى العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمرأ وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان ولى عهد أبيه من مدة متطاولة ، ثم عمل عزاء أبيه ، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة فى الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه ، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك إلى الممات ، وعزل قاضى القضاة ابن الدامغانى وولى مكانه أبا جعفر بن عبيد الواحد ، وكان شيخاً كبيراً ، له سماع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة ، ثم توفى فى

ذى الحجة منها . وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همدان على سليمان شاه ، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل ، وفيها توفى .

الفائز خليفة مصر الفاطمي

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر ، توفى في صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مدبر دولته أبو الغارات . ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوجه بابنته ، وجهرها بمجهاز عظيم يعجز عنه الوصف ، وقد عمرت بعد زوجها العاضد ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف ، في سنة أربع وستين كما سيأتي . وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة .

خسر وشاه بن ملكشاه

ابن بهرام شاه بن سهود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين ، من بيت ملك ورياسة باذخة ، يرثونها كبرا عن كبر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله ، توفى في رجب منها ، وقام بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغوري فحاصر غزنة فلم يقدر عليها ، ورجع خائباً . وفيها مات .

ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه

السلجوقي بأصبهان مسموماً ، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم . وفيها مات أمير الحاج .

قياز بن عبد الله الأرجواني

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة ، فسال دماغه من أذنه فمات من ساعته ، وقد كان من خيار الأمراء ، فتأسف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير ، مات في شعبان منها ، فخرج بالناس فيها الأمير برغش مقطع الكوفة . وحج الأمير الكبير شيركوه بن شاذي ، مقدم عساكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها استغنى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن يحيى أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق ، فأعفاه نور الدين ، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهر زوري ، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً ، وإليه ينسب الشباك الكمالى الذى يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربى بالجامع الأموى ، والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان . الأمير مجاهد الدين

نزار بن مابن الكردي ، أحد مقدمي جيش الشام ، قبل نور الدين وبعده ، وقد ناب في مدينة صرخد ، وكان شهما شجاعا كثير البر والصدقات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من النورية جوار الخميميين ، وله أيضا المدرسة المجاهدية داخل باب الفراديس البراني ، وبها قبره . وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر ، توفى بداره في صفر منها ، فحمل إلى الجامع وصلى عليه ثم أعيد إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفراديس ، وتأسف الناس عليه .

الشيخ عدي بن مسافر

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري ، شيخ الطائفة العدوية ، أصله من البقاع غربى دمشق ، من قرية بيت نار ، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس ، والشيخ عقيل المنبجى ، وأبى الوفا الحلوانى ، وأبى النجيب السهروردى وغيرهم ، ثم انفرد عن الناس وتخلّى بجبل هكارو بنى له هناك زاوية واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكرآ ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدى إلى الخروج من الدين جملة . مات في هذه السنة بزوايته وله سبعون سنة رحمه الله .

عبد الواحد بن أحمد

ابن محمد بن حمزة ، أبو جعفر الثقفى ، قاضى قضاة بغداد ، ولها بعد أبى الحسن الدامغانى في أول هذه السنة ، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك ، توفى في ذى الحجة منها وقد تاهز الثمانين ، وولى بعده ابنه جعفر . والفائز صاحب مصر ، وقباز تقدما في الحوادث .

محمد بن يحيى

ابن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى ، ولد بمدينة زبيد بالمين سنة ثمانين تقريباً ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة ، فوعظ وكانت له معرفة بالنعو والأدب ، وكان صبورا على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده استمراء وقلّة مبالاة بالدين ، مدمن شرب الخمر في رمضان ، فنار عليه مدبر مملكته بزديار الخادم قتلته ، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الفارات طلائع ابن رزيك الأرنقى ، وزير الماضد صاحب مصر ، ووالد زوجته ، وكان قد حجر على الماضد لصفه واستحوذ على الأمور والحاشية ، ووزر بعده ولده رزيك ، ولقب بالماذل ، وقد كان أبوه الصالح

كرباً أديباً ، يحب أهل العلم ويمحسن إليهم ، كان من خيار الملوك والوزراء ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء . قال ابن خلدكان : كان أولاً متولياً بمنية بنى الخصيب ، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله ، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي . قال : والصالح هذا هو بانى الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة ، قال : ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر ، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر . قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين على بن نجبا الخنبلي

مشيبيك قد محى صنع الشباب * وحلّ الباز في وكر الغراب
تنام ومقلّة الحدان يقظي * وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف نفاذ عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب
وله } كم ذا يرينا الدهر من أحداثه * عبراً وفينا الصد والأعراض
نفسى المات وليس يجرى ذكره * فينا فنذكرنا به الأمراض
ومن شعره أيضاً قوله :

أبي الله إلا أن يدوم لنا الدهر * ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تنفى أوفه * ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس - حتى كأنا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر
وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال :

[نحن في غفلة ونوم ولهو * ت عيون يقظانة لا تنام]
قد رحلنا إلى الحمام سنينا * لبت شعري متى يكون الحمام ؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة ، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورتاه عمارة التميمي بقصائد حسان ، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت . قال ابن خلدكان : فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله :

وكانه تابوت موسى أودعت * في جانبه سكينه ووقار

وفيهما كانت وقعة عظيمة بين بنى خفاجة وأهل الكوفة ، فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً ، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات ، فقبض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة ، فنجبهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو . وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم ، وقيل قاسم ، بن أبي فليسة بن قاسم بن أبي هاشم . وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات ، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق ،

لثلا يضر ذلك بالمارة . وفيها وقع رخص عظيم بينفداد جدا . وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النيرواني الحنبلي ، وقد توفى من آخرهذه السنة ، ودرس بعده فيها أبو الفرج ابن الجوزي ، وقد كان عنده معيدا ، ونزل عن تدريس آخر بياب الأزج عند موته .

ومن توفى فيها من الأعيان . حمزة بن علي بن طلحة

أبو الفتح الحاجب ، كان خصيصاً عند المسترشد والمقتفي ، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره ، وحج فرجع منزها ولزم بيته معظما نحواً من عشرين سنة ، وقد امتدحه الشعراء فقال فيه بعضهم :

يا عَضْدَ الإسلامِ يا مَنْ سَمَتْ * إلى الملائمة الفاخرة

كانت لك الدنيا فلم ترضها * ملكاً فأخلدت إلى الآخرة

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من الدراري ، فاجتمع ملوك تلك الناحية: ايلدكز صاحب أذربيجان وابن سبكان صاحب خلاط ، وابن آقسنقر صاحب مراغة ، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فقبهوها ، وأسروا ذراريهم ، والتقوا معهم فكسروهم كسرة فظيمة منكرة ، مكثوا يقتلون فيهم . ويأسرون ثلاثة أيام . وفي رجب أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف ، فعزل عن التدريس . وفيها كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بياب البصرة ، ورتب فيها مدرساً وفقياً ، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

ومن توفى فيها من الأعيان . شعجاع شيخ الحنفية

ودفن عند المشهد ، وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة ، وكان جيد الكلام في النظر ، أخذ

عنه الحنفية . صدقة بن وزير الواعظ

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر تفشفاً ، وكان يميل إلى التشيع وعلم الكلام ، ومع هذا كله راجع عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير ، ابتنى منه رباطاً ودفن فيه ساعه الله تعالى .

زمرد خاتون

بنت جاولي أخت الملك دقاق بن تنش لأمه ، وهي بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنعاء بمكان يقال له تل الثعالب ، غربي دمشق ، على جانب الشرق القبلي بصنعاء الشام ، وهي قرية معروفة قديماً ، وأوقفها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي المتقدم ذكره ، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين ، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور ، وقد ملك بعد

أبيه وسار سيرته ، ومالاً الفرج على المسلمين وهم بتسليم البلد والأموال إليهم قتلوه ، وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها ، وقد كانت قرأت القرآن ، وصمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصلحاء ، وقد تزوجها الاتبكي زكي صاحب حلب طمعاً في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك ، بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته ، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز ، وجاورت بمكة سنة ، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة ، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم ، قال السبط ولم تمت حتى قل ما بيدها ، وكانت تفر بل القمح والشعير وتتقوت بأجرته ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي التومرتي ، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مرا كش على صفة أنه مريض ، فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعد أبيه ، ولقبوه أمير المؤمنين ، وقد كان عبد المؤمن هذا حازماً شجاعاً ، جواداً معظماً للشريعة ، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل ، وكان إذا أذن المؤذن وقيل الأذان يزدحم الخلق في المساجد ، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن كان سفاكاً للعلماء ، حتى على الذنب الصغير ، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء . وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزي ، قتله النز ، وكان عادلاً . وفيها كبت الفرج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجليه فنزل رجل كردي قطعها فسار نور الدين فنجاً ، وأدركت الفرج ذلك الكردي قتلوه رحمه الله ، فأحسن نور الدين إلى ذريته ، وكان لا ينسى ذلك له . وفيها أمر الخليفة باجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم ، وذلك لافسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه ، ونجر يضهم له على حصار بغداد ، فقتل من بني أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلم نواب الخليفة الحلة . وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير ، ومن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير .

أبو محمد عبد المؤمن بن علي

القيسي الكوي تلميذ ابن التومرت ، كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وتفرد فيه أنه شجاع سعيد ، فاستصحبه فمظم شأنه ، والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصاعدة وغيرهم ، وداروا صاحب مرا كش على بن يوسف بن تاشفين ، ملك الملتين ، واستحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وقاس وسلا وسبته ، ثم حاصر مرا كش أحد

عشر شهراً فافتتحها في سنة ثنتين وأربعم وخمسمائة ، وتمهدت له الممالك هناك ، وصفا له الوقت وكان عاقلاً وقوراً شكلاً حسناً محباً للخير ، توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين رحمه الله .

طلحة بن علي

ابن طراد ، أبو أحمد الزينبي ، قبيب النقباء ، مات فجأة وولى النقباء بعده ولده أبو الحسن علي وكان أمرد فمزول وصور في هذه السنة .

محمد بن عبد الكريم

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري كاتب الانشاء ببغداد ، كان شيخاً حسناً ظريفاً وانفرد بصناعة الانشاء ، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وخدم الملوك والخلفاء ، وقارب التقسين . ومن شعره في محبي الدنيا والصور :

يا من هجرت ولا تبالي * هل ترجع دولة الوصال
 هل اطعم يا عذاب قلبي * أن ينعم في هواك بالي
 ما ضرك أن تعاليني * في الوصل بموعده الحال
 أهواك وأنت حظ غيري * يا قاتلي فإحتيالي
 أيام عنائي قبل سود * ما أشبهن بالليالي
 المذل فيك يمدوني * عن حبك ما لهم ومالي
 يا ملزمني السلو عنها * الصب أنا وأنت سالي
 والقول بتركها صواب * ما أحسنه لو استوى لي
 طلقت نجلدي ثلاثاً * والصبوة بمد في خيالي
 ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها قدم شاور بن مجير الدين أبو شعاع السعدي الملقب بأمر الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك ، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع ، وقام في الوزارة بعده ، واستفعل أمره فيها ، فأر عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار ، وجمع له جموعاً كثيرة ، واستنظر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان ، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ، ليد كانت لأبيه عنده ، واستوزر ضرغام ولقب بالنصور ، فخرج شاور من الديار المصرية هارياً من العاضد ومن ضرغام ، ملتجئاً إلى نور الدين محمود ، وهو نازل بجوسق الميدان الأخضر ، فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور ، وطلب شاور منه عسكرياً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية ، وليكون لنور الدين

ثالث مغلها ، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادى ، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا أشد القتال ، فهزهم أسد الدين وقتل منهم خلقا ، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه فى البلاد ، واستقر أمر شاور فى الوزارة ، وتمدد حاله ، ثم اصطالح الماضد وشاور على أسد الدين ، ورجع عما كان عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه ، وعاث فى البلاد ، وأخذ أموالا كثيرة ، وافتتح بلدانا كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذى بعسقلان ، واسمه مرى ، فأقبل فى خاق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبليس وقد حصنها وشحنها بالهدد والآلات وغير ذلك ، فحصره فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقا ، وسار إلى بانياس ، فاضف صاحب عسقلان الفرنجى ، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاور ستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام فى ذى الحجة .

وقعة حارم

فتحت فى رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث بعساكر المسلمين لجأوه من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج ، فالتقى معهم على حارم فكسروهم كسرة فظيمة ، وأسر البرنس بيمنند صاحب إنطاكية ، والقوهص صاحب طرابلس ، والدوك صاحب الروم ، وابن جوسليق ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل عشرين ألفا . وفى ذى الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس ، وقيل إنه إنما فتحها فى سنة ستين فأنه أعلم . وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران ، فأصابه سهم فى إحدى عينيه فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر فى الآخرة لأحبيت أن تنهب الأخرى . وقال لابن مدين الدين : إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم ، لأنه كان سلهما للفرنج ، فصالحه عن دمشق . وفى شهر ذى الحجة احترق قصر جيرون حريقا عظيما ، فحضر فى تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه ، بعد رجوعه من مصر ، وسعى سعيًا عظيما فى إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها .

ومن توفى فيها من الأعيان . جمال الدين

وزير صاحب الموصل ، قطب الدين مودود بن زنىكى ، كان كثير المعروف ، واسمه محمد بن على ابن أبى منصور ، أبو جعفر الأصهبائى ، الملقب بالجمال ، كان كثير الصدقة والبر ، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك أنه ساق عينيا إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد الخليف ودرجه ، وعملها بالرخام ، وبنى على المدينة النبوية سوراً ، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن

عمر بالحجر المنحوت ، والحديد والرصاص ، وبنى الربط الكثيرة ، وكان يتصدق في كل يوم في بابه بمائة دينار ، ويفتدى من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار ، وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والفقراء ، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد ، وقد حبس في سنة ثمان وخمسين ، فذكر ابن الساعى في تاريخه عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفى في شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادى مواخاة وعهد أهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية ، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال ، فامروا به على بلدة إاصلاوا عليه وترحوا عليه ، وأتموا خيرا ، فصلوا عليه بالموصل وتكريت وبغداد والحلة والكوفة وفيديو مكة وطيف به حول الكعبة ، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها في رباط بناه شرقى مسجد النبي (س) . قال ابن الجوزى وابن الساعى : ليس بينه وبين حرم النبي (س) . وقبره سوى خمسة عشر ذراعا . قال ابن الساعى : ولما صلى عليه بالحلة صعد شاب نشراً فأنشد :

سرى نمشة على الرقابِ وطالما * سرى جوده فوق الرقابِ ونائلة

بمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى أرامله

ومن توفى بعد الحسين . ابن الخازن الكاتب

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادى الشاعر . كان يكتب جيداً فائقاً ، اعتنى بكتابة الختمات ، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنه عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياماً ، وقتل فيها خاق كثير . وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جدا ، وذكر ابن الجوزى أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد ، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير .

عمر بن بهليسا

ومن توفى فيها من الأعيان . الطحان الذى جدد جامع العقبة ببغداد ، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه ، فأذن له في ذلك ، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه ، ونبش الموتى منها ، فقبض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاء وفا .

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

أبو عبد الله الحرانى ، كان آخر من بقى من الشهود المقبولين عند أبى الحسن الدامغانى ، وقد

سمع الحديث ، وكان لطيفاً ظريفاً ، جمع كتاباً سماه روضة الأدياء ، فيها تفت حسة . قال ابن الجوزي
زرت يوماً فأطلت الجلوس عنده فقلت : أقوم قد ثقلت ، فأنشدني :

لئن سئمتُ إراماً وتقللاً * زياراتٍ رفضتُ بهنُ قدرى
فما أبرمتُ إلا حبلُ ودى * ولا ثقلتُ إلا ظهرُ شكرى

مرجان الخادم

كان يقرأ القراءات ، وتفقه لمذهب الشافعي ، وكان يتمصب على الخنابلة ويكرههم ، ويمادى
الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي معاداة شديدة ، ويقول لابن الجوزي : مقصودى قلع مذهبكم ،
وقطع ذكركم . ولما توفى ابن هبيرة في هذه السنة قوى على بن الجوزي وخانه ابن الجوزي ، فلما توفى
في هذه السنة فرح ابن الجوزي فرحاً شديداً ، توفى [في ذى القعدة منها .

ابن التلميذ

الطبيب الحاذق الماهر ، اسمه هبة الله بن صاعد توفى [عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسماً
عليه في الدنيا ، وله عند الناس وجاهة كبيرة ، وقد توفى قبحة الله على دينه ، ودفن بالبصرة العتيقة ،
لارحمه الله إن كان مات نصرانياً ، فإنه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه .

الوزير ابن هبيرة

بجى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين ، مصنف كتاب الافصاح ، وقد
قرأ القرآن وسمع الحديث ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والمروض ، وتفقه على مذهب الامام
أحمد ، وصنف كتباً جيدة مفيدة ، من ذلك الافصاح في مجلدات ، شرح فيه الحديث وتكلم على
مذاهب العلماء ، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد ، وقد كان فقيراً لامال له ، ثم تعرض للخدمة
إلى أن وزر للمقتنى ثم لابنه المستنجد ، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وأبعدهم عن الظلم ،
وكان لا يلبس الحرير ، وكان المقتنى يقول ما وزر لبنى العباس مثله ، وكذلك ابنه المستنجد ، وكان
المستنجد معجباً به ، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين
يديه من شعره .

صفتُ نعمتانِ خصتكُ وعمنا * فذكرهما حتى القيامةِ يذكُرُ
وَجُودكُ والدنيا إليك فقيرةٌ * وَجُودكُ والمرُوفُ في الناسِ ينكُرُ
فلو رامَ يا بجى مكانكُ جعفرٌ * وبجى لكفا عنه بجى وجعفرُ
ولم أرَ من بنوى لك السوءِ أباً * المظفرُ إلا كنتُ أنتُ المظفرُ

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية ، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ،

حتى استقرت الخلافة في العراق كله ، ليس للملوك معهم حكم بالكلية والله الحمد . وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه وينظرون عنده ، يستفيدون منه ويستفيدون منه ، فاتفق يوماً أنه كالم رجل من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريد أن تقول لي كما قلت لك ، فامتنع ذلك الرجل ، فصالحه على مائتي دينار . مات فجأة ، ويقال إنه سمه طيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، وكان الطبيب يقول سمته فسمت . مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جدا ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمراثي كثيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [من الشام] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج ، وغنم أموالاً جزيلة . وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن ، ومعه مملوك تركي ، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار ، ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها ، وذبحت أولاده بين يديه ، فدلهم رجل من الأعراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضرباً شديداً وأعيد إلى السجن وضيق عليه . وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وأظاها بأشياء منكراً ، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة ، خوفاً من ابن هبيرة ، ووقع بين الروافض كلام فيما يتعلق بخلق القرآن . وحج بالناس برغش .

ومن توفي فيها من الأعيان الحسن بن العباس

ابن أبي الطيب بن رستم ، أبو عبد الله الأصهباني ، كان من كبار الصالحين البكائين ، قال : حضرت يوماً مجلساً ماشاه وهو يتكلم على الناس فرأيت رب العزة في هذه الليلة وهو يقول لي : وقتت على مبتدع وصممت كلامه ؟ لأحر منك النظر في الدنيا ، فأصبح لا يبصر وعيناه مفتوحتان كأنه بصير .

عبد العزيز بن الحسن

ابن الحباب الأغلب السمدى القاضى ، أبو الممالى البصرى ، المعروف بابن الجليس ، لأنه كان يجالس صاحب مهر ، وقد ذكره المماد في الجريدة ، وقال : كان له فضل مشهور وشعر مأثور فن ذلك قوله :

ومن عجب أن السيوف لديهم * نحيض دماءً والسيوف ذكور
وأعجب من ذا أنها في أكفهم * تاجج ناراً والأكف بمجور

الشيخ عبد القادر الجيلي

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي ، ولد سنة سبعين وأربعمائة ، ودخل بغداد فسمع الحديث وفقه على أبي سعيد الحرشي الحنبلي ، وقد كان بنى مدرسة فقوضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان يتكلم على الناس بها ، ويظهم ، وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا ، وكان له سمع حسن ، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان فيه زهد كثير وله أحوال سالحة ومكاشفات ، ولاتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة ، وقد كان صالحا ورعا ، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب ، وفيهما أشياء حسنة ، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وبالجملة كان من سادات المشايخ ، [توفي] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فيها أقيمت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، وكان كثير الخنق على الوزير شاور ، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر :

والأتراك قد أزمعت * مصر إلى حرب الأعراب
رب كما ملكها يوسف * الصديق من أولاد يعقوب
فلنگها في عصرنا يوسف * الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضربا هام العدا * حقا وضراب العراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه ، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم ، وإنما معه ألفا فارس ، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين ، لكنرة الفرنج ، إلا أميراً واحدا يقال له شرف الدين برغش ، فإنه قال : من خاف القتل والأسر فليقم في بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم إلى العدو ، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فالتلواهم وإيام قتالا عظيما ، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة ، وهزمهم ، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، والله الحمد .

فتح الأسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه

ثم أشار أسد الدين بالمسير [إلى الاسكندرية] فلما وجب أموالها ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فلما جمع منه أموالا جزيلة جدا ، ثم إن الفرنج

والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين ، وذلك في غيبة عمه في الصعيد ، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً ، فسار إليهم أسد الدين فصالحه شاوور الوزير عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابته إلى ذلك ، وخرج صلاح الدين منها وسلّمها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام في منتصف شوال ، وقرر شاوور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم ، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة ، وقتل منهم خلقا من الرجال ، وأسر جمًّا غفيرا من النساء والأطفال ، وغنم شيئا كثيرا من الأمتعة والأموال والله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار ففسدها . وفيها في شعبان منها كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني ، صاحب الفتح القدسي ، والبرق الشامي ، والجريدة ، وغير ذلك من المصنفات ، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهر زوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فنسبت إليه لسكنائه بها ، فيقال لها العمادية ، ثم ولى تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد^(١) وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له وبه معرفة من تكريت ، فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها أبو شامة ، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول :

ويستقرُ بمصرَ يوسفُ وبه * تقر بعد التناهي عينُ يعقوبِ
ويلتقي يوسفُ فيها باخوتن * والله يجمعهم من غير تريبِ

ثم تولى عماد الدين كتابة الانشاء للملك نور الدين محمود .

ومن توفي فيها من الأعيان . برغش أمير الحاج سنين متعددة

كان مقدما على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التركاني فسقط عن فرسه فمات .

أبو المعالي الكاتب

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، وقد ولى ديوان الزمام

مدة ، توفي في ذي القعدة ودفن بمقابر قریش .

الرشيد الصدفي

كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي ، كانت له شديدة سميت ووقار ، وكان يدمن حضور

السماعات ، ويرقص ، فاتفق أنه مات وهو يرقص في بعض السماعات .

(١) بياض بنسخة الاستانة ولم يكن بالمصرية بياض .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي من واسط إلى بغداد ، فخرج الجيش لتلقيه والنجيبان والقاضي ، ومشى الناس بين يديه إلى الديوان فجلس في دست الوزارة ، وقرئ عهده ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدرالشرق والغرب . وفيها أفسدت خفاجة في البلاد ونهبوا القرى ، فخرج إليهم جيش من بغداد فهربوا في البراري فانحسر الجيش عنهم خوفاً من العطش ، فكروا على الجيش فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً فصلبوا على الأسوار . وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود ابن زنكي إلى بغداد تريد الحج من هناك ، وهي الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين ، ومعهما الخدم والخدم ، وفيهم صندل الخادم ، وحملت لها الامامات وأكرمت غاية الاكرام . وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر ، فشرى البلاد عن حاكم ثلاثاً وعشرين يوماً حتى أئزموا روح بن الحدثنى قاضي القضاة في رابع رجب .

ومن توفي فيها من الأعيان جعفر بن عبد الواحد

أبو البركات النقي ، قاضي قضاة بغداد بعد أبيه ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكله الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً فخاف فرمى الدم ومات .

أبو سعد السمعاني

عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعاني ، رحل إلى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها للاخطيب البغدادي ، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم ، وذكر عنه أنه كان يتمصب على أهل مذهبه ، ويعطون في جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة عامية ، مثل قوله عن بعض الشيوخ أنها كانت عفيفة . وعن الشاعر المشهور بجيـص بيـص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج ، وغير ذلك .

عبد القاهر بن محمد

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردي ، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمع الحديث وفقه وأفتى ودرس بالنظامية وأبنتى لنفسه مدرسة ورباطا ، وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس ، ودفن بمدرسته . محمد بن عبد الحميد

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازي ، المعروف بالعلاء العالم ، وهو من أهل سمرقند ، وكان من الفحول في المناظرة ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، يقال لها التعليقة العالمية . قال ابن الجوزي وقد قدم بغداد وحضر مجلسي ، وقال أبو سعد السمعاني : كان يدمن شرب الخمر . قال وكان يقول ليس في الدنيا أطيب من كتاب المناظرة وباطية من خمر أشرب منها . قال ابن الجوزي : ثم بلغني عنه

أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على النسك والخير .

يوسف بن عبدالله

ابن بندار الدمشقي ، مدرس النظامية ببغداد ، تفقه على أسعد المهيني ، وبرع في المناظرة وكان يتعصب للأشعرية ، وقد بعث رسولا في هذه السنة إلى شملة التركاني فمات في تلك البلاد .

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

فيها كان فتح مصر على أيدي الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طفت الفرنج بالديار المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجا أفواجا ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين ، وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤا إليها من كل فج وناحية صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبليس وقتلوا من أهلها خلقا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا بها ألقاهم ، وجملوها موثلا ومعتلا لهم ، ثم ساروا فنتزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية ، فأمر الوزير شاور الناس أن يهرقوا مصر ، وأن ينقل الناس منها إلى القاهرة ، فتهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جدا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما ، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين ، وبمات إليه بشعور نسائه يقول أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج ، والتزم له بثلاث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيا بها عندهم ، والتزم له بأقطاعات زائدة على الثلث ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر ، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار ، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار ، فانشروا راجعين إلى بلادهم خوفا من عساكر نور الدين ، وطعماني العودة إليها مرة ثانية ، ومكروا ومكروا والله خير الماكرين . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله ، وضيق على الناس مع ما نالهم من الضيق والحريق والخوف ، فجزى الله مصابهم بقدم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم ، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حصص إلى حلب فساق إليه هذه المسافة وقطعها في يوم واحد ، فانه قام من حصص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم ، ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابية ، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وأنعم عليه بمائتي ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان ، كل منهم يتبني بمسيره رضى الله والجهاد في سبيله ، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن مفشرا لخروجه هذا بل كان كارها

له ، وقد قال الله تعالى [قل اللهم مالك الملك] الآية ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، وجعل أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم ، فجهزه من دمشق إلى الديار المصرية ، وأقام نور الدين بدمشق ، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصفقة الخاسرة ، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم نفلح عليه خلمة سنوية فلبسها وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد ، وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت إليهم التحف والكرامات ، وخرج وجوه الناس إلى الخيم خدمة لأسد الدين ، وكان فيمن جاء إليه الخيم الخليفة العاضد متنكراً ، فأسر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاوور ، وقرر ذلك معه وأعظم أمر الأمير أسد الدين ، ولكن شرع يماطل بما كان التزمه للملك نور الدين ، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين ، ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له فتهاه أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من غائلته ، وشاوروه في قتل شاوور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام جاء شاوور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي ، وإذا ابن أخيه يوسف هناك فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاوور ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاوره عمه أسد الدين وانهمز أصحابه فأعلموا العاضد لعله يبعث ينقذه ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه ، فقتل شاوور وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر ، وفرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاوور ، فتهبت ، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه خلمة عظيمة ، ولقبه الملك المنصور ، فسكن دار شاوور وعظم شأنه هناك ، ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك وقصدته الشعراء بالتهنئة ، غير أنه لم ينشرح لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين ، فشرع نور الدين في أعمال الحيلة في إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولا سبياً أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، والله أعلم . وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضي الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون ، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال وأقطع الاقطاعات ، وولى الولايات ، وفرح بنفسه أياما معدودات ، فأدركه حماته في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، فلما توفي أسد الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه ، فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلمة سنوية ، ولقبه الملك الناصر .

صفة الخلمعة التي لبسها صلاح الدين

مما ذكره أبو شامة في الروضتين عمامة بيضاء تينسى بطرف ذهب ، وثوب ديبقى بطراز ذهب وحببة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مذهبة ، وعقد جواهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار ، وحجزة بثمانية آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسر فسار ذهب بجوهر ، وفي رأسها مائتا حبة جوهر ، وفي قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفي رأسها قصبه ذهب فيها تئدة بيضاء بأعلام بيض ومع الخلمعة عدة بقج ، وخيل وأشياء آخر ، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، وكان يوما مشهوداً ، وسار الجيش بكاله في خدمته ، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة اليا روقى ، وقال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، ثم سار بجيشه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك ، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب الملك نور الدين ، يخطب له على المنابر بالديار المصرية ، ويكاتبه بالأمر الاسفهلار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامة ، لكن قد التفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد الماضد في أيامه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد ، وزاد في إقطاعات الذين معه فأحبوه واحترموه وخدموه ، وكتب إليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقربته ، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك ، وكل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه . وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير

هيا لمصر حور يوسف ملكها * بأمر من الرحمن كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورا * يماثل لإقتل داود جالوتا

قال أبو شامة : وقتل الماضد في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم ، وأخوها الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤسهم ببلاد مصر .

ذكر قتل الطواشى

مؤمن الخليفة وأصحابه على يدى صلاح الدين ، وذلك أنه كتب من دار الخليفة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الاسلامية الشامية ، وكان الذى يفد بالكتاب إليهم الطواشى مؤتمن الخليفة ، مقدم العساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه ، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله ، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره ، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه ، واستشعر الطواشى مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر

فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه ، ثم عن له في بعض الأيام أن يخرج إلى الصيد ، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر ، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور ، صفارها وكبارها

وقعة السودان

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخليفة الحبشي ، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك ، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفاً ، فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام فقتل كان ذلك بأمر العاضد ، وقيل لم يكن بأمره . ثم إن أخا الناصر نورشاه شمس الدولة - وكان حاضراً للحرب قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره - أمر باحراق منظره العاضد ، ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ، ومن بلادكم ، فقوى الشاميون وضعف جأش السودان جدا ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة ، التي فيها دورهم وأهلهم يبلب زويلة فأحرقها ، فولوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف فقتل منهم خلقا كثيراً ، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجيزة ، ثم خرج لهم شمس الدولة نورشاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضاً ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فتلك بيوتهم حاوية بما ظلموا . وفيها افتتح نور الدين قلعة جبر وانزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي المقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه . وفيها احترق جامع حلب فجده نور الدين . وفيها مات ماروق الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب .

ومن توفي فيها من الأعيان .

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

أبو الحسن الواعظ الحنبلي ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ ، وقد أتى عليه ابن الجوزي في ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فبهى عن التعرض لذلك وأندد :

أبي الغائب الغضبان يا نفس أن ترضى * وأنت الذي صيرت طاعته فرضاً

فلا تهجرى من لا تطيقين هجرة * وإن هم بالهجران خديك والأرضاً

وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال : خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب

ادفع بصبرك حادث الأيام * وترج لطف الواحد العلام

لا تيأسن وإن تضايق كربها * ورمك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بينَ ذلكَ فرجةٌ * تخفى على الافهام والأوهام
 كم من نجما من بين أطرافِ القنا * وفريسةً سلمت من الضرغام
 توفي في شعبان منها عن أربع وثمانين سنة ، ودفن عند رباط الزورى ثم نقل إلى مقبرة الامام
 شاور بن مجير الدين

أحمد أبو شجاع السعدي ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الديار المصرية أيام العاضد ، وهو الذي انتزع
 الوزارة من يدى رزيك ، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل ، استدعى به من اسكندرية من
 باب السدرة فخطى عنده وانحصر منه الكتاب بالقصر ، لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه
 الشعراء منهم عمارة اليمنى حيث يقول :

ضجّر الحديدُ من الحديدِ وشاور * من نصر دين محمد لم يضجر
 حلفَ الزمانَ ليأتينَ بمنله * حنثتَ بيمينك يا زمانُ فكفر

ولم يزل أمره قائماً إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار فالتجأ إلى نور الدين فأرسل معه
 الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه ، فنكث عهده فلم يزل أسد الدين حنقا عليه حتى
 قتله في هذه السنة ، على يدى ابن أخيه صلاح الدين ، ضرب عنقه بين يدى الأمير جردنك في
 السابع عشر من ربيع الآخر ، واستوزر بعده أسد الدين ، فلم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة
 أيام . قال ابن خلكان : هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشار بن شاس بن مغيث
 ابن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله وهو والد حليلة السعدية ، كذا
 قال ، وفيما قال نظر لتصر هذا النسب لبعده المدة والله أعلم .

شيركوه بن شادي

أسد الدين الكردي الزرزارى وهم أشرف شعوب الأكراد ، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال
 أذربيجان ، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب - وكان الأكبر - الأمير مجاهد الدين نهر و ز الخادم
 شحنة العراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكى
 هاربا من قراجا الساقى ، فأحسننا إليه وخدمناه ، ثم اتفق أنه قتل رجلا من العامة فأخرجهما نهر و ز من
 القلعة فصارا إلى زنكى بجانب فأحسن إليهما ، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب
 على بعلبك ، وأقره ولده نور الدين ، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه ، وأخصهم عنده
 وأقطعهم الرحبة وحصص مع ماله عنده من الاقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في
 الفرنج ، في أيام معدودات ووقعات معتبرات ، ولا سيما يوم فتح دمشق ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار
 مصر ، بل الله بالرحمة تراه وجعل اللجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له ، وذلك

في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله . قال أبو شامة : وإليه تنسب الخاتمة الأُسدية بالشرق القبلى ، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

محمد بن عبد الله بن عبد الواحد

ابن سليمان المعروف بابن البطى ، سمع الحديث الكثير ، وأسمع ورحل إليه وقارب التسعين .

محمد الفارقي

أبو عبد الله الواعظ ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة ويعبر ألفاظه ، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه ويروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية .

المعمر بن عبد الواحد

ابن رجار أبو أحمد الأصبهاني أحد الحفاظ الوعاظ ، روى عن أصحاب أبي نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، توفى وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أمماً كثيرة ، جاءوا إليهم من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس ، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجد به عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليه بمادد من الجيوش ، فإنه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء ، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقرون بها على أخذ مصر . فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً . ثم إن نور الدين اغتم غيبة الفرنج عن بلادهم فصمد إليهم في جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم وقتل وسبي شيئاً كثيراً ، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب ، في جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فنلقاه الجيش من مصر ، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده ، وأقطعهم اسكندرية ودمياط ، وكذلك لبقية أولاده ، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكائنة بألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبي كثيراً من نساءهم وأطفالهم وضم من أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ ليحاصرها — وكانت من أمنع البلاد — وكاد أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلوا نحو دمشق ، تخاف أن يلتف عليهما الفرنج فتترك الحصار وأقبل نحو دمشق فخصنها ، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيداً ، وقد كان

الملك نور الدين شديد الاهتمام قوى الاغنام بذلك ، حتى قرأ عليه بعض طلبية الحديث جزءاً في ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني لأستحي من الله أن يراني متبسماً والمسلمون يحاصروهم الفرنج بنغر دمياط . وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلمة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول الله (س) . وهو يقول : سلم على نور الدين وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله بأى علامة ؟ فقال : بعلامة ما مسجد يوم تل حارم وقال في سجوده : اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب ؟ فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر « من هو محمود الكلب » انقبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرك به رسول الله (س) . فقال ذلك : فقال : صدقت ، وبكى نور الدين تصديقاً وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فاذا الأمر كما أخبر في المنام .

قال العماد الكاتب : وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها ، وشتى بدمشق . وفيها حاصر الكرك أربعة أيام ، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، متوجهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي ، وذلك أن الخليفة بعث يماثبه في ذلك . وفيها قدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع ثيب بن الرقيق وابن القنقري ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدهما نور الدين ليقابلهما فحادا عن طريقه . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحصن وحماه وحلب وبلبيك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعتها ، فهدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهته الأماكن .

وفيها توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة ، وكان من خيار الملوك ، محبباً إلى الرعية ، عطوفاً عليهم ، محسناً إليهم ، حسن الشكل . وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردين ، وكان مدبر مملكته والمتحكم فيها نحر الدين عبد المسيح ، وكان ظالماً غاشماً . وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً . وحج بالناس فيها وفيها قبلها الأمير برغش الكبير ، ولم أر أحداً من أكابر الأعيان توفي فيها .

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي فيما يبدو للناس ، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فأت في الحمام ، ويقال : إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب ، استمع جلالاً لموته ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً ، وكان من خيار الخلفاء وأعدلم وأرقهم بالرعايا ، ومنع عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالعراق مكساً ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شريه ، وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وأتقني بمنله لأريح المسلمين من شره ، وكان المستنجد أسمر طويل اللحية ، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجبل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحت لبّ بني العباس جملتها * إذا عددت حساب الجمل الخلفاء

وكان أماراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وقد رأى في منامه رسول الله (ص) ، وهو يقول له : قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، دعاء القنوت بتمامه . وصلى عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة رحمه الله تعالى .

خلافة المستضيء

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتدي ، وأمه أرمنية تدعى عصمت ، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة . بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبايعه الناس ، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، وواقفه في الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وولى قضاء قضاء بغداد الروح ابن الحدثنى يوم الجمعة حادى عشر من ربيع الآخر ، وخلع على الرزير وهو الأستاذ عضد الدولة ، وضربت على بابها الدبابات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من المالك وأذن للوعاظ فتكلموا بعد ما منعوا مدة طويلة ، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة ، ثم كثر احتجاجه ، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب :

قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارث البرد وابن عم النبي
جاء بالحق والشريعة والعد * ل فيما مرحباً بهذا المحي
فهنيئاً لأهل بغداد فازوا * بعد بؤس بكل عيش هني
ومضى إن كان في الزمن المظ * لم بالمودي في الزمان المضي

وفيهما سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها ، وكذا نصيبين والخابور وسنجار ، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين ، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوماً ، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، مع الجزيرة ، وزوجه ابنته الأخرى ، وأمر بهارة جامعها وتوسمته ، ووقف على تأسيسه بنفسه ، وجعل له خطيباً ودرسا للفقهاء ، وولى التدريس للفقهاء أبي بكر البرقائي ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العسائدي عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشير به في أموره ، ومن يعتمد في مهماته وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع مافعله من الخيرات ، فلهذا حصل بقدمه لأهل الموصل كل مسرة ، واندفعت عنهم كل مضرة ، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الغاشم نجر الدين عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذته معه إلى دمشق فأقطعه إقطاعاً حسناً ، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان يقال إن له كنيسة في جوف داره ، وكان سمي السيرة خبيث السيرة في حق العلماء والمسلمين خاصة ، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا ، وحين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه ، وألبسه خلعة جاءت من الخليفة فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوى الشتاء فأقام بها كما ذكرنا ، فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله (ص) يقول له : طابت لك بلدك وتركت الجهاد وقتال أعداء الله ؟ فنهض من فوره إلى السفر ، وما أصبح إلا سائراً إلى الشام ، واستقضى الشيخ ابن أبي عصرون ، وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نواباً وأصحاباً .

وفيهما عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درياس المارداني الشافعي ، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية ، وبنى مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها . وعمر صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار اسكندرية ، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً ، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم ، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام ، واجتمع شملهم بعد فرقة طويلة . وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحج على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر .

ومن توفي فيها من الأعيان . **طاهر بن محمد بن طاهر**
 أبو زرعة المقدسي الأصل ، الرازي المولد ، الهمداني الدار ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة
 وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير ، ومما كان يرويه مسند الشافعي ، توفي بهمدان يوم الأربعاء
 سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

يوسف القاضي

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر ، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن ،
 اشتغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، وكان
 القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان بعد موته كثير الاحسان إلى أهله رحمهم الله .

يوسف بن الخليفة

المستنجد بالله بن المقتدي بن المستظهر ، تقدم ذكر وفاته وترجمته ، وقد توفي بعده عمه أبو نصر
 ابن المستظهر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين
 من ذي القعدة منها . ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر

في أول جمعة منها ، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية ،
 وكان يوماً مشهوداً ، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك ، مع ابن أبي
 عصفور شهاب الدين أبي المعالي ، فزينت بغداد وغلقت الأسواق ، وعملت التباب وفرح المسلمون
 فرحاً شديداً ، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في
 خلافة المطيع العباسي ، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي ، باني القاهرة ، إلى هذا
 الآن ، وذلك مائتا سنة وثمان سنين . قال ابن الجوزي : وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته النصر
 على مصر .

موت العاضد آخر خلفاء العبديين

والعاضد في اللغة القاطع ، « لا يعضد شجرها » لا يقطع ، وبه قطعت دولتهم ، واسمه عبد الله
 ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري ،
 أبي القنأم بن المهدي أولهم ، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة
 وكانت سيرته مذمومة ، وكان شيعياً خبيثاً ، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة ، واتفق
 أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك
 أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه في ذلك قبل وفاته ، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفاً مريضاً ،
 فلما مات تولى بعده ولده ، فكانت الخطبة بمصر له ، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته في يوم

عاشوراء ، فخر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه ، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان العاضد كرمياً جواداً سماحه الله . ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل الماض إلى دار أفردا لهم ، وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات الهنية ، والعيشة الرضية ، عوضاً عما فاتهم من الخلافة ، وكان صلاح يتقدم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة العاضد ، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته ، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً .
ومما نظمه العماد في ذلك :

توفى العاضد الدعوى فما * يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها تقضى وغدا * يوسفها في الأمور محتكما
قد طفتت جرة الغواة وقد * داخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شملُ الصلاح ملتماً * بها وعقدُ السداد منتظما
لما غدا مشعراً شعار بني الـ * عباس حقاً والباطل اکتما
وبات داعي التوحيد منتظراً * ومن دعاة الاشرار منتقما
وظل أهل الضلال في ظلال * داجية من غبائة وعمى
وارتكس الجاهلون في ظلم * لما أضاءت منابر العلماء
وعاد بالمستضى معتلياً * بناء حق بعد ما كان منهدما
أعيدت الدولة التي اضطهدت * وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهترعطف الاسلام من جليل * واقترن نعر الاسلام وابقسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحاً * فليقرع الكفر سنة ندما
عاد حريم الأعداء منتكاً الـ * حمى وفي الطغاة منتقما
قصور أهل القصور أخرجها * عامر بيت من الكمال سما
أزعج بعد السكوت ساكنها * ومات ذلاً وأنفه رغما

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضى بالخطبة له بمصر وأعمالها :

لبنيتك يا مولاي فتح تتابعت * إليك به خوض الركائب توجت
أخذت به مصراً وقد حال دونها * من الشرك بأس في لها الحق يهتف
فمادت بحمد الله باسم إمامنا * تقيه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو إن ذلك ليوسف مصره * وكانت إلى عليائه تقشوف
فشابه خلقاً وخلقا وعفة * وكل عن الرحمن في الأرض يخلف

كشفت بها عن آل هاشم سبة * وعاراً أبي إلا بسيفك يكشف
وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين ، وهي أطول من هذه ، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن
محمد بن بركات الوزير أنشد هالخليفة عند موته بعد منام رآه ، وأراد بيوسف الثاني المستنجد ، وهكذا
ذكر ابن الجوزي : أنها أنشدت في حياة المستنجد ، ولم يخطب بها إلا لابنسه المستضيء ، فجرى
المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين
معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر ، وكذلك الملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود
ولواء معقود ، ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر . قال ابن أبي طي في كتابه : ولما تفرغ صلاح
الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتعمية ، استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من
الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئاً باهراً ، وأمرأ هائلاً ، من ذلك سبعمائة يقيمة
من الجواهر ، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام ، وحبل من ياقوت ، وإبريق
عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه
ذلك الريح من دبره ، وينصرف عنه ما يجده من القولنج ، فانفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في
يده ولم يدبر ما شأنه ، فضرب عليه فحبق - أي ضرت - فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل
أمره . وأما القضيب الزمرد فان صلاح الدين كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء
شيئاً كثيراً من قطع الباخش والياقوت والذهب والنفضة والآث والأمتعة وغير ذلك ، ثم باع ما
فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار ، فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الآث والأمتعة نحو ما
عشر سنين ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنوية نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين ،
أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحاً ، ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل له من الأموال ، بل كان
يعطي ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم ، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع باخش زنة
الواحدة إحدى وثلاثون مثقالاً ، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً ، والثالثة عشرة مثاقيل ، وقيل أكثر
مع لآلى كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعطار لم يسمع بمثله ، ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا ،
فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا . قال ابن أبي طي : ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن
الاسلام نظير ، تشمل على ألفي ألف مجلد ، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون
نسخة من تاريخ الطبري ، وكذا قال الهادي الكاتب : كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف
مجلد . وقال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة بمائة ألف مجلد ، وقد تسلمها القاضي
الفاضل ، فأخذ منها شيئاً كثيراً مما اختاره واتخذه ، قال وقسم القصر الشمالي بين الأمراء فسكنوه ،
وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج ، يقال له اللؤلؤة ، الذي فيه بستان الكافوري

وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمى إلى الفاطميين ، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكبر إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره ، حتى تمزق كثير منهم في البلاد ، وتفرقوا شذرمذر وصاروا أيدي سبا .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأمس الذهب كأن لم يفتوا فيها . وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلفية حدادا اسمه عبيد ، وكان يهوديا ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم ، والمقصود أن هذا الالهي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصولاً ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً ، يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض . ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه العزيز المزمع ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة العزيزية والقصران ، ثم ابنه العزيز نزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الطاهر علي ، ثم ابنه المستنصر معد ، ثم ابنه المستعلي أحمد ، ثم ابنه الأمر منصور ، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفاتح عيسى ، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم ، فجماعتهم أربعة عشر ملكاً ، ومدتهم مائتان ونيّف وثمانون سنة ، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم نيّفًا وثمانين سنة ، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، كما سيأتي . وقد كان الفاطميون أغني الخلفاء وأكثرهم مالا ، وكانوا من أغني الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقتل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتقلب الفرنج على سواحل الشام بكجالة ، حتى أخذوا القدس ونابلس ومجبلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك ، إلى بلاد إياس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمالاً يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين مالا يحد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتقض إبراهيم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وقد قال الشاعر المعروف عرقلة :

أصبح الملكُ بعد آلِ علي * مشرفاً بالملكِ من آلِ شادي
وغدا الشرقُ يحسدُ الفر * بَ للقومِ فصرُّ ترهوه على بغدادِ
ما حورها إلا بعزمٍ وحزمٍ * وصليلِ الفولاذِ في الأكيادِ
لا كفرعونَ والعزيرِ ومن * كانَ بها كالخطيبِ والاسنادِ

قال أبو شامة: يعني بالاستاد كأنه نور الاخشيدى، وقوله آل علي يعني الفاطميين علي زعمهم ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيداً، وكان يهودياً حداداً بسلامية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطنهم في نسبهم. قال وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضوع أشياء كثيرة في غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجيرون به في بعض الأحيان من الكفریات، وقد تقدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم، قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سميت به «كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمنكر والسكيد» وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلاني الذي سماه «كشف الأسرار وهتك الاستار» وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر:

أبدتم من بلى دولة الكفر من * بنى عبيد بمصر إن هذا هو الفضلُ
زنادقةٌ شيعيةٌ باطنيةٌ * مجوسٌ ومافى الصالحين لهم أصلُ
يسرونَ كفرًا يظهرونَ تشيعاً * ليستروا سابراً عمهم الجهلُ

وفيها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب، وقرىء المنشور بذلك على رؤس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر. وفيها حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج في السواحل فأحل بهم بأساً شديداً، وقرر في أنفسهم منه نفرة ووعيداً، ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالمسار المصرية إلى بلاد الكرك، ليجتمعا هناك ويتفقا على المصالح التي يعوقها على المسلمين، فترجم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر لأجل امتثال المرسوم، فسار أياً ما، ثم كرّ راجعاً معتلاً بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر واشتغل عنها، وأرسل يعتذر إلى نور الدين. فوقع في نفسه منه، واشتد غضبه عليه، وعزم على الدخول إلى مصر وانزعاعها من صلاح الدين وتوليبتها غيره، ولما بلغ هذا الظاهر صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه، وذكر ذلك بمحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر وقال: والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه، فشمته الأمير

نجم الدين أبو بوب والد صلاح الدين وسببه وأسكنه ، ثم قال لابنه : اسمع ما أقول لك ، والله ما ههنا أحد أشفق عليك مني ومن خالك هذا - يعني شهاب الدين الخارمي - ولورأينا نور الدين لبادرنا إليه ولقبنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية الأمراء والجيوش ، ولو كتب إلى أن أبغثك إليه مع نجاب لغت ، ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب ، فلما خلى بابنه قال له : أمالك عقل ؟ تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء فيقول عمر مثل هذا الكلام فتقره عليه ، فلا يبقى عند نور الدين أهم من قصدك وقتالك وخراب ديارنا ، وأعمارنا ، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم ، ولذهبوا كلهم إليه ، ولكن ابث إليه وترفق له وتواضع عنده ، وقل له : وأى حاجة إلى مجيئ مولانا السلطان إلى قتالي ؟ ابث إلى بنجباب أو جمال حتى أجيئ معي إلى بين يديك . فبمث إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرفت همته عنه ، واشتغل بغيره ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وفيها أخذ نور الدين الحمام الهوادي ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فانه ملك من حد النوبة إلى همدان لا يدخلها إلا بلاد الفرنج ، وكلهم تحت قهره وهدنته ، ولذلك اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي يحمل الرسائل إلى الآفاق في أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل الحمام ملائكة الملوك ، وقد أطنب ذلك الهاد الكاتب ، وأطرب وأعجب وأغرب .
ومن توفى فيها من الأعيان .
عبد الله بن أحمد

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الخشاب ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، واشتغل بالنحو حتى ساد أهل زمانه فيهما ، وشرح الجمل لعبد القاهر [الجرجاني] ، وكان رجلاً صالحاً منطوعاً ، وهذا نادراً في النحاة ، توفى في شعبان من هذه السنة ودفن قريباً من الامام أحمد ، ورؤى في المنام قبيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول ، قال ابن خلكان : كان مطرحاً للكلفة في مأكله وملبسه ، وكان لا يبالي بمن شرق أو غرب .

محمد بن محمد بن محمد

أبو المظفر الدوي ، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الفزالي ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يظهر مذهب الأشعري ، ويتكلم في الحنابلة مات في رمضان منها .

ناصر بن الجوني الصوفي

كان يمشي في طلب الحديث حافياً ، توفى ببغداد . قال أبو شامة : وفيها توفى .

نصر الله [بن عبدالله] أبو الفتوح

الاسكندري المعروف بابن فلقس الشاعر بعيناب ، توفى عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل المقرئ النحوي ، قال : وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقي الدين عمر .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين - وكان الرسول موفق خالد بن القيسراني - ليقم حساب الديار المصرية ، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرز على الديار المصرية خراجاً منها في كل عام . وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها ، وخرب أما كن كثيرة من معاملاتها ، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك . وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد زرع ^(١) ، فوصلوا إلى حمسكين فبرز إليهم نور الدين فهربوا منه إلى الغور ، ثم إلى السواد ، ثم إلى الشلالة ، فبعث سرية إلى طبرية فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين ، ورجع الفرنج خائبين . وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على مقلها وهو حصن يقال له إبريم ، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لا يفي خراجها بكافتها ، استخاف على الحصن المذكور رجلا من الأكراد يقال له إبراهيم ، فجعله مقدماً مقرراً بمحصن إبريم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالم وحسنت أحوالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادي والد صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات وسأني على ترجمته في الوفيات . وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود ابن قلعج أرسلان بن سليمان السلمجوقي ، وأصاح ما وجده فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا ، وعمل في كل منهما بالحسنى . قال العماد : وفيها وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسبج وحده ، فسر به نور الدين وأنزله بمحلب بمدرسة باب العراق ، ثم أتى به إلى دمشق فدرس بزواية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ، ثم نزل بمدرسة الحاروق ، ثم شرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية ، فأدركه الأجل قبل ذلك . قال أبو شامة : وهي العادلية الكبيرة التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية ، ومعه توقيع من الخليفة باقطاع درب هارون وصر يفين انور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي ، فأراد نور الدين أن يفتش ببغداد مدرسة على حافة الدجلة ، ويجعل هذين المكانين وقفاً عليها فمات القدر عن ذلك . وفيها وقعت بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه ، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

(١) كذا في الاصل . وفي ابن الأثير : قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

وفيهما هزم ملك الأرمن ملبح بن ليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئاً كثيراً، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثلاثين رأساً من رؤس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء. وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقش مملوك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية، فلكوا طائفة كثيرة منها، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها.

ومن توفي فيها من الأعيان **إيلدكز التركي الاتابكي**

صاحب أذربيجان وغيرها، كان مملوكاً للكمال السميرى، وزير السلطان محمود، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها، وكان عادلاً منصفاً شجاعاً محسناً إلى الرعية، توفي بهمدان.

الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي

ابن مروان، زاد بمضهم بعد مروان بن يعقوب، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادي أحد في نسبهم، وأغرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طفتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الاسلام، وقد ملك اليمن بعد أبيه فتعاطف في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام الهادي بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو في ذلك:

وأنا الهادي الخليفةُ والذي * أدوس رقابَ القلبِ بالضَّمِّ الجُرْدِ
ولا بدَّ من بغدادِ أطوى ربوعها * وأنشرها نشرَ الشمسِ على البردِ
وأنصبُ أعلامي على شرفاتها * وأحيي بهاما كأنَّ أسه جدى
ويخطبُ لى فيها على كل منبرٍ * وأظهرُ أمرَ الله في الغورِ والنجدِ

وما ادعاءه ليس بصحيح، ولا أصل له يعتمد عليه، ولا مستند يستند إليه، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمير نجم الدين شجاعاً، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة، فولاه قلمة تكريت، فحكم فيها فعدل، وكان من أكرم الناس، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهر وزشحنة العراق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساقى فأواه وخدمه خدمة بالغة تامة، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً، ثم ارتحل إلى بلده الموصل، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً نصرانياً قتلته، وقيل إنما قتلته أخوه أسد الدين شيركوه، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان، فإنه قال: رجعت جارية من بعض الخدم فدكرت له أنه تعرض لها اسفهلار الذي بباب القلمة، فخرج إليه أسد الدين فطمنه بجرية فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين وكتب إلى مجاهد الدين نهر وزبخبره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن أباً كما كانت

له على خدمة ، وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ، وإني أكره أن أسوء كما ، ولكن انتقلا منها . فأخرجهما نهر ووزن قلعتيه . وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال فتشامت به لفقدي بلدي ووطني ، فقال له بعض الناس : قد نرى ما أنت فيه من التثاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت ؟ فكان كما قال ، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي أبي نور الدين ، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده ، وارتفعت منزلتهما وعظما ، فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بملك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلم بملك أقام مدة طويلة ، وولد له فيها أكثر أولاده ، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية . ثم إنه في ذى الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائباً عنه ، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره ، وأرسل يتحرق ويتحزن ، وأنشد :

وتخطئه يدُ الردى في غيبي * هبني حضرتُ ، فكنتُ ماذا أصنع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام ، كريم النفس جواداً ممدحاً . قال ابن خلكان : وله خانقاه بالديار المصرية ، ومسجد وقناة خارج باب النصر من القاهرة ، وقفها في سنة ست وستين . قلت : وله بدمشق خانقاه أيضاً ، تعرف بالنجمية ، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه في الخزائن ، وكان من أكرم الناس ، وقد امتدحه الشعراء كالهماد وغيره ورتوه بمراث كثيرة ، وقد ذكر ذلك مستصحب الشيخ أبو شامة في الروضتين ، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الامارة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين ، فدفننا بتربة الوزير جمال الدين الموصلى ، الذي كان مواخياً لأسد الدين شيركوه ، وهو الجمال المتقدم ذكره ، الذي ليس بين تربته ومسجد النبي (ص) إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً ، فدفننا عنده . قال أبو شامة : وفي هذه السنة توفي ملك الرافضة والنحاة .

الحسن بن ضا في بن بزذن التركي

كان من أكبر أمراء بغداد المتحكمين في الدولة ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً متعصباً للرافض ، وكانوا في خفارتهم وجاههم ، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذى الحجة منها ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قریش فله الحمد والمنة . وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً ، وأظهروا الشكر لله ، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله ، ففضب الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك . وذكر ابن الساعي في تاريخه أنه كان في صفه شاباً حسناً مليحاً مشوقاً للأكابر من الناس . قال ولشيخنا أبي اليمن الكندي فيه ، وقد رمدت عينه :

بكل صباح لي وكل عشية * وقوف على أبوابكم وسلام
وقد قيل لي بشكوسقاما بعينه * فها نحن منها نشتكى ونضام
ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم : إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة أرتال ، ثم أعقب ذلك سبل عظيم ، وزيادة عظيمة في دجلة ، لم يهد مثلها أصلا ، فخرب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع ، حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج والابتهال إلى الله حتى فرج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه ، قال : وأما الموصل فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد وانهدم بالماء نحو من أثنى دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الردم خلق كثير ، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة ، فهلك بسببها شيء كثير من القرى ، وغلت الأسمار بالعراق في هذه السنة في الزروع والثمار ، ووقع الموت في الفم ، وأصيب كثير ممن أكل منها بالعراق وغيرها . قال ابن الساعي . وفي شوال منها توالى الأمطار بديار بكر والموصل أربعين يوما وليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستر بالغيوم ، فهدمت بيوت كثيرة ، ومساكن على أهلها ، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل ، ثم تناقص الماء باذن الله . قال ابن الجوزي : وفي رجب وصل ابن الشهر زورى من عند نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وحمارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب العتابي . وفيها عزل ابن الشامي عن تدريس النظامية ووليها أبو الخير القزويني . قال : وفي جمادى الآخرة اعتقل المجير الفقيه ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم ، فغضب له فاس وزكوه وأخرج ، وذكر أنه وعظ بالحدئية فاجتمع عنده قريبا من ثلاثين ألفا . قال ابن الساعي : وفيها سقط أحمد بن أمير المؤمنين المستضى من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم ، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى ، وانسلخ شيء من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له بجاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضا خلفه ، وقال : لا حاجة لي في الحياة بعده ، فسلم أيضا ، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر - وهو هذا الذي قد سقط - لم ينسها لنجاح هذا ، فحكاه في الدولة وأحسن إليه ، وقد كانا صغيرين لما سقطا . وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفي خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية ، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح في كل ما طلب ، ثم أتى دمشق مسرورا محبورا . وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين ، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلا يقال له عبد النبي بن مهدي ، وقد تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالامام ، وزعم أنه

سيملك الأرض كلها ، وقد كان أخوه علي بن مهدي قد تغلب قبله عليها ، وانزعها من أيدي أهل زبيد ، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا ، وكل منهما كان سيء السيرة والسريرة ، فعزم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعاً مهيباً بطلاً وكان ممن يجالس عمارة النجدي الشاعر ، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها ، فغداه ذلك على أن يخرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة فاعتمر بها ثم سار منها إلى زبيد ، فخرج إليه عبد النبي فقاتله فهزمه توران شاه ، وأسرره وأمر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة ، وذخائر جليلة ، ونهب الجيش زبيد ، ثم توجه إلى عدن فقاتله يأسر ملكها فهزمه وأسرره ، وأخذ البلد بيسير من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لمارتها وملكها ، ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة فأحبوه ، ثم تسلم بقية الحصون والمعقل والمخالف ، واستوسق له ملك اليمن بمخاض فبره وألقى إليه أفلاذ كبده ومطاميره ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء ، وقتل الدعى المسمى بعبد النبي ، وصفت اليمن من أكارها ، وعادت إلى ما سبق من مضارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له . وفيها خرج الموقف خالد بن القيسراني من الديار المصرية ، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الخواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم ، وقد كاد صلاح الدين لما جاءت الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالخالفه والاباء ، لكنه عاد إلى طباعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب ونحري الكتاب والجواب ، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والكتاب ، وبمث مع ابن القيسراني بهدية سنوية ونحف هائلة هنية ، فن ذلك خمس ختمات شريفات مغطات بخطوط مستويات ، ومائة عقد من الجواهر النفيسات ، خارجاً عن قطع البلخش والبيواقيت ، والفصوص والسياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف الذهبيات والفضيات ، والخيول المسومات ، والغلمان والجوارى الحسان والحسنات ، ومن الذهب عشرة صناديق مقلات مخنومات ، مما لا يدري كم فيها من مئين ألوف ومئات ، من الذهب المصرى الممد للنفقات . فلما فصلت العير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسماوات ، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه ، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

مقتل عمارة بن أبي الحسن

ابن زيدان الحكيم من قحطان ، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي ،

وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكماً فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من الفاطميين ، ووزيرا وأمرأه وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك ، ثم اتفق مجيئه فحرض عمارة اليميني شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضمف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج ، إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة ، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث ، ويداخل المتكلمين فيه ويصافهم ، وكان من أكبر الدعاة إليه والمحرضين عليه ، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين ، وذلك من قلة عقولهم وتمجيل دمارهم ، فخافهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الراءظ ، فانه أخبر السلطان بما تماؤوا وتماقدوا عليه ، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة ، وأفاض عليه حملاً جميلة ، ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً فقررهم فأقروا بذلك ، فاعتقلهم ثم استنقى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم ، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وغلمايتهم ، وأمر بنى من اتقى من جيش العبيدين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية العاضد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والنياب ، وكان عمارة معادياً للقاضي الفاضل ، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب الفاضل وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك ، فندم ندماً عظيماً . ولما ذهب به ليصلب مر بدار الفاضل فطلبه فتغيب عنه فأنشد :

عبدُ الرحيمِ قد احتجبَ * إن الخلاص هو العجبُ

قال ابن أبي طى : وكان الذين صلبوا الفضل بن السكامل القاضي ، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ، ويلقب بفخر الأمان ، فكان أول من صلب فيما قاله العماد ، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائع ، فن ذلك قوله في غلام رفاء

يارافيا خرق كل ثوبٍ * وما رفاعه اعتقادي
عسى بكف الوصال ترفو * ما مزق الهجر من فوادي

وابن عبد القوى داعي الدعاة ، وكان يعلم بدقائق القصر فعوقب ليدل عليها ، فامتنع من ذلك فأت واندرست . والعميرس وهو ناظر الديوان ، وتولى مع ذلك القضاء . وشبريا وهو كاتب السر . وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين ، ونجاح الحماني ومنجم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

وعمارة اليميني الشاعر

وكان عمارة شاعراً مطيقاً بليغاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه في هذا الشأن ، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي ، وله مصنف في الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع سيرة نفيسة التي كان يعتقدها عوام مصر ، وقد كان أديباً فاضلاً قصبياً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاته الفاطميين ، وله فيهم وفي وزراءهم وأمرائهم مدائح كثيرة جدا وأقل ما كان ينسب إلى الرفض ، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض ، وذكر العماد في الجريدة أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها :

العلم مذ كان محتاجاً إلى العلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وهي طويلة جدا ، فيها كفر وزندقة كثيرة . قال وفيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوة سيد الأمم
قال العماد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله ، وحرصوا السلطان على المثلة به وبمثله ، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه والله أعلم . وقد أورد ابن الساعي شيئا من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك :

إذا قابلت بشري جبينه * فارقت والبشر فوق جبينى
وإذا لثمت يمينه وخرجت من * بابه ثم الملوك يمينى
ومن ذلك قوله :

لى فى هوى الرشا العذرى إعدار * لم يبق لى مدا قسر الدمع إنكار
لى فى القدود وفى ثم الخدو * دروفى ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختيارى فوافق إن رضيت به * وإلا فدعنى لما أهوى وأختار
وما أنشد الكندى فى عمارة اليميني حين صلب :

عمارة فى الاسلام أبدى جنابة * وبأيع فيها بيعة وصليبا
وأسمى شريك الشرك فى بعض أحمد * وأصبح فى حب الصليب صليبا
سيلقى غدا ما كان يسمى لنفسه * ويسقى صديدا فى لظى وصليبا

قال الشيخ أبو شامة : فالأول صليب النصرارى ، والثانى بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوى ، والرابع ودك العظام . ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثانى من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة ، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزي والنكال ، قال العماد : فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين رحمه الله تعالى ،

وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجي ، كان قد افتتن به الناس ، وجعلوا له جزءاً من ألسابهم ، حتى النساء من أموالهن ، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص ، فقتل أسوة فيمن سلف ، ومما وجد من شعر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه .

أسفى على زمان الامام العاضد * أسف العقيم على فراق الواحد
لبنى على حجرات قصرك إذ خلت * يا ابن النبي من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عسا كرك التي * كانوا كأموج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن أصرهم فكبا * وقصر عن صلاح الفاسد
ففسى الليالى أن ترد إليكم * ما عودتكم من جميل عوائد

وله من جملة قصيدة :

يا عاذلى فى هوى ابناء فاطمة * لك الملامة إن قصرت فى عنلى
بالله زساحة القصرين وإبك معى * لاعلى صفتين [البكا] ولا الجلى
وقل لاهلهما والله ما التحمت * فىكم قروحى ولا جرحى بمندىل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل ابنى أمير المؤمنين على

وقد أورد له الشيخ أبو شامة فى الروضتين أشعاراً كثيرة من مدائحه فى الفاطميين ، وكذا ابن

ابن قسروى

خلكان .

صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضى عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلاهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة قاله ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم .

قصة الأنوار

فى وفاة الملك نور الدين محمود زنكى

وذكر شىء من سيرته العادلة

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسىم الدولة عماد الدين أبى سعيد زنكى الملقب بالشهد بن الملك آقسنقر الاتابك الملقب بقسىم الدولة التركى السلجوقى مولام ، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسة مئاة بحلب ، ونشأ فى كفاة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثرية الكبرية ، وتعلم القرآن

والفرسية والرمي ، وكان شهياً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح ، وحرمة وافرة وديانة بيّنة ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا ، صار الملك بجلب إلى ابنه نور الدين هذا ، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل ، ثم تقدم ، ثم افتتح دمشق في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ، ووسع لهم الطرق على المارة ، وبنى عليها الرصافات ووسع الأسواق ، ووضع المكوس بدار النعم والبطيخ والعرصد ، وغير ذلك ، وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ، ويحسن إليهم ، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة ، وأتباع الشرع المطهر ، ويعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه ، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب ، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق ، الذي بالكشك ، ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة ، حتى يساويهم ، وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً ، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالسكية ، وأظهر بيلاده السنة وأمامت البدعة ، وأمر بالتأذين بحى على الصلاة حتى على الفلاح ، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده ، وإنما كان يؤذن بحى على خير العمل لأن شعار الرضا كان ظاهراً بهاء وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج صراراً عديدة ، واستنقذ من أيديهم معازل كثيرة من الحصون المنيعة ، التي كانوا قد استحوذوا عليها من معازل المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة ، وأقطع العرب إقطاعات لثلاثين بئر ضوا للحجيج ، وبنى بدمشق مارستاناً لم يكن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً ، ووقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى الجوارين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير ، وعلى الأراذل والمجاويز ، وكان الجامع دائراً فولى نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصل ، الذي قدم به فؤاد قضاء قضاء دمشق ، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلوم الأوقاف التي لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شر وطهم فيها ، وجمعها قلماً واحداً ، وصمى مال المصلح ، ورتب عليه لذوى الحاجات والفقراء والمساكين والأراذل والأيتام وما أشبه ذلك . وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية ، متبعاً للأخبار النبوية ، محافظاً على الصلوات في الجماعات ، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج مقتصد في الانفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلا نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا ، ولم يسمع منه كلمة فحش قط ، في غضب ولا رضى ، صديقاً وقوراً . قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر نحرماً للعدل والانصاف منه ، وكانت له دكاكين بمصر قد اشتراها مما يخصه من المغنم ،

فكان يقتات منها ، وزاد امرأته من كراها على نفقتها عليها ، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئا ، ولومات جوعاً ، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر ، وتعليمها ذلك ، ونحن لا نترك الجهاد ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه ، وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظهورها والظل بين أيديهما لا يدركانها ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق نور الدين فرسه سوفاً غنيفاً وظله يتبعه ، فقال لصاحبه : أتدري ما شبهت هذا الذي نحن فيه ؟ شبهته بالدنيا تهرب من يطلبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل يمشى معك

أنت لا تدركه مستعجلاً * فاذا وليت عنه تبعك

وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشجاعة والخشوع لديه * ما أحسن الشجمان في الحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الاتابك معين الدين تكثر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبي ، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلاً ، وجراية كثيرة فألبس الله هاتيك المظالم وإن * بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا سقى ترى أودعوه رحمةً ملأت * مئوى قبورهم روحاً وربحانا

وذكر ابن الأثير أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومئ إلى نور الدين ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأته ، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك أتى الجوكان من يده ، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري ، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي ، حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت معه لتلايتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعى إليه ، فانما نحن معاشر الحكام أعلاناً وأذاناً شجنيكية لرسول الله ص ، ولشرعه

فنعن قائمون بين يديه طوع مراسيمه ، فأمر به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندي ، ومع هذا أشهدكم أني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له . قال ابن الأثير : وهو أول من ابتنى داراً للعدل ، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين ، وقيل أربع مرات ، وقيل خمس . ويحضر القاضى والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يجبهه يومئذ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوى والضعيف ، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، وينصف المظلوم من الظالم ، وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شادى كان قد عظم شأنه عند نور الدين ، حتى صار كأنه شريكه في المملكة ، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى ، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضى والأملاك العدل ، وكان القاضى كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه ، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة ، وإن كانت عظيمة ، فان زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم ، أو يوقفه مع خصم من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحدا يستمدى على أسد الدين ، سأل القاضى عن ذلك فأعلمه بصورة الحال ، فسجد نور الدين شكراً لله ، وقال الحمد لله الذى أصحابنا ينصفون من أنفسهم . وأما شجاعته فيقال : إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق وراها ويأخذها من الهوى بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم ير جوكانه يعلو على رأسه ، ولا يرى الجوكان في يده ، لأن الكم ساترها ، ولكنه استهانته بلعب الكرة ، وكان شجاعاً صبوراً في الحرب ، يضرب المثل به في ذلك ، وكان يقول : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فى خير ولى عند الله قيمة لرتقبها ، والأعمال بالنية . وقال له يوماً قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد ، وفسد حال المسلمين . فقال : له اسكت يا قطب الدين فان قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبل غير الذى لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضراً رحمه الله .

وقد أسر بنفسه فى بعض الغزوات بعض ملوك الافرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال ؟ وكان قد بذل له فى فداء نفسه مالا كثيراً ، فاختلفوا عليه ثم حسن فى رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما افتدى به نفسه ، فجاء به سريعاً فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك بيسلده ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، وبنى من ذلك المال المارستان الذى بدمشق ، وليس له فى البلاد نظير ، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين

وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس إنه لم تحمد منه النار منذ بنى إلى زماننا هذا فإله أعلم . وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات والأبراج ، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة ، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة ، وبنى الربط والخانات ، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايخ والصوفية ويكرمهم ويعظمهم ، وكان يحب الصالحين ، وقد قال بعض الأمراء مرة عنده من بعض الفقهاء ، وهو قطب الدين النيسابوري ، فقال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقا فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا ، على أني والله لا أصدقك ، وإن عدت ذكرته أو أحدا غيره عندي بسوء لاؤذيتك ، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك . وقد ابقي بدمشق داراً لاستماع الحديث وإسماعه . قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث ، وقد كان مهيباً وقوراً شديد الهيبة في قلوب الأمراء ، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه ، ولم يكن أحد من الأمراء يجاس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب ، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية نائب حلب ، وغيرهما من الأكارف كانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجاده في وقار وسكون ، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثراً يقول : هؤلاء جند الله وبتعاطفهم تنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيتهم ، فإذا رضوا منا بيهض حقهم فلهم المنة علينا . وقد سمع عليه جزء حديث وفيه « نخرج رسول الله (س) ، متقلداً السيف » فجعل يتمتع من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام ، وكيف يربط الاجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله (س) ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها ، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك الاقتداء برسول الله (س) ، فرحمه الله . وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسرائي الشاعر أنه رأى في منامه كأنه ينسل ثياب الملك نور الدين ، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد ، وقال له هذا تأويل رؤياك . وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والذئب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه ، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار ، وكان يقول في سجوده : اللهم ارحم المكاس المشار الظالم محمود الكاب ، وقيل إن برهان الدين البلخي أنكر على الملك نور الدين في استماتته في حروب الكفار بأموال المكوس ، وقال له مرة : كيف تنصرون وفي عساكركم

الخمر والطبول والزور؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألو ف من الناس - أنشد نور الدين أبياتا تتضمن ما هو متلبس به في ملكه ، وفيها تخويف وتحذير شديد له :-

مثل وقوفك أيها المغرور * يوم القيامة والساهة تمور
 إن قيل نور الدين رحمت مسلماً * فاحذر بأن تبقى ومالك نور
 أنهيت عن شرب الخمر وأنت في * كأس المظالم طائش مخور
 عطلت كاسات المدام تمفناً * وعليك كاسات الحرام تدور
 ماذا تقول إذا نقلت إلى البلي * فرداً وجاءك منكرٌ ونكير؟
 ماذا تقول إذا وقفت بموقف * فرداً ذليلاً والحساب عسير؟
 وتعلقت فيك الخوصوم وأنت في * يوم الحساب مسلسل مجرور
 وتفرقت عنك الجنود وأنت في * ضيق القبور موسد مقبور
 ووددت أنك ما وليت ولاية * يوماً ولا قال الأنام أمير
 وبقيت بعد العز رهن حفيرة * في عالم الموتى وأنت حقير
 وحشرت عريانا حزينا باكياً * قلقاً ومالك في الأنام مجير
 أرضيت أن تحيا وقلبك دارس * عاق الخراب وجسمك المعمور
 أرضيت أن يحظى سواك بقربه * أبداً وأنت معدب مهجور
 مهد لنفسك حجة تنجو بها * يوم المعاد ويوم تبدو العور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بشدة ، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد . وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل - وكان قد أمر الولاة والأمرء بها أن لا يفصلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به ، فما أمرهم به من شيء امتثلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفتقر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفتقر عليه جميع رمضان - فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له ؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشر زيادة في المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى

فن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ،
والعقول المظلمة لا تهتدى ، والله سبحانه يهديننا وإياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى
الشيخ عمر الملاجم الناس بالموصل قرأ عليهم الكتاب وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد
إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد ،

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سبه ورماه بأنه يرأى وأنه وأنه ، وجعل
يبالغ في الشكاية عليه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى يقول [وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما]
وقال [وأعرض عن الجاهلين] فسكت الشيخ ولم يجر جوابا . وقد كان نور الدين يعتقد ويعتقد
أخاه أبا البيان ، وأما زائرا مرات ، ووقف عليه وقفا . وقال الفقيه أبو الفتح الأشرى معيد النظامية
ببغداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين ، قال : وكان نور الدين محافظا على الصلوات في
أوقاتها في جماعة بتمام شروطها والقيام بها بأركانها والطمأنينة في ركوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة
بالليل ، كثير الابتهاج في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها . قال : وبلغنا عن جماعة
من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس لزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم
يقولون : إن القسيم ابن القسيم - يعنون نور الدين - له مع الله سر ، فانه لم يظفر وينصر علينا بكثرة
جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصالاة الليل ، فانه يصلى بالليل ويرفع يده إلى الله
ويدعو فانه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الفيضة التي تليه نصفه على
تطيب جامع دمشق ، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطيب المدرسة التي أنشأها
للحنفية ، والثمانية أجزاء الأخرى على تطيب المساجد التسعة ، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون
وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لبيد بالعسقلان ، ومسجد الرماحين المعلق ، ومسجد
العباس بالصالحية ، ومسجد دار البطح المعلق ، والمسجد الذي جده نور الدين جوار بيعة اليهود ،
لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشر جزء من النصف . ومناقبه ومآثره كثيرة جدا . وقد
ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراءها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضين كثيرا من محاسنه ، وذكر ما مدح به من
القصاصد ، وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثممات ، ثم تولى صلاح الدين هم بعزله عنها
واستنابة غيره فيها غير صرة ، ولكن يهوقه عن ذلك ويصده قتال الفرنج ، واقتراب أجله ، فلما كان
في هذه السنة - وهي سنة تسع وستين وخمسمائة - وهي آخر مدته ، أضر على الدخول إلى الديار المصرية
وصدم عليه ، وأرسل إلى دساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظا لها من الفرنج في غيبته

ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر، وقنخاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي، والقدر يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سباطاً حافلاً، وأمر بانتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزينت له البلد، وضربت البشارة للعيد والختان، ثم ركب في يوم الاثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم، فحصل له غيظ من بعض الأمراء - ولم يكن ذلك من سجيته - فنادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب، وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج، واشتغل بنفسه وأوجاعه، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه، واحتبس أسبوعاً عن الناس، والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح في الزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يجود بموجوده، سروراً بذلك، فانعكست تلك الافراح بالأتراح، ونسخ الجد ذلك المزاج، وحصلت للملك خوانيق في حلقة منمنته من النطق، وهذا شأن أوجاع الحلق، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل، وبالبادرة إلى المعالجة فلم يفعل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله، وصلى عليه بجامع القلعة بدمشق، ثم حول إلى تربته التي أنشأها للحنفية بين باب الخواصين، وباب الخميمين على الدرب، وقبره بها يزار، ويحلق بشبابة، ويطيب وينبرك به كل مار، فيقول قبر نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقة من الخوانيق، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم. وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردتها أبو شامة، وما أحسن ما قاله العماد:

عجبت من الموت لما أتى * إلى ملك في سجايا ملك
وكيف نوى الفلك المستد * يرفى الأرض وسط فلك

وقال حسان الشاعر الملقب بالمرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى.

ومدرسة ستدرسن كل شيء * وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقاً وغرباً * بنور الدين محمود بن زندي
يقول وقوله حق وصدق * بغير كناية وبغير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي * وهذي في المدارس بنت ملكي
صفة نور الدين رحمه الله تعالى

كان طويل القامة أصمر اللون حلو العينين واسع الجبين، حسن الصورة، تركى الشكل، ليس له لحية إلا في حنكه، مهيباً متواضعاً عليه جلاله ونور، يعظم الإسلام وقواعد الدين، ويعظم الشرع

فلما مات نور الدين في شوال من هذه السنة ببيع من بعده بالملك لولده الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم ، فاختلف الأمراء وحادث الآراء وظهرت الشرور ، وكثرت الخور ، وقد كانت لا توجد في زمنه ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئاً منها ، ولان الفواحش ، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تمحق موته - وكان محصوراً منه - نادى مناديه بالبلد بالمساحة باللعب واللهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادى دف وقده ومزمار الشيطان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئاً من المناكر والفواحش ، فلما مات مرع أمرهم وعاثوا في الأرض فساداً وتمحق قول الشاعر :

ألا فاستقى خراً وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سراً وقد أمكن الجهر

وطعمت الأعداء من كل جانب في المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالاً جزيلة مجملها لهم ، ولولا أنه خوفهم بقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه على عزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج ، فردوا إليه كتاباً فيه غلظة ، وكلام فيه بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليلكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جمه الملك نور الدين عينا عليه ، وحافظا له من تعاطى مالا يليق من الفواحش والخمر واللعب واللهو . فلما مات نور الدين ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يسكه فهرب منه سرا ، فلما تمحق غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم فقاته فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشي حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربيه هناك مكان ربي والده ، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم ، والقلعة إلى الطواشي جمال الدين ربحان . فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب ، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها

واحتاطوا على بنى الداية فشمس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذى كان رضيع نورالدين ، وإخوته الثلاثة ، وقد كان فشمس الدين على بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيريه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فخببوا ظنه وسجنوه وإخوته فى الحب ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الامراء [يلومهم] على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن حبسهم بنى الداية وهم من خيار الأمراء ورؤس الكبراء ، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذى هو أخطى عند نور الدين وعند الناس منهم . فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه ، وكل ذلك يزيد حقا عليهم ، ويحرضه على القدوم إليهم ، ولكنه فى الوقت فى شغل شاغل لما دمه ببلاد مصر من الأمر الهائل ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى أول السنة الآتية
ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير .

الحسن بن الحسن

ابن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلاء الهمداني الحافظ ، سمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار أوحده زمانه فى علمى الكتاب والسنة ، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة حسنة سخياً عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السميت ، له بيلاده المكانة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادى عشر من جماد الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزى : وقد بلغت أنه رأى فى المنام أنه فى مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى ، وهو مشغول بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال سألت الله أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا فأعطانى . وفيها توفى **الأهوازي**

خازن كتب مشهد أبى حنيفة ببغداد ، توفى فجأة فى ربيع الأول من هذه السنة .

محمود بن زكى بن آقسنقر

السلطان الملك العادل نور الدين ، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة ، كان مجاهدا فى الفرنج ، أسراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، محباً للعلماء والقراء والصالحين ، مبنغضاً للظلم ، صحيح الاعتقاد ، وثراً لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً فى زمانه ، وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدمناً لقيام الليل يصوم كثيراً ، ويمنع نفسه عن الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشئ رحمة الله وبل تراه بالرحمة والرضوان . قال ابن الجوزى : استرجع نورالدين محمود بن زكى رحمه الله تعالى من أيدي الكفار نيفا وخمسين مدينة ، وقد كان يكتاتبنى وأكاتبه ، قال : ولما

حضرتة الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده - يعنى الصالح إسماعيل - وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام فى المدة التى كان مائة فيها ، وذلك أنه كان قد أسره فى بعض غزواته وأسر معه جماعة من أهل دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية ومثلها برانس ، أى لبوس ، وقنطوريات وخمسمائة أسير من المسلمين ، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبعة سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مائة من أولاده وأولاد أكابر الفرنج وبطارقتهم ، فان نكث أراق دماءهم ، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله ، فوافته المنية فى شوال من هذه السنة ، والأعمال بالنيات ، فحصل له أجر ما نوى ، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهرًا ، وقد تقدم ذلك . وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزى ومعناه .

الحضرة بن نصر

على بن نصر الأربلى القتيبة الشافعى ، أول من درس بأربل فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وكان فاضلاً ديناً ، انتفع به الناس ، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسى وغيره ببغداد ، وقدم دمشق فأرخه ابن عساكر فى هذه السنة ، وترجمه ابن خلكان فى الوفيات ، وقال قبره بزار ، وقد زرتة غير مرة ، ورأيت الناس يفتابون قبره ويتبركون به ، وهذا الذى قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله من يعظم القبور . وفيها هلك ملك الفرنج مرمى لعنه الله ، وأظنه ملك عسقلان ونحوها من البلاد ، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين .

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

استهلكت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج ، ولكن دهمه أمر شغله عنه ، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصرى فى أسطول لم يسمع بمثله ، وكثيرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة ، من جملة ذلك مائتى شيفى فى كل منها مائة وخمسون مقاتلاً ، وأربعمائة قطعة أخرى ، وكان قدمهم من صقلية إلى ظاهر اسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلهم دونها قتلاً شديداً أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجنيق والدبابات ففعلوا ذلك ، فأضمت ذلك قلوب الفرنج ، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا ، فانهزم الفرنج فى كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى خيولهم وخيامهم ، وبالجمل قتلوا خلقاً من الرجال وركب من بقى منهم فى أسطول إلى بلادهم خائبين .

وما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أن رجلاً يعرف بالكتر سماه بعضهم عباس بن شادى

وكان من مقدمى الديار المصرية والدولة الفاطمية ، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاى من الحاضرة والغربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، ثم قصدوا قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله .

قصة الملك

فلما نهدت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية قاصدا البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكى وأخيف سكانها وتضعفت أركانها ، واختلف حكمها ، وفسد نقضها وإبرامها ، وقصده جمع شملها والاحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الاسلام ودفع الطغام وإظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصليبان فى رضى الرحمن ، وإرغام الشيطان . فنزل البركة فى مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستتاب على مصر أخاه أبا بكر ، ثم سار إلى بلبس فى الثالث عشر من ربيع الأول ، فدخل مدينة دمشق فى يوم الاثنين سلخ ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا اختلف عليه سيفان ، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا فأغظ له فى الكتاب ، فلما رأى أمره متوجها جعل يكتبه ويستحثه على القدوم إلى دمشق ، ويده بتسليم البلد ، فلما رأى الجدل لم يمكنه المحالفة ، فسلم البلد إليه بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولا فى دار والده دار المعقلى التى بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة ، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الاحسان ، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشى ريجان ، فكاتبه وأجزل نواله حتى سلمها إليه ، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين ، لما لنور الدين عليهم من الاحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية ، ثم إن السلطان عامل الناس بالاحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والله عاقبة الأمور .

قصة الملك

فلما استقرت له دمشق بمحذا فيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخبيط والتخليط ، واستتاب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الاسلام ، فلما اجتاز حصن أخذ ربضها

ولم يشتغل بقلمها ، ثم سار إلى حماه فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل ، وسأله أن يكون
سفيره بينه وبين الجلبيين ، فأجابه إلى ذلك ، فسار إليهم فحذروهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه ،
بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على
ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردوا عليه أسوأ جواب ، فأرسل إليهم يذكروهم أيامه
وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين ، ثم سار إلى
حلب فتنزل على جبل جوشن ، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق ، فاجتمعوا
فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين ،
وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد ، وشرط عليه
الروافض منهم أن يعاد الأذان بحى على خير العمل ، وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في
الجامع الجانب الشرقي ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز ، وأن يكبروا على
الجنائز خمسا ، وأن تكون عقود أنكحهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المسكارم حمزة بن زاهر
الحسيني ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد بحى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن
مقاومة الناصر ، وأعملوا في كيدته كل خاطر ، فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفرا من
أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن
آخرهم ، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو
رحل عنهم الناصر ، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم
افدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وكان لا ينساها لنور الدين ، بل قصد لحص
ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأمروا
وغنموا ، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعا إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا
منه ، فلما فصل الناصر إلى حص لم يكن قد أخذ قلمتها فتصدى لأخذها ، فنصب عليها المنجنيقات
فأخذها قسرا وملكها قهرا ، ثم كر راجعا إلى حلب ، فأناه الله في هذه الكرة ما طلب ، فلما نزل بها
كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا ، على يدي الخطيب
شمس الدين يقول فيه : « فاذا قضى التسليم حق اللقا فاستدعى الاخلاص جهد الدعا ، فليعد وليعد
حوادث ما كان حديثا يفترى ، وحوارى أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى ، ويشرح
صدر منها لعله يشرح منها صدرا ، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يعبد سرا .
ومن العجائب أن تسير غرائب • في الأرض لم يعلم بها المأمول
كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى • والماء فوق ظهورها محمول

فأنا كنا نقبس النار بأكفنا ، وغيرنا يسقير ، ونستببط الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، ونلتقي السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، والأبدان تسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي يرد به المغصوب ونظير طاعتنا فتأخذ بحظ كما أخذ بحظ القلوب ، وكان أول أمرنا أنا كنا في الشام ففتح الفتح بمباشرتنا أنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بمساكرنا ، نحن والدنا وعمنا ، فأى مدينة فتحت أو أوى معقل للعدو أو عسكر أو مصاف للإسلام معه ضرب ؟ فما يجبل أحد صنعنا ، ولا يجحد عدونا أن يصطلي الحجره وتملك الكرة ، وتقدم الجماعة وترتب المقاتلة ، وندير التعمية ، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجزها ، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها « ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البدع ، وما بسط من العدل ونشر من الفضل ، وما أقامه من الخطب العباسية ببلاد مصر والين والنوبة وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساؤا الجواب ، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود أخى نور الدين محمود بن زنكى ، فبعث إليهم أخاه عز الدين فى عساكره ، وأقبل إليهم فى دساكره ، وانضاف إليهم الحلبيون وقصروا حماه فى غيبة الناصر واشتغاله بقلعة حمص وعمارتها ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم فى قل من الجيش ، فأنهى إليهم وهم فى جحافل كثيرة ، فواقفوه وطعموا فيه لقله من معه ، وهموا بمناجزته فجعل يداريهم ويدعوهم إلى المصالحة لعل الجيش يلحقونه ، حتى قال لهم فى جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كشتكين ، إلا أن يجعل لهم الرجبة التى هى بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين ، فقال ليس لى ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح وأقسموا على القتال ، فجعل جيشه كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قرون حماه ، وصبر صبراً عظيماً ، وجاء فى أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه فى طائفة من الجيش ، وقد ترجح دسته عليهم ، وخلص رعبه إليهم ، فولوا هنالك هارين ، وتولوا منهزمين ، فأسر من أسر من رؤسهم ، ونادى أن لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ثم أطلق من وقع فى أسره وسار على الفور إلى حلب ، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأس كان يطلب منهم المصالحة والمسألة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع ، على أن المعرة وكفر طاب وما ردين له زيادة على ما بيده من أراضي حماه وحمص ، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا يفتروا بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده ، وشفع فى بنى الداية أخوه محمد الدين ، على أن يخرجوا ، ففعل ذلك ثم رجع مؤيداً منصوراً .

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستنصر بأمر الله بالخلع السنية والتشريفات العباسية

والأعلام السود ، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأعوانه ، وكان يوما مشهودا . واستناب على حماد ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود ، ثم سار إلى حصص فأطلقها إلى ابن عمه ناصر الدين ، كما كانت من قبله لأبيه شريكه أسد الدين ، ثم بعلبك على البقاع إلى دمشق في ذى القعدة .

وفيها ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق وكان مغربياً فادعى النبوة ، وأظهر شيئا من الحاريق والمحاييل والشعبذة والأبواب النارجية ، فافتن به طوائف من الهمج والموام ، فطلبه السلطان فهرب إلى معاملة حلب ، فالف عليه كل مقطوع الذنب ، وأضل خلقا من الفلاحين ، وتزوج امرأة أحبها ، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة ، فأشبهها قصة مسيلة وسجاح . وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره . وفيها درس أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنبلة فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الداغاني والفقهاء والكبراء ، وكان يوما مشهودا ، وخلمت عليه خلعة سنية . وفيها توفي من الأعيان :

روح بن أحمد

أبو طالب الحدثنى قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان ، وكان ابنه في أرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام ، وكان ينبذ بالرفض .

شملة التركاني

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا وتغلب على السلجوقية ، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة ، ثم حاربه بعض التركان فقتلوه .

قيماز بن عبد الله

قطب الدين المستنجدى ، وزير للخليفة المستضيء ، وكان مقدماً على المساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قيماز ، فنهبت ، وكان ذلك بافتاء الفقهاء ، فهرب فهلك هو ومن معه في المهامه والقفار .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، لأن الشام كان مجدياً ، وأرسل جيشه صحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ليستغلوا المغل ثم يقبلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن القاضي ، ولم يكن أحد أعز عليه منه :

وما عن رضى كانت سليبي بديلة * ولكنها للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش صحبة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير ، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفاً عليه مما هنالك ، فلما أرسل الجيوش إلى مصر وبقى هو في طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الناصر من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته ، وهو عماد الدين زنكي بسنجار ، وليست هذه بفعلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبي طاعة الملك الناصر ، فاصطلم مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصره ، ثم عرض الحلبيين على نقض العهود ونبذها إليه ، فأرسلوا إليه باليهود التي عاهدوه عليها ودعوه إليها ، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه ، فأقبل صاحب الموصل بمساكره وديساكره ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول المضرة الجرد الأبايل ، وسار نحوهم الناصر وهو كاهن بر الكاسر ، وإنما معه ألف فارس من الجمأة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله ، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين في جحافل كالجبال ، فاجتمع الفريقان وتداعوا إلى التزال ، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فانتلوا قتالاً شديداً ، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة ، وكانت بأذن الله الهزيمة ، قتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة ، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله ، وأسروا جماعة من رؤسهم فأطلقهم الناصر بعد ما أفاض الخلع على أبدانهم ورؤسهم ، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال ، وهذا ليس من أفعال الأبطال ، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي سبنا من الأقفاس التي فيها الطيور المطربة ، وذلك في مجلس شرابه المسكر ، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر ، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه ، وقال للرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه : اشتغالك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه غيباً وحضوراً ، وأنعم بخيمة سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين ، ورد ما كان في وطاقه من الجوارى والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية ، ورد آلات اللهو واللعب إلى حلب ، وقال قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود ، ووجد عسكر المواصلة كالخانة من كثرة الخمر والبرابط والملاهي ، وهذه سبيل كل فاسق ساء لاهي .

فصل في

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب ، وندموا على ما تقضوا من الإيمان ، وشقهم العسا على السلطان ، حصنوا البلد ، خوفاً من الأسد ، وأسرع صاحب الموصل فوصلها ، وما صدق حتى

دخلها ، فلما فرغ الناصر مما غنم أسرع المسير إلى حلب وهو في غاية القوة ، فوجدهم قد حصنوها ، فقال المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد ، ثم نمود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد ، فشرع يفتحها حصنا حصنا ، وبهدم أركان دولتهم ركنا ركنا ، ففتح مراغة ومنبج ثم سار إلى إعرزاز فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان ، فدخل جماعة منهم في جيشه في زى الجند فقاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد منهم فصر به بسكين على رأسه فإذا هو محترس منهم باللامّة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحا هينا ، ثم أخذ الفداوى رأس السلطان فوضعه إلى الأرض ليذبجه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم تاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوى فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم عليه آخر في الساعة الزاهنة فقتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضاً ، ثم هرب الرابع فأدرك قتل ، وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاہ بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب . لما أرسلوا إليه من الفداوية وإقدامهم على ذلك منه ، فجاء فنزّل نجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية ، وذلك في خامس عشر ذى الحجة ، وجبى الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه أحد ، واستمر محاصراً لها حتى انسلخت السنة .

وفي ذى الحجة من هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه شوقا إليه ، وقد حصل أموالا جزيلة ، وفرح به السلطان ، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي : أنا يوسف وهذا أخي ، وقد استناب على بلاد اليمن من ذوى قرابته ، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها ، وقيل إن قدمه كان قبل وقعة الموصل ، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر ، لشجاعته وفروسيته . وفيها أفند تقي الدين عمر بن أخي الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد المغرب ففتح بلاداً كثيرة ، وغنم أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى مصر . وفيها قدم إلى دمشق أبو الفتح الواعظ عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي الدمشقي الأصل ، البغدادي المنشأ ، ذكره العماد في الجريدة . قال : وكان صاحباً ، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين ، وأورد له مقطعات أشعار ، فن ذلك ما كان يقول :

يا مالكا مهجتي يا منتهى أملى * يا حاضرأ شاهداً في القلب والفكر
 خلقتني من ترابٍ أنت خالقه * حتى إذا صرتَ تمثالاً من الصور
 أجريت في قالبٍ روحاً منورة * تمر فيه كجزي الماء في الشجر
 جمعتني من صفا روح منورة * وهبكل صغته من معدن كدر

إن غبتُ فيك فيأخري ويأشرفي * وإن حضرتُ فيأسمى ويابصرى
 أو احتجبتُ فسرى فيك في وله * وإن خطرتُ فقلبي منك في خطر
 تبدو فتسبحو رسومي ثم تثبتها * وإن تغيبتُ عنى عشتُ بالآثر
 وفيها توفي من الأعيان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر .

علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر أبو القاسم الدمشقي ، أحد أ كبار حفاظ الحديث ومن عنى به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً
 وإطلاعا وحفظاً لأسانيده ومتونته ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه ، صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة ،
 فهي باقية بعده مجلدة ، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين ،
 فجاز فيه قصب السبق ، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، في
 التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشمايخ ، هذا مع ماله في علوم الحديث من الكتب المفيدة ، وما
 هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة ، فله أطراف الكتب الستة ، والشيوخ النبل ، وتبيين
 كذب المفترى على أبي الحسن الأشعري ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار ، والأجزاء
 والأسفار ، وقد أ كثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصار ،
 وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً ، ومقابلة وتصحيح الألفاظ ، وكان
 من أ كابر سروات الدماشقة ، ورياسته فيهم عالية باسقة ، من ذوى الأقدار والهيئات ، والأموال
 الجزيلة ، والصلاة والعبادة ، كانت وفاته في الحادى عشر من رجب ، وله من العمر ثنتان وسبعون
 سنة ، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى . وكان الذى صلى
 عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى . قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها :

أيا نفسٍ ويحكِ جاءَ المشيبُ * فإذا التصابى وما ذا الغزلُ ؟
 تولى شبابى كأنَّ لم يكنِ * وجاءَ المشيبُ كأنَّ لم يزلُ
 كأنى بنفسى على غرةٍ * وخطبُ المنونِ بها قد نزلُ
 فيالت شعرى ممن أكونُ * وما قدرَ اللهُ لى فى الأزلُ

قال : وقد التزم فيها بما لم يلزم وهو الزاى مع اللام . قال : وكان أخوه صائغ الدين هبة الله
 ابن الحسن محدثاً قفيها ، اشتغل ببغداد على أسعد المهنى ، ثم قدم دمشق فدرس بالفرزالية ،
 وتوفى بها عن ثلاث وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب ، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصلحهم فصالحهم على أن

تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط ، فكتبوا بذلك الكتاب ، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة اعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال ، وأتجمع في حصول النوال ، فحين رآها السلطان قام قائماً ، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً ، ثم ترحل عن حلب بقصد الفداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصبات فقتل وسبي وحرق وأخذ بقارم وخرم ديارم ، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تقي صاحب حماه ، لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته ، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن الملك مقدم ، الذي كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاؤا في البقاع في غيبته ، فجدد ذلك له الغزوي الفرنج ، فصالح الفداوية الاسماعيلية أصحاب سنان ، ثم كر راجعاً إلى دمشق فتلقيه أخوه شمس الدولة . توران شاه ، فلقبه الملك المعظم ، وعزم الناصر على دخول مصر ، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرزوي قد توفى في السادس من المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وعماراة الأسوار والنظر في المصالح العامة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري ، مع أنه كان يجد عليه ، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق ، وكان يما كسه ويخالفه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها ، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل ، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء فاستعفى فأعفى ، وترك له وكالة بيت المال ، وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنوب القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين ، ففعل ذلك ، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين ، بسبب ضعف بصره .

وفي صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية ، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية ، وما يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري مدرستها . وفي هذا الشهر تزوج السلطان الملك الناصر بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر ، وكانت زوجة نور الدين محمود ، وكانت مقيمة بالقلعة ، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أنر ، وحضر القاضي ابن عصرون المقدم ومن معه من المدول ، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فتزل مرج الصفر ، ثم سافر فمشاققياً من الصفيين ، ثم سار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وتلقاه

أخوه وثأبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم ، ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها ، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان ، وذكر الأهرام وشبههما بأنواع من التشبيهات ، وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين .

وفي شعبان منهاركب الناصر إلى الاسكندرية فأسمع ولديه الفاضل علي والعزيم عثمان على الحفاظ السلفي ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وعزم الناصر على تمام الصيام بها ، وقد كمل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم الاقطاعات الجزيلة على ذلك ، وأرصد للاسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شتونه ، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكل صومه .

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي ، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسا وناظرها . وفيها أمر ببناء المدارس بالقاهرة ووقف عليه وقوبا كثيرة . وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قيباز نائب قلعة الموصل جامعا حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسة رحمه الله . وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرنا ، وكان ديننا خيرا فاضلا حنفي المذهب ، يذاكر في الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل . وفيها أمر الخليفة باخراج المجدومين من بغداد لناحية منها ليميزوا عن أهل العافية ، نسأل الله العافية . وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امرأة قالت : كنت أمشي في الطريق وكأن رجلا يعارضني كلما مررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود ، فتزوجني عند الحاكم ، فمكثت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فداويه لذلك ، فلما كان بعد مدة ولد ولدا كما تلد النساء ، وإذا هو خنثى مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء .

وفيها توفي من الأعيان علي بن عساكر

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقرئ اللغوي ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد ، توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين

محمد بن عبد الله

ابن القاسم أبو الفضل ، قاضي القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزوري ، الموصل ، وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بنصيبين ، وكان فاضلا دينيا أمينا ثقة ، ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي ، واستوزره أيضا فيما حكاه ابن الساعي . قال وكان يبعثه في الرسائل ، كتب

مرة على قصة إلى الخليفة المقتنى : محمد بن عبد الله الرسول ، فكتب الخليفة تحت ذلك : (س) .
قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار ، وعمر له المدارس والمدارس
وغير ذلك وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة بدمشق .

الخطيب شمس الدين

ابن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية ، وابن وزيرها ، كان أول من خطب بديار مصر
للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي ، بأمر الملك صلاح الدين ، ثم حظى عنده حتى جعله سفيرا بينه
وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدحاً ، يقرأ عليه الشعراء والادباء . ثم جعل الناصر
مكانه الشهر زورى المتقدم بمرسوم السلطان ، وصارت وظيفة مقررة .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسائة

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر ، فعمر قلعة للملك لم
يكن في الديار المصرية مثلها ولا على شكلها ، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك
تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين ، وفي جمادى الأولى
منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصداً غزو الفرنج ، فانهى إلى بلاد الرملة فسبي
وغنم ، ثم تشاغل جيشه بالفنائم وتفرقوا في القرى والحال ، وبقى هو في طائفة من الجيش منفرداً
فهجمت عليه الفرنج في جهنم من المقاتلة فما سلم إلا بعد جهد جهيد ، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا
عليه بعد أيام ، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك ، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه
وصار الأمر كما قيل * رضيت من الغنيمة بالاياب * ومع هذا دقت البشار في البلدان فرحاً
بسلامة السلطان ، ولم تجر هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حطين ، وقد ثبت السلطان في
هذه الوقعة ثباتاً عظيماً ، وأسر الملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان ولده شاهنشاه ، فبقى
عندهم سبع سنين ، وقتل ابنه الآخر ، وكان شاباً قد طر شاربه ، فخن على المقتول والمفقود ، وصبر
تأسيماً بأيوب ، وناح كما ناح داود ، وأسر الفقيهان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهير الدين فافتداهما
السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها نجبت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم
كشكتكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك فملقه منكوساً ودخن تحت أنفه حتى
مات من ساعته . وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج بروم أخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه
ببيلدانهم . قال العماد الكاتب : ومن شرط هدنة الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم
دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت ، فقص

هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض ، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم ، فكادوا يأخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرا ما طلبوه منه وتوفى صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر ، وتوفى قبله ولده تنش بثلاثة أيام ، ولما سمع الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصداً بلاد الشام ، فدخل دمشق في رابع عشر شوال ، وصحبته العماد الكاتب ، وتأخر القاضي الفاضل بمصر لأجل الحج .

وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود وهو أبو سليمان داود ، وبه كمل له اثني عشر ذكراً ، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور ، فانه توفى عن سبعة عشر ذكراً وابنة صغيرة اسمها مؤنسة ، التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامّة ببغداد ، بسبب أن مؤذناً أذن عند كنيسة فنال منه بعض اليهود بكلام أغاظ له فيه ، فشتمه المسلم فاقنتلا ، فجاء المؤذن يشتكى منه إلى الديوان ، فتفاقم الحال ، وكثرت العوام ، وأكثروا الضجيج ، فلما حان وقت الجمعة منعت العامة الخطباء في بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم قهبوا سوق المطارين الذي فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود قهبوا ، ولم يتمكن الشرط من ردهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة ، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكن الناس . وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصداً الحج ، وخرج الناس في خدمته ليودعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة قراء رمعهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتنته وضر به بالسكين ضربات ، وهجم الثاني وكذلك الثالث عليه فهبروه وجرحوا جماعة حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه ، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمها ، فسلب الله عليه من قتله ، وكما تدين تمدان ، جزاء وفاقا .

ومن توفى فيها من الأعيان صدقة بن الحسين

أبو الفرج الحداد ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وأفتى ، وقال الشعر وقال في الكلام ، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني ، وفيه غرائب ومجائب . قال ابن السامى : كان شيخاً عالماً فاضلاً وكان فقيراً يأكل من أجره النسخ ، وكان يأوى إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه ، وكان يمتب

على الزمان وبنيه ، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم يذكره ويرميه بالعظام ، وأورد له من أشعاره ما فيه
مشابهة لابن الراوندي في الزندقة فأنه أعلم . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وسبعين
سنة ، ودفن بباب حرب ، ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

محمد بن أسعد بن محمد

أبو منصور العطار ، المعروف بمحفدة ، سمع الكثير وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وقدم بغداد فقات بها
محمود بن تديش شهاب الدين الحارمي

خال السلطان صلاح الدين ، كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، أقطعه ابن أخته حماد ، وقد
حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماد وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردوم خائبين .

فاطمة بنت نصر العطار

كانت من سادات النساء ، وهي من سلالة أخت صاحب الخزن ، كانت من العابدات المتورعات
الحدرات ، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ، وقد أنقذ عليها الخليفة وغيره والله أعلم .
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام يهنيه بسلامة أولاده
الملك الاثني عشر ، يقول : ومحمد الله بهجة الحياة وزينتها ، وربحانة القلوب والأرواح وزهرتها ،
إن فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طرفاً نام عن البعد عنهم لهاجع ،
وإن ملكاً ملك صبره عنهم لحازم ، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم ، أما يشناق جيد
المولى أن تطوق بدرهم ؟ أما تظلم عينه أن تروى بنظرم ؟ أما يحزن قلبه للقيهم ؟ أما يلتقط هذا
الطائر بفيتيلهم ؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق يُحْمَلُ بَعْضُهُ * ولكنّ قلبي في الهوى يتقلّبُ

وفيها أسقط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج
الغرب شيء كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس فر بما فاته الوقوف برفة ، وعوض أمير مكة بمال أقطعه
إياه بمصر ، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردب إلى مكة ، ليكون عوناً له ولأتباعه ،
ورققاً بالمجاورين ، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحمل إليهم رحمة الله . وفيها عصى الأمير شمس
الدين بن مقدم بملكك ، ولم يجيء إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على حصص ، وذلك أنه بلغه أن
أخا السلطان توران شاه طلب بملكك منه فأطلقها له ، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء
السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال ، ثم عوض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان
بيده ، فخرج منها وتسلمها وسلها توران شاه . قال ابن الأثير : وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب

قلة المطر ، عم العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر ورخصت الأسمار ثم عقب ذلك وباء شديد ، وعم البلاد مرض آخر وهو السرسام ، فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين ، فمات بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله . وفي رمضان منها وصلت خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق ، وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين ، وخلع على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا في نواحي دمشق ، فتهبوا ما حولها ، وأمره أن يدار بهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه ، فلما رأوه عاجلوه بالقتال فكسروهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفرى ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم ، لا ينهه اللقاء ، فكبته الله في هذه الغزوة ، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقتة الرؤس على الرماح ، والغنائم والأسارى . وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحران للداوية فجعلوها مرصد الحرب المسلمين ، وقطع طريقهم ، ونقضت ملوكهم اليهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين ، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين على بن أحمد المشطوب بنواحي البقاع وغيرها ، وشغل حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفاً وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذى بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابذل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن نغره ، فأخذ بقوله في ذلك وخر به في السنة الآتية كما سئذ كره .

وفيها أمر الخليفة المستضىء بكتابة لوح على قبر الامام أحمد بن حنبل ، فيه آية الكرسي ، وبعدها هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالى الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد ، وذكروا تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها احتيط ببغداد على شاعر ينشد للرافض أشعاراً في ثلب الصحابة وسبهم ، وتهجين من يحبهم ، فعقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فاذا هورافضى خبيث داعية إليه ، فألقى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته العامة فما زالوا يرمونه بالآجر حتى ألقي نفسه في دجلة فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطاً وربطوه في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميع الأسواق ، ثم ألغوه في بعض الاتونة مع الآجر والكاس ، وعجز الشرط عن تخليصه منهم

وفيهما توفى من الأعيان أسعد بن بلدرك الجبيلي

سمع الحديث وكان شيخاً ظريف المذاكرة جيد المبادرة ، توفى عن مائة سنة وأربع سنين .

الحيص بيص

أسعد بن محمد بن سعد [الملقب] شهاب الدين ، أبو الفوارس المعروف بجيحص بيص ، له ديوان شعر مشهور ، توفى يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة ، وله ثنتان وثمانون سنة ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب التبن ، ولم يعقب ، ولم يكن له في المراسلات بديل ، كان يتقعر فيها ويتفاحح جدا ، فلا تواتيه إلا وهي معجزة ، وكان يزعم أنه من بني تميم ، فسئل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته إلا منه ، فقال بعض الشعراء بهجوه فيما ادعاه من ذلك :

كم تبادى وكم تطيلُ طرطو * رك وما فيك شعرة من تميم
فكل الضب وأقرط الحنظل اليا * يس واشرب ان شئت بول الظليم
فليس ذا وجه من يضيف ولاية * رى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شعر الحيص بيص الجيد :

سلامة المرء ساعة عجب * وكل شيء لحفته سبب
يفر والحادثات تطلبه * يفر منها ونحوها الهرب
وكيف يبقى على قلبه * مسلماً من حياته العطب

ومن شعره أيضاً :

لا تلبس الدهر على غرة * فاموت الحى من بد
ولا يخادعك طول البقا * فتحسب التطويل من خلد
يقرب ما كان آخرآ * ما أقرب المهد من اللحد

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى فى عقده :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكمة * إذا اخضر منها جانب جف جانب
وما الدهر والآمال إلا فجائع * عليها وما اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عينك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وقد ذكر أبو سعد السمعاني جيحص بيص هذا فى ذيله وأثنى عليه ، وسمع عليه ديوانه ورسائله ، وأثنى على رسائله القاضى ابن خلكان ، وقال : كان فيه تيه وتماظم ، ولا يتكلم إلا معرباً ، وكان فقيهاً شافعى المذهب ، واشتغل بالخلاف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ، واختلاف لغاتهم . قال : وإنما قيل له الحيص بيص ، لأنه رأى الناس فى حركة

واختلاط ، فقال : ما للناس في حيص بيص ، أي في شر وهرج ، فغلب عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أكرم بن صيفي طبيب العرب ، ولم يترك عقبا . كانت له حوالة بالحللة فذهب بتقاضاها فتوفي ببغداد في هذه السنة .

محمد بن نسيم

أبو عبد الله الخياط ، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عبسون ، سمع الحديث وقارب الثمانين ، سقط من درجة فوات . قال : أنشدني مولى الدين يعني ابن علام الحكيم بن عبسون .

للقارىء المحزون أجدر بالتقى * من راهب في ديره متقوس
ومراقب الأفلاك كانت نفسه * بعبادة الرحمن أحرى الأتقى
والماسح الأرضين وهي فسيحة * أولى بمسح في أكناف اللبس
أولى بخشية ربه من جاهل * بمنك ومربع ومخمس

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلكت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر نازل بمجيشه على تل القاضي بياناس ، ثم قصده الفرنج بجمعهم فقبض إليهم فما هو إلا أن التقى الفريقان واصطدم الجندان ، فأنزله الله نصره وأعز جنده ، فولت ألوية الصليبان ذاهبة وخيل الله لركابهم راكبة ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسروا من ملوكهم جماعة ، وأتابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الداوية ومقدم الابساتارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان ياقا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثيرين تقريباً من ثلاثمائة أسير من أشرفهم ، فصاروا يهانون في القيود . قال العماد : فاستمرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وكان جالساً ليلتشد في نحو العشرين والفرنج كثير ، فسلمه الله منهم ، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقوا بقلمتها ، فافتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك ، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، ومنهم من مات في السجن ، واتفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون ، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر وأخرى معها ففتنوا منها ألف رأس من النسبي ، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً ، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحاً وسروراً ، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتغلاً بما هو أعظم منها ، وذلك أن ملك الروم فرارسلان بعث يطلب حصن رعان ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن ولده قد عصى ، فلم يجبه إلى ذلك السلطان ، فبعث صاحب الروم

عشرين ألف مقاتل يحاصرونه ، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب ، فالتقوا معهم فهزموهم باذن الله ، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعانان ، وقد كان مما عرض به ابن مقدم عن بعلبك ، وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الواقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً ، وقيل ثلاثين ألفاً بثمانمائة ، وكان السبب في ذلك أنه بيّتهم وأغار عليهم ، فللبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم ، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم .

ذكر تخريب حصن الأحزان

وهو قريب من صفد . ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً وجعلوه لهم عيناً ، وسلوه إلى الداوية ، فقصدته السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران وخربه إلى الأساس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكول شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً ، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم ، وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم :

بجـدك أعطاف الغنا قد تعطفت * و طرف الأعدى دون مجدك ي طرف
شهاب هدى في ظلمة الليل ناقب * وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن الحاض وإنه * لموقف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه * رجال كآساد الثرى وهى ترجف
وجرد سلهوب ودرع مضاعف * وأبيض هندی ولدن مهفف
ومارجمت أعلامك البيض ساعة * إلا غدت أكبادها السود ترجف
كنائس أغيا د صليب وبيعة * وشاد به دين حنيف ومصحف
صليب وعباد الصليب ومنزل * لنوال قد غادرتة وهو نصف
أنسكن أوطان النبيين عصة * تمين لدى أيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقال آخر :

هلاك الفرنج أنى عاجلاً * وقد آن تكسیر صلبانها
ولولم يكن قد دنا حتفها * لما عرث بيت أحزانها

من كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن . وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع ، إلى ما فوقها ومادونها ، ووعدها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيما بين الحائطين حشون من الحجارة الضخمة الصم ، أتواها من رؤس الجبال الشم ، وقد جعلت شعبيته بالكس الذي إذا أحاطت بالحجر مازجه بمنزل جسمه ، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه . وفيها أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بعلبك . وأغار فيها على صفت وأعمالها ، فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال .

وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقاسى في الطريق أهوالاً ، ولقي ترحاً وتعباً وكلالاً ، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام . وفيها كانت زلزلة عظيمة أنهدم بسببها قلاع وقرى ، ومات خلق كثير فيها من الوري ، وسقط من رؤس الجبال صخور كبار ، وصادمت بين الجبال في البراري والقفار ، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار . وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شريد وجهد جهيد ، فمات خلق كثير بهذا وهذا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفاة المستضيء بأمر الله وشيء من ترجمته

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تسكتم ذلك فلم يمكنها ، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العوام دوراً كثيرة ، وأموالاً جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولى العهد أبي العباس أحمد بن المستضيء ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ، ومن حضر ذلك ، عند ذكر اسمه على المنبر . وكان مرضه بالحمى ابتدأ فيها يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً ، ومات سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغسل وصلى عليه من الفد . ودفن بدار النصر التي بناها ، وذلك عن وصيته التي أوصاها ، وترك ولدين أحدهما ولي عهده وهو عدة الدنيا والدين ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، والآخر أبو منصور هاشم ، وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مزىلاً عن الناس المكوسات والضرائب ، مبطلاً للبدع والمعائب ، وكان حليماً وقوراً كريماً ، وبويح بالخلافة من بعده لولده الناصر .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن علي

أبو إسحاق الفقيه الشافعي ، المعروف بابن الفراء الأموي ثم البغدادي ، كان فاضلاً مناظراً

فصيحاً بليغاً شاعراً ، توفي عن أربع وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو الحسن القزويني مدرس النظامية
إسماعيل بن موهوب

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجوالقي ، حجة الاسلام ، أحد أئمة اللغة في زمانه والمشار إليه
من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق اللهجة وخلوص النية ، وحسن
السيرة في مرابه ومنشاه ومنتهاه ، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرماه ، رحمه الله تعالى .

المبارك بن علي بن الحسن

أبو محمد ابن الطباخ البغدادي ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم
فيها . كان يوم جنازته يوماً مشهوداً .

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفي أبوه في سابع شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بايعه الأمراء والوزراء والكبراء
والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته ببسبر ، فقيل إنه إنما عهد له
قبل موته بيوم ، وقيل بأسبوع ، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ، ولقب
بالناصر ، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة منه ، فانه مكث خليفة إلى سنة وفاته في ثلاث
وعشرين وستائة ، وكان ذكياً شجاعاً مهيباً كما سيأتي ذكر سيرته عند وفاته . وفي سابع ذي القعدة
من هذه السنة عزل صاحب الخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار ، وأهين غاية الاهانة ، هو وأصحابه
وقتل خاق منهم ، وشهر في البلاد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيئته في البلاد ، وقام قائم
الخلافة في جميع الأمور . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها ، من بين أرتق
وكر على بلاد الأرمن فأقام عليها وفتح بعض حصونها ، وأخذ منها غنائم كثيرة جداً ، من أوام
الفضة والذهب ، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركان ، فرده إلى بلاده ثم صالحه على مال يجعله
إليه وأسارى يطلقهم من أسره ، وآخرين يستنقذهم من أيدي الفرنج ، ثم عاد مؤيداً منصوراً فدخل
حماه في أواخر جمادى الآخرة ، وامتدحه الشعراء على ذلك ، ومات صاحب الموصل سيف الدين
غازي بن مودود ، وكان شاباً حسناً مليح الشكل قام القامة ، مدور اللحية ، مكث في الملك عشر
سنين ، ومات عن ثلاثين سنة ، وكان عفيفاً في نفسه ، مهيباً وقوراً ، لا يلتفت إذا ركب وإذا
جلس ، وكان غيوراً لا يدع أحداً من الخدم الكبار يدخل على النساء ، وكان لا يقدم على سفك
الدماء ، وكان ينسب إلى شيء من البخل ساعه الله ، توفي في ثالث صفر ، وكان قد عزم على أن يجعل

الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه ، فلم يوافق الأمراء خوفاً من صلاح الدين لصغر سنه ، فاتفقوا كلهم على أخيه فأجلس مكانه في المملكة ، وكان يقال له عز الدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قائماً نائبه ومدبر مملكته . وجاءت رسل الخليفة ياتمسون من صلاح الدين أن يبقى سروج والزها والرقه ، وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك ، وقال : هذه البلاد هي حفظ لغور المسلمين ، وإنما تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يفعل ذلك ، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عونا للمسلمين .

وفاة السلطان توران شاه

فيها توفي السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، أخي الملك صلاح الدين ، وهو الذي افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه ، فسكث فيها حيناً واقتني منها أموالاً جزيلة ، ثم استناب فيها وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه ، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعراً عمله له بعض الشعراء ، يقال له ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى سما : -

هل لأخي بل مالكي علم بالذي * إليه وإن طال التردد راجع
وإني بيوم واحد من لقاء * على وإن عظم الموت بايع
ولم يبق إلا دون عشرين ليلة * ويجي اللقاء أبصارنا والمسامع
إلى ملك تمنو الملوك إذا بدا * وتخشع إعظاماً له وهو خاشع
كتبت وأشواق إليك ببعضها * تعلمت النوح الحام السواجع
وما الملك إلا راحة أنت زندها * تضم على الدنيا ونحن الأصابع

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسة ، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة ، واستنابه على دمشق مدة ، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم توافقه ، وكانت تعزبه القوائج فمات في هذه السنة ، ودفن بقصر الامارة فيها ، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته بترتها التي بالشامية البرانية ، فقبره القبلي ، والوسطاني قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، صاحب حماه والرحبة ، والموخر قبرها ، والتربة الحسامية منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لا شين ، وهي إلى جانب المدرسة من غربها ، وقد كان توران شاه هذا كرمياً شجاعاً عظيم الهيبة كبير النفس ، واسع النفقة والمطاء ، قال فيه ابن سعدان الحلبي :

هو الملك إن تسمع بكسرى وقيصر * فأنهما في الجود والبأس عباده
وما حاتم ممن يقاس بمثله * نخذ ما رأيناه ودع ما روينا
ولدت بعلاء مستجيراً فانه * يجيرك من جور الزمان وعدواه

ولا نعمل للسحائب منه إذا • هطلت جوداً سحاب كفاه
 فترسل كفاه بما اشتق منها • فليمن يمناه ولليسر يسراه
 ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزناً شديداً ،
 وجعل ينشد باب المراثي من الحاسة وكانت محفوظة .

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين ، فلبس خلعة
 الخليفة بدمشق ، وزينت له البلدة ، وكان يوماً مشهوداً . وفي رجب أيضاً منها سار السلطان إلى مصر
 لينظر في أحوالها ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يهجم عامه ذلك ، واستناب على الشام ابن أخيه
 عز الدين فروخ شاه ، وكان عزيز المثل عزيز الفضل ، فكتب القاضي الفاضل عن الملك المعادل أبي
 بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج ، ومعه صدر الدين أبو القاسم
 عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد ، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة ، وجاء بالخلع ليكون في خدمته
 إلى الديار المصرية ، وفي صحبته إلى الحجاز ، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش ، وأما شيخ
 الشيوخ فإنه لم يبق بها إلا قليلاً حتى توجه إلى الحجاز في البحر ، فأدرك الصيام في المسجد الحرام .
 وفيها سار قراقوش التقوى إلى المغرب فحاصر بها فاس وقلعا كثيرة حولها ، واستحوذ على
 أكثرها ، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاماً أسود فأراد قتله فقال له أهل الحصن لا تقتله
 وخذ لك دينه عشرة آلاف دينار ، فأبى فأوصله إلى مائة ألف ، فأبى إلا قتله فقتله ، فلما قتله نزل
 صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن ، فقال له خذ هذه فاني شيخ كبير ،
 وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتله ، ولئى أولاد داخ أكره أن يملكوه بمدى ،
 فأقره فيه وأخذ منه أموالاً كثيرة .

وفيها توفي من الأعيان المحافظ أبو طاهر السلفي

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه المحافظ الكبير المعمر ، أبو طاهر السلفي الأصبهاني ، وإتمام قبل
 له السلفي لجده إبراهيم سلفه ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، وكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم
 لذلك . قال ابن خلكان : وكان يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد واشتغل بها
 على الكيا المراسي ، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا . يحيى بن علي التبريزي مع الحديث
 الكثير ورحل في طلبه إلى الآفاق ثم نزل نهر الاسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبنى
 له المعادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظاهر مدرسة ، وفوضها إليه ، فهي معروفة به إلى
 الآن . قال ابن خلكان : وأما أماليه وكتبه وتعليقه فكثيرة جدا ، وكان مولده فيها ذكر المصريون
 سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ، ونقل المحافظ عبد الغني عنه أنه قال اذكر مقتل نظام الملك في سنة

خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ، وأنا ابن عشر تقريباً ، ونقل أبو القاسم الصفراوي أنه قال : مولدى
 بالتحمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة ، لأنه توفى ليلة الجمعة
 خامس ربيع الاخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بغير الاسكندرية والله أعلم ، ودفن بوعلة ، وفيها
 جماعة من الصالحين . وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي ، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن
 أحدا جاوز المائة إلا القاضى أبا الطيب الطبرى ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة ،
 وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته فى طلب الحديث ودورانه فى الأقاليم ، وأنه كان
 يتصوف أولاً ثم أقام بغير الاسكندرية وتزوج بامرأة ذات يسار ، فحسفت حاله ، وبنت عليه مدرسة
 هناك ، وذكر طرفاً من أشعاره منها قوله :

أَتَأْمَنُ إِيَّامَ الْمُنِيَةِ بَعْتَهُ * وَأَمَّنَ الْفَتَى جَهْلًا وَقَدْ خَبَرَ الدَّهْرَا
 وَلَيْسَ بِحَبَابِي الدَّهْرُ فِي دَوْرَانِهِ * أَرَادَ أَنْ أَهْلِيهِ وَلَا السَّادَةَ الزَّهْرَا
 وَكَيْفَ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ * وَأَزْوَاجُهُ طَرًّا وَقَاطِمَةُ الزَّهْرَا
 وَهَذَا أَيْضًا: يَا قَاصِدًا عِلْمَ الْحَدِيثِ لَدِينِهِ * إِذْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْمُهْدَايَةِ وَوَعْمِهِ
 إِنَّ الْعُلُومَ كَمَا عِلِمَتْ كَثِيرَةٌ * وَأَجْلَهَا فَقَهُ الْحَدِيثِ وَعِلْمُهُ
 مِنْ كَانَ طَالِبُهُ وَفِيهِ تَبْقَظُ * فَاتَمَّ سَهْمٌ فِي الْمَعَالَى سَهْمُهُ
 لَوْلَا الْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ * دِينَ النَّبِيِّ وَشَدَّ عَنَا حِكْمُهُ
 وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مَتَحْدَلِقُ * مَا كُلُّ فَهْمٍ فِي الْبَسِيطَةِ فَهْمُهُ

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث ، وجاءه كتاب من فائمه بالشام
 عز الدين فرغ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم
 من الوباه بالعام الماضى والفناء ، وبأن الشام مخصبة بأذن الله لما كان أصابهم من الغلاء . وفى شوال
 توجه الملك صلاح الدين إلى الاسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها
 وقصورها ، وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبى طاهر بن عوف ، عن الطرطوشى ، وسمع معه العماد
 الكاتب ، وأرسل القاضى الفاضل رسالة إلى السلطان يهنته بهذا السماع .

وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد

صاحب حلب وماجرى بعده من الأهور

كانت وفاته فى الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ، ودفن بها ، وكان
 سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سما فى عنقود عنب فى الصيد ، وقيل

بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة ، بهي المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم ، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستفتى الفقهاء في شربها تداويا فأفتوه بذلك ، فقال : أزيد شربها في أجل أو ينتص منه تركها شيئا ؟ قالوا : لا قال : فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه علي . ولما يئس من نفسه استدعا الأمراء خلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكنه ، لينعما من صلاح الدين ، وخشى أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي ، صاحب سنجار ، وهو زوج أخته وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين ، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين ، صاحب الموصل ، فجاء إليهم فدخل حلب في أبهة عظيمة ، وكان يوماً مشهوداً ، وذلك في العشرين من شعبان ، فسلم خزائنها وحواصلها . وما فيها من السلاح ، وكان تقي الدين عمه في مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطعم الحلبيون مسعوداً بأخذ دمشق لنية صلاح الدين عنها ، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الاتابكي نور الدين ، فقال لهم : بيننا وبين صلاح الدين أيمان وعهود ، وأنا لا أغدر به ، فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأم الملك الصالح في شوال ، ثم سار إلى الرقة فترها وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه في ذلك ، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه ، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد . ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى أتى الفرات فبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، وتقهقر صاحب الموصل عن لقاءه ، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكاملها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك ، ثم جاء إلى حلب فقتلها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانتها ، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة ، وذلك في السنة الآتية .

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تها من أرض الحجاز ، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصدته ذلك عن قصده . وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طفتكين بن أيوب نيابة اليمن ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم أخي السلطان ، فسار إليها طفتكين فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد ، وكانت تقارب ألف دينار أو أكثر ، وأما نائب عدن نجر الدين عثمان [الزنجبيلي] فانه خرج من اليمن قبل قدوم طفتكين فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة

بالبين ومسكة ، وإليه تنسب المدرسة الإنجيلية ، خارج باب توما ، تجاه دار المطم ، وكان قد حصل من البين أموالاً عظيمة جداً .

وفىها غدرت الفرنج وتفضت عهدوها ، وقطعوا السبل على المسلمين براً وبحراً وسراً وجهراً ، فأمكن الله من لطيشة عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المعدودين ، ألقاها الموج إلى نهر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها ففرق بعضهم وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة . وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلاداً كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، واستفحل أمره هناك ، وقراقوش مملوك تقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها حتى توفاه الله بعد أن أناله الله بلوغ مناه ، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله ، ولما خيم بارزاً ، من مصر وأولاده حوله جعل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فأشدد بعضهم في ذلك :

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشي من عرار

وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام . وفيها ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه ، والملك المحسن أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزينت البلاد واستمر للفرح أربعة عشر يوماً .

وفىها توفى من الأعيان . الشيخ كمال الدين أبو البركات

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السماعات ، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد ، كان خشن الميش ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، ولا من الخليفة ، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلساً ، وكان مثابراً على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة ، توفى في شعبان من هذه السنة . قال ابن خلكان : له كتاب أسرار العربية مفيد جداً ، وطبقات النحاة ، مفيد جداً ، وكتاب الميزان في النحو أيضاً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس محرماً كان بروز السلطان من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والاحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهده بمصر ، وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الأفرنج ، وقد جعل أخاه تاج الملوك يوري بن أيوب على الميمنة ، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام ، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية وافتتح حصوناً جيدة ، وأمر منهم خلقاً ، وأغنم عشرين ألف رأس من الأنعام ، ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج

في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب ، قتل خلق من الفريقين ، وكانت النصره للمسلمين على الفرنج ، ثم رجع إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، ثم ركب قاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبيين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين ، فغارت الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه ، فجهأ إلى حلب فحاصرها ثلاثاً ، ثم رأى العدول عنها إلى غيرها أولى ، فسار حتى بلغ الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والرقه ونصيبين ، وخضعت له الملوك ، ثم عاد إلى حلب فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي ، فاستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

فضائله

ولما مجز ابرنس الكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين في البر ، عمل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجاج ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم ، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم ليحارب أصحاب ابرنس ، ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن ، فقتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا في مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة ، وأمن البر والبحر باذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخليفة يعرفهم بذلك .

فصل في وفاة المنصور عز الدين

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه الناصر ، وهو والد الأجد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه ، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالي بدمشق ، وإلى جانبها التربة الأجددية لولده ، وهما وقف على الخفية والشافعية ، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً عاقلاً ذكياً كريماً ممدحاً ، امتدحه الشعراء لفضله وجوده ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي ، عرفه من مجلس القاضي الفاضل ، فالتقى إليه ، وكان يحسن إليه ، وله وللمهاد السكاتب فيه مدائح ، وكان ابنه الأجد شاعراً جيداً ، ولاة عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمر فيها مدة طويلة ، ومن محاسن فروخ شاه صحبته لتاج الدين الكندي وله شعر رائع :

أنا في أسر السقام * وهو في هذا المقام * رَشاً يرشق عينا * ه فؤادى بسهام

كل أرشفتي فا * ه على حر الأوام * ذقت منه الش * ه المصنفي في المدام

وقد دخل يوما الحمام فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه لثلاث تبدو عورته ، فرق له وأمر فلامه أن ينقل بقعة وبساطا إلى موضع الرجل ،

وأمره فأحضر ألف دينار و بقله وتوقماله في كل شهر بعشرين ألف دينار ، فدخل الرجل الحمام فقيرا
 وخرج منه غنيا ، فرحة الله على الأجواد الجياد

وفيها توفي من الأعيان . الشيخ أبو العباس

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرضا ، شيخ الطائفة الأحمدية
 الرضاية البطائحية ، لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط ، كان أصله من
 العرب فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال : إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب
 الشافعي . قال ابن خلكان : ولاتباعه أحوال عجيبه من أكل الحيات وهي حية ، والدخول في النار
 في التنانير وهي تضطرم ، ويلعبون بها وهي تشتعل ، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود .
 وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب ، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة
 بتلك البلاد . وقال : ومن شعره على ما قيل :

إذا جن ليلى هامَ قلبي بذكركم * أنوحُ كما نوحَ الحمامِ المطوقِ
 وفوقِ سحابٍ يمطرُ الهَمُّ والأسى * ونحى بحارمِ بالأسى تتدفقُ
 سلوا أمَ عمرو كيف باتَ أسيرها * تفكُّ الأسارى دونه وهو موثقُ
 فلا هو مقتولٌ في القتلِ راحةً * ولا هو ممنونٌ عليه فيطلقُ

ومن شعره قوله :

أغارَ عليها من أيها وأما * ومن كل من يدنو إليها وينظرُ
 وأحسدُ للمرأةِ أيضا بكفها * إذا نظرتُ مثلَ الذي أنا أنظرُ

قال : ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى
 من هذه السنة . خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال

أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف ، له كتاب الصلاة جملة ذيلا على
 تاريخ أبي الوليد بن الفرضي ، وله كتاب المستغنين بالله ، وله مجلدة في تعيين الأسماء المهمة على
 طريق الخطيب ، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا ، مات
 في رمضان عن أربع وثمانين سنة .

العلامة قطب الدين أبو المعالي

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي ، قدم دمشق
 ودرس بالقرطبية والمجاهدية ، وبجلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمدان ، ثم رجع إلى دمشق
 ودرس بالقرطبية وانتهت إليه رئاسة المذهب ، ومات بها في سلخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين

وخمسة ، عن ثلاث وتسعين سنة ، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره ، وهو الذي صلى على
الحافظ ابن عساكر والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسة

في رابع عشر محرماً تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحاً بعد حصار طويل ، من يد صاحبها
ابن بيسان ، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام ، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئاً
كثيراً من الحواصل وآلات الحرب ، حتى إنه وجد برجاً مملوءاً بنصول النشاب ، وبرجاً آخر فيه
مائة ألف شمعة ، وأشياء يطول شرحها ، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد ، وأربعين ألف
مجلد ، فوهبها كلها للقاضي الفاضل ، فانتخب منها حمل سبعين حمارة . ثم وهب السلطان البلد بما فيه
لنور الدين محمد بن قرا أرسلان - وكان قد وعده بها - فقيل له : إن الحواصل لم تدخل في الهبة ، قال :
لا أبخل بها عليه ، وكان في خزائنها ثلاثة آلاف ألف دينار ، فامتدحه الشراء على هذا الصنيع .
ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم * فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى حلب فحاصرها وقاتله أهلها قتالاً شديداً ، ففرح أخو السلطان
تاج الملوك بوري بن أبوب جرحاً بليغاً ، فمات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين
سنة ، وقيل إنه جاوزها بثنتين ، وكان ذكياً فهما ، له ديوان شمر لطيف ، فحزن عليه أخوه
صلاح الدين حزناً شديداً ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين الناصر وبين
صاحب حلب عماد الدين زنكي بن آقسنقر على عرض أطلقه له الناصر ، بأن يرد عليه سنجار
ويسلمه حلب ، ففرج عماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه في أخيه ونزل عنده في الخيم ،
ونقل أقاله إلى سنجار ، وزاده السلطان الخابور والرقه ونصيبين وسروج واشترط عليه إرسال
المسكر في الخدمة لأجل الغزاة في الفرنج ، ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان في الخيم بربى
حلب أياماً غير مكثرت بحلب ولا وقعت منه موقفاً ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين
من صفر ، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة ، ففلا هذه الآية وهو داخل في بابها [قل اللهم مالك الملك]
الآية . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى [وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم] الآية ، ولما دخل مقام
إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به ، والدعاء والتضرع إلى الله ، ثم شرع في عمل وليمة ،
وضربت البشاير ، وخلع على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء ، ووضعت الحرب أوزارها ،
وقد امتدحه الشراء بمدايح حسان . ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم ، ثم قال : ما سررت بفتح
قلعة أعظم سرورا من فتح مدينة حلب ، وأسقطت عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس

والضرائب ، وكذلك عن بلاد الشام ومصر ، وقد عاث الفرنج في غيبته في الأرض فساداً ، فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه ، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهيل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي عند قوله : [ألم غلبت الروم في أدنى الأرض] الآية ، البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك في ورقة وأعطاهما للفقيه عيسى الهكاري ، ليبشر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضي محي الدين بن الزكي ، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها :

وفتحكم حلبَ الشهباءِ في صفرٍ * قضى لكم بافتتاحِ القدسِ في رجبٍ (١)
وقدمها إلى السلطان فتأقت نفسه إلى ذلك ، فلما افتتحها كما سيأتي أمر ابن الزكي نخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جهيل هو الذي قال ذلك أولاً ، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً ، فأجزل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

فصل في...

ثم رحل من حلب في أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولده الظاهر غازي ، وولى قضاءها لابن الزكي ، فاستناب له فيها نائباً ، وسارع السلطان ، فدخلوا دمشق في ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس ، فأتته إلى بيسان فتهبها ، ونزل على عين جالوت ، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية ، وجاء بموكب معه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة ، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقاً وأسروا مائة أسير ، ولم يقصد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد في آخر ذلك اليوم ، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم وتصدى لهم لعلمهم بصافونه ، فالتقى معهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجرح مثلهم فرجعوا ناكسين على أعقابهم خائفين منه غاية الخافة ، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم ، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما من الله عليه وعلى المسلمين من نصرة الدين ، وكان لا يفعل شيئاً ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدباً واحتراماً وطاعة واحتشاماً .

فصل في...

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفي صحبته تقي الدين عمر بن أخيه ، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليوليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلب ، واستمر الحصار على الكرك

(١) وفي النجوم الزاهرة : * وفتح حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب .

مدة شهر رجب ، ولم يظهر منها بطلب ، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك فكر
 راجعاً إلى دمشق - وذلك من أكبر همته - وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائباً ، وفي صحبته
 القاضي الفاضل ، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها ، واستقدم ولده الظاهر إليه ، وكذلك نوابه
 ومن يمز عليه ، وإنما أعطى أخاه حلب ليكون قريباً منه ، فإنه كان لا يقطع أمراً دونه ، واقترض
 السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار ، وتأم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته
 بها ستة أشهر ، ولكن لا يقدر أن يظهر مافي نفسه لوالده ، لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولقظات
 لسانه ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

فيها أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال
 الفرنج ، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر ومعه الفاضل ، ومن حلب العادل ، وقدمت ملوك الجزيرة
 وسنجار وغيرها ، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحرقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى ، وركب
 عليها المنجنيقات ، وكانت تسعة ، وأخذ في حصارها ، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من
 غيرها ، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج ، وبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له
 كلهم فارسهم وراجلهم ، ليمنعوا منه الكرك ، فانشمر عنها وقصدهم فنزل على حسان نجاهم ، ثم صار
 إلى ما عر ، فانهزمت الفرنج قاصدين الكرك ، فأرسل وراهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان
 بالاغارة على السواحل لخلوها من المقاتلة ، فهببت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق ، ثم عاد
 السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم ، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن
 يعود إلى مصر ، وأقام هو بدمشق ليؤدي فرض الصيام ، وليجل الخليل وبمحمد الحسام ، وقدم على
 السلطان خاع الخليفة فلبسها ، وألبس أخاه العادل ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم خلع
 خلعته على ناصر الدين بن قرا أرسلان ، صاحب حصن كيفا وآمد التي أطلقها له السلطان . وفيها مات
 صاحب المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي وقام في الملك بعده ولده يعقوب . وفي أواخرها
 بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل إربل فبعث صاحبها يستصرخ به ، فركب من فوره
 إليه ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حماه ، فأقام بها أياما ينتظر وصول العماد إليه ، وذلك لانه حصل له
 ضعف فأقام ببعلبك ، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران ، فعالجه
 مداواة من طب لمن حب .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه ، ثم سار إلى حلب ، ثم خرج منها في صفر قاصدا الموصل
 فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين ، وهو أخو زين الدين صاحب إربل ، ثم رضى عنه

وأعاد إلى مملكته حتى يقين خبث طويته ، ثم سار إلى الموصل فلتقاه الملوك من كل ناحية ، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وسار السلطان قنزل على الاسماعيليات قريباً من الموصل ، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ملوك تلك الناحية ، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهر زورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، وإنما مقصوده ردم إلى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام ، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها ، وسار إلى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة ، وأقاليم جهة ببلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في كتابه ، وصاحب الروضتين ، ثم وقع الصلح بينه وبين الموصل ، على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك في تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازيقيية بتلك البلاد كلها ، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديداً ، فكان يتجلد ولا يظهر شيئاً من الألم حتى قوى عليه الأمر وتزايد الحال ، حتى وصل إلى حران فمخيم هنالك من شدة ألمه ، وشاع ذلك في البلاد ، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بموته ، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده في غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصى ، فقال : ما أبالي وأنا أترك من بعدى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - يعنى أخاه العادل وتقى الدين عمر صاحب حماه وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان والأفضل علياً - ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفن همنه كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتان البرنس صاحب الكرك بيده ، لأنه نقض العهد وتنقض الرسول (س) ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم ، وهو يقول سأين محمدكم ؟ دعوه ينصركم ، وكان هذا التفرقة بإشارة القاضي الفاضل ، وهو أرشده إليه وحسنه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل ، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذى كان فيه ، كفارة لذنوبه ، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها ، وولت العلة والله الحمد والمنة ، وطفئت نارها ، وانجلي غبارها ، وخذ شرارها ، وما كانت إلا فلتة وقي الله شرها وسنارها ، وعظمية كفى الله الاسلام عارها ، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما عندها صبرنا ، وما كان الله ليضيع العطاء وقد أخلصته القلوب ، ولا تتوقف الاجابة وإن سدت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيسر الصاحب والمصحوب :

نمى زاد فيهِ الدهرُ مِياً * فأصبحُ بعدَ بؤسائه نعيماً

وما صدقَ التذيرُ به لاني * رأيتُ الشمسَ تطلعُ والنجومَا

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة ، والعزمة ماضية جديدة ، والنشاط إلى الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة ببسطة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط ، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج بسم الخياط . ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب ، ثم ركب فدخل دمشق ، وقد تكاملت عافيته ، وقد كان يوماً مشهوداً .
وفيهما توفي من الأعيان الفقيه مذهب الدين .

عبدالله بن أسعد الموصلی

مدرس حمص ، وكان بارعا في فنون ، ولا سيما في الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العماد ، والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه

صاحب حمص والرحبة ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب ، توفي بجمص فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية ، وقبره الأوسط بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن ، وقد خلف من الأموال والذخائر شيئا كثيرا ، ينيف على ألف دينار توفي يوم عرفة فجأة فولى بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

المحمودي بن محمد بن علي بن اسماعيل

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو النشاء محمودي بن الصابوني ، كان أحد الأئمة المشهورين ، وإنما يقال له المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي ، فأكرمه ثم سار إلى مصر فترها ، وكان صلاح الدين يكرمه ، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضاً ، فهي لهم إلى الآن .

الأمير سعد الدين مسعود

ابن معين الدين ، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون وحين تزوجها صلاح الدين زوجه بأخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، التي تنسب إليها المدرسة الصحابية بسفح قيسون على الخنابلة ، وقد تأخرت مدتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه ، وكانت وفاته بدمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه وهو في حصار ميا فارقين .
الست خاتون عصمت الدين

بنت معين الدين ، نائب دمشق ، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم ، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسة ، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة ، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب ،

وخانقات خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، ودفنت بتربتها في سفح
 قايسون قريباً من قباب السركسية ، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والأتابكية ، ولها أوقاف كثيرة
 غير ذلك ، وأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بحلة صنعاء الشام ، ويعرف ذلك المكان التي
 هي فيه بتل الثعالب ، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي ، وهي أخت الملك دقاق
 لأمه ، وكانت زوجة زنكي ، والد نور الدين محمود ، صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الحين كما
 تقدمت وقتها .

الحافظ الكبير أبو موسى المديني

محمد بن عمر بن محمد الأصبهاني الحافظ الموسوي المديني ، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين
 له مصنفات عديدة ، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله .

السهيلي أبو القاسم

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن
 أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح - هو الداخل إلى الأندلس - الخنمى السهيلي ،
 حكى القاضي ابن خلكان أنه أملى عليه نسبة كذلك ، قال والسهيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة
 اسمها سهيل ، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق
 عندها ، وهي من قرى المغرب ، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسة مائة ، وقرأ القراءات واشتغل وحصل
 حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف ، وذلك من فضل الله تعالى
 ورحمته ، وكان ضرباً مع ذلك ، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى
 شيء منها أو إلى أكثرها ، وله كتاب الاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الاعلام ، وكتاب
 نتائج الفكر ، ومسألة في الفرائض بديعة ، ومسألة في سركون الدجال أعور ، وأشياء فريدة
 كثيرة بديعة مفيدة ، وله أشعار حسنة ، وكان عفيفاً فقيراً ، وقد حصل له مال كثير في آخر عمره
 من صاحب مراكش ، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وله قصيدة
 كان يدعو الله بها ويرتجى الاجابة فيها وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت الممدد لكل ما يتوقع
 يا من يرجي للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفزع
 يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
 مالي سوى فقري إليك وسيلة * فبالافتقار إليك فقري أدفع
 مالي سوى قرعي لبابك حيلة ~ * فائتن رددت فأى باب أقرع ؟
 ومن الذي أرجو وأهتف باسمه * إن كان فضلك عن فقيرك بمنع ؟

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً * الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

في ثاني ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بـمد عافيته ، وزار القاضي الفاضل ، واستشاره ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل علي ، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر ، وأرسل السلطان أخاه العادل محبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز علي ملك مصر ، ويكون الملك العادل آنا بكمه ، وله إقطاع كبيرة جداً ، وعزل عن نيابته تقي الدين عمر ، فعزم على الدخول إلى إفريقية ، فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له حتى أقبل بجنوده نحوهم ، فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك ، وزاد له على ذلك مدينة ميفارقين ، وامتدحه العباد بقصيدة ذكرها في الروضتين .
وفيهما هادن قومس طرابلس السلطان وصالحه وصافاه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبي منهم النساء والصبيان ، وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فأت على الكفر والطغيان ، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج ، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم . قال العباد الكاتب : وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان ، لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان ، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان ، وذكر أن ناساً من الجبل تاهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات وأسراب في الأرض خوفهم ذلك ، قال : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها ، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر أقطار الأرض ، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريبها أشعراً كثيرة حسنة منها :
مزقَ التقويمَ والزيجَ فقد بانَ الخطأ * إنما التقويمَ والزيجَ هباءٌ وهو
قاتٌ للسمعةِ إبرامٌ ومنعٌ وعطا * ومتى ينزلن في الميزان يستولى الهواء
ويثورُ الرملُ حتى يمتلئ منه الصفا * ويعمُّ الأرضَ رجفتُ وخرابٌ وبلى
ويصيرُ القاعَ كالقفِّ وكالطودِ العدا * وحكمتُ فأبى الحاكِمُ إلا ما يشا
مأثيَ الشرعَ ولا جاءت بهذا الأنبيا * فبقيتُم ضحكةً يضحكُ منها العلما
حسبكم خزيًا وعارًا ما يقولُ الشعرا * ما أطمعكم في الحكمِ إلا الأُمرا
ليتَ إذ لم يحسنوا في الدين طغاما أسا * فعلى اصطرلابِ بطليموسَ والزيجِ العفا
وعليه أنخزي ما جادت على الأرض السما
ومن توفي فيها من الأعيان .

أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش

بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري ، أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه ، وكان عليه

تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد ، وكان كثير الاطلاع عالماً بهذا الشأن ، مطرحاً للتكليف في كلامه ، لا يلتفت ولا يرجع على الاعراب فيه إذا خاطب الناس ، وله التصانيف المفيدة ، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمانة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس ، واستنقاده من أيدي الكفرة . قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، وافق أن ذلك كان أول سنة الروم ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً ، وهذا شيء يبعد وقوع مثله ، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه ، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى نخيم على قصر أبي سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلوا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحجاج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت المساكر المصرية وتوافت الجيوش الشرقية ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بمجافله فالتفت عليه جميع المساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة ، فتسامعت الفرنج بقدمه فاجتمعوا كلهم وتصالحوها فيما بينهم ، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بخدم وحديد معهم واستصحبوا معهم صليب الصلבות بحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت ، في خاق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفاً وقيل ثلاثاً وستين ألفاً ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وسترى غيب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطمعة والأمتعة وغير ذلك ، ونحصنت منه القلعة فلم يلبأ بها ، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا في عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سطاخ الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء العدو المحذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان ، وأسفر وجه الإيمان واغبر وأظلم وجه الكفر والظلمانيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وذلك عشية يوم

الجمعة ، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحاد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشياً ، وكان ذلك عليهم مشثوماً ، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج ناراً تحت سنانك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وجر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحلمة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فذبحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم ، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم ، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذين يزعمون أنه صلب عليه المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب والآلئ والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الاسلام وأهله ، وودع الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نبتاً وثلاثين أسيراً من الفرنج ، قد ربطهم بطنب خيمة ، وياع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله ، وجرت أمور لم يسمع بتلها إلا في زمن الصحابة والتابعين ، فله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً .

فلما تمت هذه الواقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تمهادى بقيودها ، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية - والأسارى بين يديه - صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ممن كان يذكر الناس عنه شراً ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرباط برنس الكرك وبقينهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثولجاً ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرباط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندى ، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرباط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الاسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله (س) ، في الانتصار لأمته ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله (س) ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والأستنارية صبراً وأراح المسلمين من هذين الجنسيتين الخبيثتين ، ولم يسلم ممن عرض عليه الاسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتل ثلاثين ألفاً ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً ، وكان من سلم مع قتلهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببيلادهم ، ومن مات كذلك قومس طرابلس ، فإنه انهزم جريحاً فمات بها بعد مرجعه ، ثم أرسل السلطان برؤس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤسهم ، وبصليب

الصلبوت صحبة القاضي ابن أبي عصرون إلى دمشق ليودعوا في قلعتهما ، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضى كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء ربيع الآخر ، فافتتحها صلحاً يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم ، وأمر بإقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج ، نحو من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً ، فخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائراً نحو غزة وعسقلان و نابلس و بيسان و أراضى الغور ، فلك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين ، وهو الذى افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً ، وسبوا خلقاً .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتفع في هذه الأماكن مدة شهر ليسترهبوا وتحمو أنفسهم وخبولهم لفتح بيت المقدس ، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصدته العلماء والصالحون تطوعاً ، و جاؤا إليه ، و وصل أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة ، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش شئ كثير جدا ، فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتى . وقد امتدحه الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا ، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وهو مقيم بها لمرض اعتراه - « ليهن المولى أن الله أقام به الدين ، وكتب للملوك هذه الخدمة والرؤس لم ترتفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر الملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه الواحد ، جدد الله شكرا نارة يفيض من لسانه ، وتارة يفيض من جفنه سرورا بتوحيد الله ، تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لأقربان من لبن * وذلك السيف لاسيف ابن ذي يزن

ثم قال : وللائسنة بعد في هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل .

فتح بيت المقدس في هذه السنة

« واستنفاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة »

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم ، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس ، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين ، وكانوا ستين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون ، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له بالبان بن بازران ، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقي الجمعان ، من الداوية والاستنارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصليبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاد والنزال ، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً ، وبدلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقامتهم ، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين ، فحرق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا في القتل ونصب المناجنيق والعرادات على البلد ، وغنت السيوف والرماح الخطيات ، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقا وشدة التشمير ، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير ، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فقبها وعاقها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمتها فاذا هو واجب ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع ، والخطب المؤلم الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فامتنع من ذلك وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتها أتم عنوة ، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه ، فلما حضر ترقق للسلطان بوزل ذلًا عظيماً ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجماً فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريباً من أربعة آلاف - وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما تقدر عليه ، ولا نبقى يمكننا في إتلاف ما تقدر عليه ، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير في حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم ، فإذا ترجى بعد هذا من الخير ؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأتاب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى ما منهم

وهي مدينة صور . فكتب الصلح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد : وهي ليلة الأسراء برسول الله (ص) ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال في الأسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي كما سيأتي قريباً .

ولكن نلفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصليبان والرهبان والنخازير ، وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربى المحراب الكبير ، واتخذوا المحراب مشتاً لعنهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت للناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وحادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزئتها ذهباً ، فتمرد استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المساحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر ، ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتنى وينخر ، وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحباً .

أول جمعه أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصليبان والنواقيس والرهبان والقساوس ، ودخله أهل الإيمان ، ونودي بالأذان وقرئ القرآن ، ووجد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان ، بمد يوم الفتح بثان ، فنصب المنبر إلى جانب المحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجادات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزات البركات ، وأنجحت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس التسيسون ، وزال البوس وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لركة القلوب المدامع ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت

القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب فبر زمن السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محي الدين بن الزكي اليوم خطيباً ، فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات . وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في الروضتين بطولها وكان أول ما قال [فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين] .

ثم أورد تجميدات القرآن كلها ، ثم قال : « الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومنزل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بمدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، [الذي] أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمد على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الألفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، (س) . وعلى خليفته الصديق السابق إلى الأمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مززل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان . »

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تغييب الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذي من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وأنه أول القبليتين ، وثاني المسجدين ، **وقالت الحرميين** ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله (س) . من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبيا والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض الحشر والمنشرون التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء في الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام ، كما ثبت في الحديث

بالمسند والسنة ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خلالاتاً ثلاثاً ، حكماً يصادف حكمه ، وملا كالألأ يفبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا أخرج من -نوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسى ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن على نجا المصرى على كرسى الوعظ بأذن السلطان ، فوعظ الناس ، واستمر القاضى ابن الزكى يخطب بالناس فى أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذى كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته .

نكته غريبة

قال أبو شامة فى الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوى فى تفسيره الأول فقال : وقع فى تفسير أبى الحكم الأندلسى - يعنى ابن برجان - فى أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوى : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله [ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون فى بضع سنين] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يغلبون فى سنة كذا وكذا ، ويغلبون فى سنة كذا كذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان فى كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال فى حساب ، قال : وقد ذكر فى تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذى نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذى يرفع فيه .

قلت : ابن برجان ذكر هذا فى تفسيره فى حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده فى سنة إحدى عشر وخمسمائة ، قهياً لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم . وأما الصخرة المعظمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وطهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه عيسى الهكارى أن يعمل حولها شبابيك من حديد ، ورتب لها إماماً راتباً ، وقف عليه رزقاً جيداً ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطاً كان للبتريك إلى جنب القمامة ، وأجرى على النقاء والفقراء الجوامك ، وأرصد الختم والربما فى أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرا فيها المقيمون والزائرون

وتنافس بنو أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد ، وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس ، فقبل [له] إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعا صافصفا ، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، ولك في ذلك أسوة . فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيا بعمرضي الله عنه ، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة بخدمونها ، وحال بين النصارى وبينها ، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثاراها ، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فانه أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سنوية ، وكساهم وانطلق كل منهم إلى وطنه : وعاد إلى أهله ومسكنه ، فله الحمد على نعمه ومننه

فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان قاصدا مدينة صور بالساحل ، وكان فتحها قد تأخر ، وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجار الفرنج يقال له المركيس ، فخصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقا من البحر إلى البحر ، فجاء السلطان فحاصرها مدة ، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر ، فأحاط بها برا وبحرا ، فعدت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواني من أسطول المسلمين فلكتها ، فأصبح المسلمون واجين حزنا وتأسفا ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلت الأزواد ، وكثرت الجراحات وكل الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين ، فأجابهم إلى ذلك على تمنع منه ، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا ، وتفرقت المساكر إلى بلادها . وأما السلطان فانه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الافضل برج الداوية ، وولى نيابتها عز الدين حردبيل ، وقد أشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفعل وليته فعل ، بل وكل بعمارتها وتجديده محاسنها بهاء الدين قراقوش النقوى ، ووقف دار الاستثنائية بصفين على الفقهاء والفقراء ، وجعل دار الأسقف مارستانا ووقف على ذلك كله أوقافا دارة ، وولى نظر ذلك إلى قاضيا جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب . ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيدا منصوراً ، وأرسل إليه الملوك بالتهاني والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمصار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه في أشياء ، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح بوقعة حطين شابا بندا ديا كان وضيعاً عندهم ، لا قدر له ولا قيمة ، وأرسل بفتح القدس مع نجاب ، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة . فتلقى ذلك بالبشر والطف والسمع

والطاعة ، وأرسل يمتدحها وقع . وقال : الحرب كانت شغلته عن التروى في كثير من ذلك ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء ، ومع هذا فهما لقبني أمير المؤمنين فلا أعدل عنه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه .

وفيها كانت وقعة عظيمة ببلاط الهند بين الملك شهاب الدين الغورى صاحب غزنة ، وبين ملك الهند الكبير ، فأقبلت الهنود في عدد كثير من الجنود ، ومعهم أربعة عشر فيلا ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك أنج بنفسك ، فما زاده ذلك إلا إقداماً ، فحمل على الفيلة فجرح بعضها - وجرح الفيل لا يتدمل - فرماه بعض الفيالة بجرية في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخر صريعاً ، فحملت عليه الهنود ليأخذوه فجاحف عنه أصحابه فاقتتلوا عنده قتالاً شديداً ، وجرت حرب عظيمة لم يسمع بمنلها بموقف ، فغلب المسلمون الهنود وخلصوا أصحابهم وحملوه على كواهلهم في محفة عشرين فرسخاً ، وقد نزفه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء ، وحلف ليا كن كل أمير عليق فرسه ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان . وفيها قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن صاحب ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع ، ومع هذا كان عفيفاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال . وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين ، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضى القضاة ابن الدامغانى وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عند القاضى ، وكان يقول وهو يمشى في ركابه لمن الله طول العمر ، فات القاضى في آخر هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . الشيخ عبد المغيث بن زهير الحرابي

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالفرائب والمعائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء - وأظنه الناصر - جاءه زائراً مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيلمن أم لا ؟ فقال لا أسوغ لعنه لأني لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لمن خليفتنا . فقال الخليفة : ولم ؟ قال : لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يمدد على الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع منه من المنكر لينزجر عنها ، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثر كلامه فيه ، وانتفع به . مات في الحرم من هذه السنة . وفيها توفى الشيخ .

٣٤٨ علي بن خطاب بن خلق

العابد الناسك ، أحد الزهاد ، ودوى الكرامات ، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر . قال ابن الأثير

في الكامل : ولم أر مثله في حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته .

الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم

أحد نواب صلاح الدين ، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة ، فلما وقف بعرفة ضرب الوباء ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فاقنتلا فجرح ابن مقدم ومات في اليوم الثاني بمضى ، ودفن هنالك ، ووجرت خطوب كثيرة ، ولیم طاشتكين على ما فعل ، وخلف معرفة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

محمد بن عبيد الله

ابن عبد الله سبط بن التماوي ذي الشاعر ، ثم أضر في آخر عمره وجاز الستين توفي في شوال

نصر بن فتيان بن مطر

الغني الحنبلي المعروف بابن المنى ، كان زاهدا عابدا ، مولده سنة إحدى وخمسمائة ، ومن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد الغني ، ومحمد بن خلف بن راجح ، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي وغيرهم توفي خامس رمضان . وفيها توفي قاضي القضاة .

أبو الحسن الدامغاني

وقد حكم في أيام المقتدى ثم المستنجد ثم عزل وأعيد في أيام المستضيء ، وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة . ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

في محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعاً صعباً ، فوكل به الأمير قايماز البجعي في خمسمائة فارس يضيقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل لصف [الصفد] وكانت للداوية خمسمائة فارس مع طمرليك الجامدار يمنعون الميرة والتقاوى أن تصل إليهم ، وبعث إلى الكرك الشوبك يضيقون على أهلها ويحاصرونهم ، ليفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد الصفي بن الفايض وكيل الخزانة قد بنى له داراً بالقلمة هائلة مطلة على الشرف القبلي ، فغضب عليه وعزله وقال : إننا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله ، وهذا الذي عملته مما يثبط النفوس ويقعد بها عما خلقت له . وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضي الفاضل في بستانه على الشرف في جوسق ابن الفراش ، وحكى له ماجرى من الأمور ، واستشاره فيما يفعل في المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق فسلك على بيوس وقصد البقاع ، وسار إلى حصص وحماه

وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصي ، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح أنظر طوس وغيرها من الحصون ، وجبله واللاذقية ، وكاننا من أحسن المدن عمارة ورخاماً ومحالاً ، وفتح صهيون وبكاس والشفر وهما قلعتان على العاصي حصينتان ، فتحهما عنوة ، وفتح حصن بدرية وهي قلعة عظيمة على جبل شاقق منيع ، تحتمها أودية عميقة يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار ، وفرق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق يقاتل ، فاذا كوا وتعبوا خلفهم الفريق الآخر ، حتى لا يزال القتال مستمرا ليلا ونهارا ، فكان فتحها في نوبة السلطان أخذها عنوة في أيام معدودات ، ونهب جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حمايتها ورجالها ، واستخدم نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن در بساك وحصن بفراس ، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ، ثم سميت به همته العالية إلى فتح أنطاكية ، وذلك لأنه أخذ جميع ماحولها من القرى والمدن ، واستنظر عليها بكثرة الجنود ، فراسد صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين ، فأجابته إلى ذلك لعله بتضجر من معه من الجيش ، فوعدت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها ، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد ذلت دولة النصارى ، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب فأجابته إلى ذلك ، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماه فنزل عنده ليلة واحدة ، وأقطعه جبله واللاذقية ، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك ، ودخل حمامها ، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان ، وكان يوما مشهودا ، وجاءته البشائر بفتح الكرك وإنقاذه من أيدي الفرنج ، وأراح الله منهم تلك الناحية ، وسهل حزنها على السالكين من التجار والغزاة والحجاج [فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين] .

فصل في فتح صفد وحصن كوكب

لم يقم السلطان بدمشق إلا أياماً حتى خرج قاصدا صفد فنزلها في العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمجانيق ، وكان البرد شديدا يصبح الماء فيه جليدا ، فزال حتى فتحها صلحا في ثامن شوال ، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها ، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها ، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها ، ثم سار منها إلى حصن كوكب - وهي معقل الاستتارية كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكانوا أبيض أجناس الفرنج إلى السلطان ، لا يكاد يترك منهم أحدا إلا قتله إذا وقع في المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها ، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها ، وهمدت تلك السواحل واستقر بها منازل قاطنيها . هذا والسماء تصب ، والرياح تهب ، والسيول تعب ، والأرجل في الأحوال نجب ، وهو في كل ذلك صابر مصابر ، وكان القاضي

الفاضل معه في هذه الغزوة ، وكتب القاضي الفاضل إلى أخى السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الاسلام ، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية ، ويكون تقي الدين عمر محاصراً طرابلس إذا انسلخ هذا العام ، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر ، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيد فيه عيد الأضحى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث مصر ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

وفيها خرجت طائفة بمصر من الرافضة ليعيدوا دولة الفاطميين ، واغتتموا غيبة العادل عن مصر ، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في الليل يا آل علي ، يا آل علي ، بنيتهم على أن العامة تجيبهم فلم يجيبهم أحد ، ولا التفت إليهم ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخذوا وقيدوا وحبسوا ، ولما بلغ أمرهم السلطان صلاح الدين ساء ذلك واهتم له ، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن ، حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك ، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرّك ما بلغك عنهم ، فسرى عنه ما كان يجحد ، ورجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عيناً وعوناً .

وفيها توفي من الأعيان . **الأمير الكبير سعدلة الملوك والسلاطين**

الشبزرى مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحد الشعراء المشهورين ، المشكورين ، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، وكان عمره نارياً مستقلاً وحده ، وكانت داره بدمشق ، مكان العزيزية ، وكانت مقللاً للفضلاء ، ومنزلاً للعلماء وله أشعار رائقة ، ومعان فائقة ، وفديه علم غزير ، وعنده جود وفضل كثير ، وكان من أولاد ملوك شبزرى ، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأنشده :

لأنى حبيبتى إلى أن لقيت * بعد العدى صديقاً حبيباً

وله في سن قلعتها وقد نفعا :

وصاحبٍ لا أمل الدهرُ مُحِبته * يشقى لنفسي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا * لناظري افترقنا فرقة الأبد

وله ديوان شعر كبير ، وكان صلاح الدين يفضل على سائر الدواوين ، وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان في شببيته شهماً شجاعاً ، قتل الأسد وحده مواجهة ، ثم عمر إلى أن توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ، ودفن شرقي جبل قايسون . قال وزرت قبره

وأشدت له : لا تستعز جلدأ على هجرانهم * فقواك تضيف عن صدور دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم * طوعاً وإلا عدت عودة فادم
وله أيضاً * وأعجب لضعف يدي عن حملها قلماً * من بعد حطم الفئاق لبنة الأسد
وقل لمن يتمنى طول مدته * هذى عواقب طول العمر والمدد
قال ابن الأثير : وفيها توفي شيخه .

أبو محمد عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن سويد التكريتي ، كان عالماً بالحديث وله تصانيف حسنة .

الحازمي الحافظ

قال أبو شامة : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني
بيغداد ، صاحب التصانيف ، على صغر سنه ، منها المجالة في النسب ، والناسخ والمنسوخ وغيرها
ومولدها سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسة ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من
هذه السنة . ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسة مائة .

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية المهدي لأبي نصر الملقب بالظاهر بن
الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على
المنبر ، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا كثيرة ، وهدايا سنية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هيتهم
في حال حربهم ، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوى ، من ديار الخليفة ، فكان
بالأقدام يداس ، بعد ما كان يعظم ويباس ، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوباً على الصخرة
وكان من نحاس مقلباً بالذهب ، فخطه الله إلى أسفل العتب .

قصة عكا وما كان من أمرها

كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا ، فأحاطوا بها بمحاصر ونها
فتحصن من فيها من المسلمين ، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من
دمشق مسرعاً ، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويمانعهم منها ،
حتى جبل طريقا إلى باب القلعة يصل إليه كل من أرادهم ، من جنسدى وسوقى ، وامرأة وصبي ، ثم
أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ، ودخل هو بنفسه ، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج
وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم ، والميرة تفد إليهم في البحر ، في كل وقت ، وكل ما لهم في ازدياد ،
وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه ، وتقدم عليه من كل جهة
وكان ، منهم رجال وفرسان ، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى

مواكبها ، في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجمان
فأقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما ، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار ، ثم كانت الدائرة على الفرنج
فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه
الأول إلى موضع بعيد من راحة القتلى ، خوفا من الوخم والأذى ، وليستريح الخيالة والخييل ، ولم يعلم
أن ذلك كان من أكبر صالح العدو المخذول ، فانهم اغتتموا هذه الفرصة فحفروا حول مخيمهم خندقا
من البحر محذقا بجيشهم ، واتخذوا من ترابه سوراً شاهقا ، وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا
وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتادوا ، وتفارط الأمر على المسلمين ، وقوى الخطب وصار
الداء عضالا ، وازداد الحال وبالا ، اختباراً من الله وامتحاناً ، وكان رأى السلطان أن يناجزوا
بعد الكرة سريعاً ، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فنأتبهم الأمداد من كل صوب ، فتمنر عليه الأمر
باملال الجيش والضجر ، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر ، ولم يدر ما قد حتم في القدر ، فأرسل
السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالحث ، وبث الكتب بالتحضيض
والحث السريع ، فجاءته الأمداد جماعات وآحادا ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل
الأسطول ، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، وقدم العادل
في عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة ، وخافوا منه ،
واتصل بالبلد الميرة والمدد والمدد ، وانشرحت الصدور بذلك ، وانسلخت هذه السنة والحال ما حال
بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيهما توفي من الأعيان . القاضي شرف الدين أبو سعد

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عمرو بن أحمد أئمة الشافعية ، له كتاب الانتصاف ، وقد ولى
قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضر قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده نجم الدين مكانه بطيب قلبه
وقد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ونصفا ، ودفن بالمدرسة المصرية ، التي أنشأها عند سوق
باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين . وقد ذكره
ابن خلكان فقال : كان أصله من حديثة عانة الموصل ، ورحل في طلب العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ
عن أسعد الميمني وأبي علي الفارقي وجماعة ، وولى قضاء سنجار وحران ، وباشرف أيام نور الدين
تدريس النزالية ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبمحص أخرى ، ثم قدم دمشق
في أيام صلاح الدين ، فولى قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة إلى أن توفي في هذه السنة ، وقد
جمع جزءاً في قضاء الأعمى ، وأنه جائز ، وهو خلاف المذهب ، وقد حكاها صاحب البيان وجهها لبعض
الأصحاب . قال : ولم أره في غيره ، ولكن حبك الشيء يعنى ويصم ، وقد صنف كتباً كثيرة ،

منها صفة المذهب في نهاية المطلب ، في سبع مجلدات ، والانتصاف في أربعة ، والخلاف في أربعة ،
والذريعة [في معرفة الشريعة] والمرشد وغير ذلك ، و [كتابا سماه مأخذ النظر ، ومختصراً] في
الفرائض ، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والعماد فأثنى عليه ، وكذلك القاضي الفاضل . وأورد
له العماد أشعاراً كثيرة وابن خلكان ، منها :

أؤمل أن أحيأ في كل ساعة * تمر بي الموتى يهزُ نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي * بقايا ليالٍ في الزمانِ أعيشها

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من
الفرق ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام
بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً .

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظى عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان
صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس فدفن به ، كان ممن
تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزى الجزري ، وكان من الفضلاء والأمرء الكبار .

المبارك بن المبارك الكرخي

مدرس النظامية ، تفقه بابن الخلل [وحظى] بمكانة عند الخليفة والمامة ، وكان يضرب بحسن
خطه المثل . ذكرته في الطبقات .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت ،
حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينسكحوها في الغربة ،
فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن
بهذه النية ، فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى أن كثيراً من فسقة المسلمين تجوزوا إليهم
من أجل هذه النسوة ، واشتهر الخببر بذلك . وشاع بين المسلمين والفرنج بان ملك الألمان قد أقبل
بثلاثمائة ألف مقاتل ، من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهلها ، انتصاراً لبيت المقدس
فمعد ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيماً ، وخافوا غاية الخوف ، مع ما هم فيه من الشغل والحصار
الهائل ، وقويت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده
في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك ، على ماسيأتي بيانه . وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم

من بلادهم ونفيهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا يبيت المقدس وغيره ، ركبوا من صور في أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يخرضون الفرنج ، ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه ، فاذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فيترجمون لذلك ويمحون ويبكون ويمجنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبههم ، ووضع حجهم على الصعب والذلول ، حتى النساء الحدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهلهم من أعز الثمرات .

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شريف أربون بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً في الذل والهوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، ورجماً قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسى القلب ، كافر النفس . ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الاسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها ، ورجالها وفرسانها ، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحلاماً من النفط والرماح ، وفضافة ونقابين ، كل منهم متقن في صنعته غاية الاتقان ، ومرسوماً بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ، لأجل نصرة أصحابهم ، يمدونهم بالقوة والميرة ، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل ، لتلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهي أعلا من أبرجة البلد ، وهي مركبة على عجل بحيث يدبرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره باحراقها ، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين ، والتزم باحراقها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها ، وعلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً باذن الله ، لها السنة في الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً ، وكان يوماً على الكافرين عسيرا ، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر ، فاحترقت في يوم واحد [وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا] ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنوية ، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك ، وقال : إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء

ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا .

وأقبل الأسطول المصرى وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلاد ، فعبى الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين ، نهض السلطان بجيشه ليشغلهم عنهم ، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان فى البحر ، وكان يوما عسيرا ، وحربا فى البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشيبي واحد من الأسطول الذى للمسلمين ، وسلم الله الباقى فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا ، بل إلى بعضها .

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فانه أقبل فى عدد وعدد كثير جداً ، قريبا من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلاد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليبا بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فإنا نال من ذلك شيئا بعون الله وقوته ، بل أهللكم الله عز وجل فى كل مكان وزمان ، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت راسه ، وأخمدت أنفاسه ، وأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر فى الملك ، وقد تمزق شملهم ، وقلت منهم العدة ، ثم أقبلا لا يجتازون ببلاد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا فى ألف فارس ، فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الاسلام . وزعم العماد فى سياقه أن الألمان وصوا فى خمسة آلاف ، وأن ملوك الافرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم ، لما يخافون من سطوة ملكهم ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المركىس صاحب صور ، الذى أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه الحنة ، فانه تقوى به وبكيده ، فانه كان خبيرا بالحروب ، وقد قدم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بعجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتحرقه ، وتتلهم جوانبه ، فمن الله العظيم باحراقها ، وأراح الله المسلمين منها ، ونهض صاحب الألمان بالمسكر الفرنجى فصادم به جيش المسلمين [فجاءت جيوش المسلمين] برمتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وهجموا مرة على نجم السلطان بغتة فتهبوا بعض الأمتعة ، فنهض الملك العادل أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب ، فى أصحابه وأمهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ، ثم حمل عليهم بالرمح والحسام ، فهربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسوا وجه الأرض منهم حلالا أزهى من الرياض الباسمة ، وأحب إلى النفوس من الحدود الناعمة ، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف ، وزعم العماد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم . هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى ولادرى ، بل فاثمون وقت القائلة فى خيامهم ، وكان

الذين ساقوا وراهم أقل من ألف ، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، وقد أوهم هذا جيش الفرنج وأضعفهم ، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد ، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيد هري ، ومعه أموال كثيرة فأنفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين ، ونصب على عكا منجنيقين ، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسمائة دينار ، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره ، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سهلهم في كل مكان ، وكذلك وقع ، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً ، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً ، وكان يوم دخولهم إليه يوماً مشهوداً ، ومشهداً محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعا للخليفة العباسي ، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين .

فصل في عكا

وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان : إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأتوات إلا ما يبلنهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ، خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين ، وتضعف القلوب ، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء ، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فانتقلوا في البحر قتالاً شديداً ، والمسلمون في البر يبتهلون إلى الله عز وجل في سلامتها ، والفرنج أيضاً تصرخ برأ وبجرأ ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم ، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، وفرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أر بمائة غرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة ، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحامهم ، وشدوا الزنانير ، واستنصبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها سهم إذا خرج من كبد القوس ، فغدرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتدروا

بأنهم مغلوبون عنها ، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبرت الميناء فامتلاً النفر بها خيراً ، فكفقتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية . وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان ، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والابرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، فمظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا في أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطاً كثيراً وحطباً جزلاً ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة نحت قبو قد أحكوه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدره الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تمدت النار بطشتهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى ففرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين ، في قوله تعالى [يجرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين] .

فَضْلٌ

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج لمدينة حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهل البلد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار ، وسرى حريقه إلى السقوف ، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلايب من حديد في سلاسل ، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشق ، والله الحمد والمنة .

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه وغبته وجودته ، وعزى أخاه مظفر الدين فيه ، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهر زور وحران والرها وسميساط وغيرها ، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقداً ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليداً ، وعقد له لواء ، وأضيف مآثره إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين .

فَضْلٌ

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ،

وعمل الأسطول والكتب السلطانية ، فنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب ، وارتكاب المحارم بين الناس ، فان الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، وامتنال أمره ، فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية ، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع به الاستمادة منه ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده مالا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة . ومنها كتاب يقول فيه إنما أتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقنا لجل الله لنا عواقب صدقنا ، ولو أظعننا لما عاقبنا بعدونا ، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا مالا نقدر عليه إلا به ، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ، ولا يرج إلا ربه ولا يفتر بكثرة المساكر والأعوان ، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ، وإنما النصر من عند الله ، ولا نؤمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به واللفظ منه ، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا ، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الخاشعين قد غسل ، ولكن في الطريق عائق ، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق . ومن كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أنابه الله بقوله : وما في نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا فانه بقلوبنا ، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ثم قال :

بنا معشر الخدام ما بك من أذى * وإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين هاهنا كتباً عدة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة و بلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد ، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه ، ومن وزير ما كان أفصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

فضيلة الأمان

وكتب الفاضل كتاباً على لسان السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين ، وسلطان جيش الموحدين ، يعقوب بن يوسف بن عبيد المؤمن ، يستنجد في إرسال مراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة ، حكاها أبو شامة بطولها . وبعث السلطان صلاح الدين مع الكتاب سنية من التحف والأطاف ، وصحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبدالرحمن بن منقذ ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة ، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يفد هذا الإرسال شيئاً ، لأنه تفضب إذ لم يلقب بأمر المؤمنين ، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله .

قضية بالذلة

وفها حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأمور، فطمع العدو المخذول في حوزة الاسلام، فتجرد جماعة منهم للقتال، وثبت آخرون على الحصار، فأقبلوا في عدد كثير وعداد، فرتب السلطان الجيوش بمنة ويسرة، وقلباً وجناحين، فلما رأى العدو الجيش الكثيف فروا وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً .

قضية بالذلة

ولما دخل فصل الشتاء وانشرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم، والقتال ليلاً ونهاراً، وأن يرسل إلى البلد بدلم، فرق لهم السلطان، وعزم على ذلك، وكاتوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور، فجهز جيشاً آخر غيرهم، ولم يكن ذلك برأى جيد، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهم حدة شديدة، ولهم عزم قوى، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد والقتال وكان لهم صبر، وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة، فانهضت بسبب ذلك، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة، فقدر الله العظيم - وله الأمر من قبل ومن بعد - أنها لما توسطت البحر واقتربت من المينا هاجت عليها ريح عظيمة فانقلبت تلك البطش وانقلبت على عظمها فاخبتت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين، واشتد الأمر جداً، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكان ذلك عوناً للعدو المخذول على أخذ البلد، ولا قوة إلا بالله، وذلك في ذى الحجة من هذه السنة، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب .

وفي اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثلة عظيمة من سور عكا، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم، وقاتلوا دونها بنحورهم، وما زالوا يمانون عنها حتى بنوها أشد مما كانت، وأقوى وأحسن . ووقع في هذه السنة وباء عظيم في المسلمين والكافرين، فكان السلطان يقول في ذلك :

اقتلوني ومالكاً * واقتلوا مالكاً معي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله في ثاني ذي الحجة ، وجماعة من كبراء الكندهرية ،
وسادات الفرنج لعنهم الله ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا ناراً عظيمة في كل خيمة ،
وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان ، واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من
الجوع والضيق والحصار ، وأسلم خاق كثير منهم . وفيها قدم القاضي الفاضل من مصر على
السلطان ، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه ، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره
ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان . **ملك الألمان**

وقد تقدم أنه قدم في ثلاثمائة ألف مقاتل ؛ فهلكوا في الطرقات ، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة
آلاف وقيل في ألفي مقاتل ، وكان قد عزم على دمار الاسلام ، واستنقاذ البلاد بكاملها من أيدي
المسلمين ، انتصاراً في زعمه إلى بيت المقدس ، فأهلكه الله بالفرق كما أهلك فرعون ، ثم ملك بعده
ولده الأصغر فأقبل بن بتي معه من الجيش إلى الفرنج ، وهم في حصار عكا ، ثم مات في هذه السنة
فله الحمد والمنة .

محمد بن محمد بن عبد الله

أبو حامد قاضي النضاة بالموصل ، كمال الدين الشهرزوري الشافعي ، أثنى عليه العماد وأئند

له من شعره قوله :

قامت باثبات الصفات أدلة * قصمت ظهور أئمة التمهيط
وظلائع التنزيه لما أقبلت * هزمت ذوى التشبيه والتمثيل
فالحق ما صرنا إليه جميعنا * بأدلة الأخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقتدياً فقد * ألقاه فرط الجهل في التفضيل

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكلترا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج ، على أصحابهم
الفرنج إلى عكا ، وتماثوا على أخذ عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله ، وقد استهلكت هذه السنة
والحصار الشديد على عكا من الجانبين ، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك العادل محيى إلى
جانب البحر ، ليتكامل دخولهم ودخول ميرتهم ، وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون
من عكا فهجموا على محيى الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً ، سبوا اثني
عشراً امرأة ، وانكسر مركب عظيم للفرنج ففرق ما فيه منهم وأسر باقيهم ، وأغار صاحب حص
أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضى طرابلس ، فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الخيول
والأبقار والأغنام ، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش

صغير عثر به فرسه . وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين في قريب من ستين بطش مملونة مشحونة بعبدة الصليب ، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم ، لمظلمته عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب ، هائل ، فطار من يده فوقع على سور عكا فأخذه أهلها وبعثوه إلى السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك ، وقدم بده كيد فرير وهو من أكابر ملوكهم أيضاً ، ووصلت سفن ملك الانكليز ، ولم يجبه ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها ، وتواصلت ملوك الاسلام أيضاً من بلدانها في أول فصل الربيع ، لخدمة الملك الناصر . قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهد ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها : إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذن لك أن تذهبي إليه فتشتكي أمرك إليه ، قال العماد فجات إلى السلطان فأنتهت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه . ثم أمر باحضار ولدها فإذا هو قد بيع في السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري ، ولم يزل واقفاً حتى جرى بالغلام فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمه الله تعالى وعفا عنه .

قصة الملك

في كيفية اخذ العدو عكا من يدي السلطان

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لمدينة عكا ، وتمازوا عليها من كل فج عميق ، وقسم عليهم ملك الانكليز في جم غفيرة وجمع كثير ، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلى أهل الثغر منهم بيلاء لا يشبه ما قبله ، فعند ذلك حركت الكؤوسات في البلد ، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان ، فحرك السلطان كؤوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ، ليشغلهم عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل جانب ، ونصبوا عليه سبعة منجانيق ، وهي تضرب في البلد ليلاً ونهاراً ، ولا سباً على برج عين البقر ، حتى أثرت به أثراً بيناً ، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكثهم من دواب ميتة ، ومن قتل منهم ، ومن مات أيضاً ردموا به ، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر . وتلقى ملك الانكليز بطشة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها ، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية ، وكان بالبطشة ستائة من المقاتلين الصناديد الأبطال ، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله . فانه لما أحيط

بهم وتحققوا إما الفرق أو القتل ، خرقوا جوانبها كلها ففرقت ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأسلحة ، وحزن المسلمون على هذا المصاب حزنا عظيما ، فانا لله وانا إليه راجعون ، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابه كانت أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتهم أنفسهم من خوفهم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، ويسلموا البلد ، ففرج الله عن المسلمين وأمكنهم من حريقها ، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة ، فأرسل أهل البلد يشكون إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم ، منذ قام ملك الانكليز لعنه الله ، ومع هذا قد مرض هو وجرح ملك الافرنسيين أيضاً ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة ، وعتواً وبنياً ، وفارقهم الرئيس وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يخرجوا ملكها من يده . وبعث ملك الانكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها قد ضمنت وهو يطلب دجاجاً وطيراً لتقوى به ، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يلفظها به ، فأرسل إليه شيئاً كثيراً من ذلك كرمياً ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً ، فلم يند معه الاحسان ، بل لما عوفي عاد إلى شرمما كان ، واشتد الحصار ليلاً ونهاراً ، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئاً غداً وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، فشق ذلك على السلطان ، وذلك لأنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل ، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس ، فهي مشحونة بذلك ، فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو ، فلما أصبح ركب في جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجال منهم قد ضربوا سوراً حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا يتغذ فيهم شيء ، فأحجم عنهم لما يعلم من نكول جيشه عما يريد ، وتحذره عليه شجاعته رحمه الله .

هذا وقد اشتد الحصار على البلد ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق وعلقوا بدنة في السور وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ودخلت الفرنج إلى البلد ، فما نعمهم المسلمون وقاتلوم أشد القتال ، وقتلوا من رؤسهم ستة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيين وطلب منهم الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منه البلد ، فلم يجبهم إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حالة الله بها عليهم ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفاً شديداً ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل

إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبق بها مسلم ، فتشاغل كثير من كان بها لجمع الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة ، فما أصبح انخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا يخرج منها شيء بالكلية ، وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرها السلطان من أولاد الفرنج ، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة ، فلم يوافق الجيش على ذلك ، وقالوا لا نخاطر بمسك المسلمين ، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين نحت يده من الفرنج ، ويزيدهم صليب الصليبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير نحت يده ، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد . وقد تهدمت منه نلم كثيرة ، وأعاد المسلمون كثيرا منها ، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم رحمة الله ، وصبروا صبرا عظيما ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة ، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له : يامولانا لا تخضع لهؤلاء الملاءين ، الذين قد أبوا عليك الاجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فانا قد بايعنا الله على الجهاد حتى تقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت ، وصلباتهم ونارهم على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فمظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحدين ، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشى الناس بهتة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع في عسكر السلطان الصياح والعريل ، ودخل المركيس لعنة الله وقد عاد إليهم من صور بهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل في هذا اليوم عكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها في البلد ، واحداً على المأذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على برج الداوية ، وآخر على برج القتال ، عوضاً عن أعلام السلطان ، وتميز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتلين ، محتاط بهم مضيق عليهم ، وقد أسروا النساء والأبناء ، وغنمت أموالهم ، وقيدت الأبطال وأهين الرجال ، والحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

ف عند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة ، وثبت هو مكانه لينظر ما ذا يصنعون وما عليه يعملون ، والفرنج في البلد مشغولون مدهوشون ، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم ما لا يعلمه إلا الله ، وجاءت الملوك الإسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يعزونه فيما وقع ، ويسلونهم على ذلك ، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم

ومائة ألف دينار ، و صليب الصليبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأحضر المال والصليب ، ولم يتهيأ له من الأسارى إلا ستائة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد ، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، وبنوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك ، فقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض بأمانتنا ، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئا من ذلك ، وأمر برد الأسارى إلى أهلهم بدمشق ، ورد الصليب إلى دمشق مهاتا ، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقفهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلهم عن آخرهم في صعيد واحد ، رحمهم الله وأكرم منوهم ، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميراً أو صبياً ، أو من يروته في عملهم قويا أو امرأة . وجرى الذي كان ، وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان . وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً صابراً بطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً .

فَضِيحَاتُكَ

فما حدث بعد اخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان ، والسلطان بجيشه يسيرهم ويمارضهم منزلة منزلة ، والمسلمون يتخطفونهم ويسلبونهم في كل مكان ، وكل أسير أتى به إلى السلطان يأمر بقتله في مكانه ، وجرت خطوب بين الجيشين ، ووقعت متعددات ، ثم طالب ملك الانكاز أن يجتمع بالملك العادل أخى السلطان يطلب منه الصلح والأمان ، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل ، فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل ، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف ، فكانت النصره للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألوف بعد ألوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرعن السلطان في أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً ، وهو ثابت صابر ، والكؤسات لا تفتر ، والأعلام منشورة ، ثم تراجع الناس فكانت النصره للمسلمين ، ثم تقدم السلطان بعساكره فقتل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يملكها الكفار ، ويجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس ، أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، أو أشد ، فبات السلطان ليلته مفكراً في ذلك ، فلما أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها هو المصلحة ، فذكر ذلك لمن حضره ، وقال لهم والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ،

ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس به ، ثم طلب الولاة وأمرهم بتخريب البلد سريعاً ، قبل وصول العدو إليها ، فشرع الناس في خرابه ، وأهله ومن حضره يتبا كون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه وثماره ، ونضارة أنهاره وأزهاره ، وكثرة رخامه وحسن بنائه . وأقيمت النار في سقوفه وأتلف ما فيه من الغلات التي لا يمكن نحويلها ، ولا نقلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قاعاً صافصفاً ليس فيها مملكة لأحد ، ثم اجتاز بالرملة فحرب حصنها وخرّب كنيسة لد ، وزار بيت المقدس وعاد إلى الحميم سريعاً ، وبعث ملك الانكليز إلى السلطان إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها ، رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس ، لا نرجع عن هذه الثلاثة ومناعين تطرف ، فأرسل إليه السلطان أشد جواب ، وأسد مقال ، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس ، فتقدم السلطان بمجيئه إلى القدس ، وسكن في دار التساقس قريباً من قامة ، في ذى القعدة ، وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه ، وعمل فيه بنفسه وأولاده ، وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون ، وكان وقتنا مشهوداً ، والبزك حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويفتنمون ، والله الحمد والمنة . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محي الدين محمد بن الزكي بدمشق . وفيها عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قد لم شمته حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيرا ، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس ، وأقام داود بنخلة حتى توفى بها سنة سبع وثمانين .

وفيها توفى من الأعيان الملك المظفر

تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان عزيزاً على عمه صلاح الدين ، استنابه بهصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطمه حماه ومدناً كثيرة حولها في بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان على عكا ، ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات ، فلما صار إليها اشتغل بها وامتنعت عينه إلى أخذ خيرها من أيدي الملوك المجاورين له ، فقاتلهم فاتفق موته وهو كذلك ، والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه ، وحمات جنازته حتى دفنت بحماه ، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعلمها أوتف كثيرة ، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد ، فأقره صلاح الدين على ذلك بعد جهده جهيد ، ووعده ووعيد ، ولولا

السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه ، ولكن سلم الله ، توفي يوم الجمعة
تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعاً فاتكاً .

الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

أمه ست الشام بنت أيوب ، واقفة الشاميتين بدمشق ، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً
فجع السلطان ببن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة ، وقد كانا من أكبر أعوانه ، ودفن بالترربة
الحسامية ، وهي التي أنشأها أمه بمحلة العونية ، وهي الشامية البرانية .

الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

كان من أكابر الدولة الصلاحية ، وفي خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذي أشار على السلطان
بتخريب عسقلان ، واتفق مرضه بالقدس فاستأذن في أن يمرض بدمشق ، فأذن له ، فسار منها فلما
وصل إلى غباغب مات بها في أواخر ذي الحجة . وفي رجب منها توفي الأمير الكبير نقيب دمشق .

الصفى بن القاضى

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة .
وفي ربيع الأول توفي الطبيب الماهر أسعد بن المطران
وقد شرف بالاسلام ، وشكره على طبه الخاص والعام .

الجيو شاتي الشيخ نجم الدين

الذى بنى تربة الشافعى بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها أوقافاً سنوية ، وولاه
تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته في طبقات الشافعية ، وما صنعه في
المذهب من شرح الوسيط وغيره ، ولما توفي الجيو شاتي طلب التدريس جماعة فشجع الملك العادل
عند أخيه في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه ، فولاه إياه ، ثم عزله عنها بعد موت السلطان ،
واستمرت عليه أيدي بنى السلطان واحداً بعد واحد ، ثم عادت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان صلاح الدين نجم بالقدس ، وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه ، وهو يعمل
فيه بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوسيين وبينه ، والناس يقتدون بهم ، والفقهاء والقراء يعملون ،
والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقرؤا البلد من
الحرس واليزك الذين حول القدس ، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون ، ولكيد الاسلام
مجمعون ، وهم والحرس تارة يغلبون وتارة يغلبون ، وتارة ينهبون وتارة ينهبون . وفي ربيع الآخر

وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر ، وكان نائباً على عكا حين أخذت ، فأتى نفسه منهم بخمسين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفي بها في شوال من هذه السنة . وفي ربيع الآخر قتل الماركيس صاحب صور لعنه الله ، وأرسل إليه ملك الانكليز اثنين من الفداوية قتلوه : أظهر التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به قتلوه وقتلوا أيضاً ، فاستناب ملك الانكليز عليها ابن أخيه بلام الكندر ، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه ، فهما خاله ، ولما صار إلى صور بنى بزوجة الماركيس بعد موته بلبلة واحدة ، وهي حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الانكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين بينهما ، ولكن الماركيس كان قد صانعه بعض شيء ، فلم يهن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم فخر بها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من الذرية ، فأن الله وإنا إليه راجعون ، ثم أقبلوا جملة نحو القدس فبرز إليهم السلطان في حزب الايمان ، فلما رأى الجمعان نكص حزب الشيطان راجعين ، فراراً من القتال والنزال ، وعاد السلطان إلى القدس . [وقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً]

ثم إن ملك الانكليز لعنه الله - وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين - ظفر ببعض قلوب المسلمين فكبسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسرى منهم خمسمائة أسير ، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال ، والخليل والبغال ، وكان جملة الجمل ثلاثة آلاف بعير ، فتقوى الفرنج بذلك ، وساء ذلك السلطان مساة عظيمة جداً ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الانكليز الجمالة على الجمل ، والخر بندية على البغال ، والسياس على الخليل ، وأقبل وقد قويت نفسه جداً ، وصمم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من مقاتلة ، فتعباً السلطان لهم ونهياً ، وأكمل السور وعمر الخنادق ، ونصب المنجانيق ، وأمر بتغویر ما حول القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة : أبا الهيجاء المبسمين ، والمشطوب ، والأسدية ، فاستشارهم فيما قد دمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجع المؤلم ، فأفاضوا في ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك . هذا كله والسلطان ساكت واجم مفكر ، فسكت القوم كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : اعلوا أنكم جند الاسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تملون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراتهم في ذمكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ،

٣٤٩
فان وليتم والعباد بالله طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الصليب
في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذمكم ، فأنتم الذين تصديتكم
لهذا كله ، وأكلتم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عذوبهم ، وتنصروا ضديفهم ، فالسلطون في سائر
البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال : يا مولانا نحن مع اليكك وعبيدك ، وأنت الذي
أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا ، وليس لنا إلا رقابنا ونحن بين يديك ، والله ما يرجع أحد منا عن نصرتك
حتى يموت . فقال الجماعة مثل ما قال ، وفرح السلطان بذلك وطاب قلبه ، ومد لهم سباطا حافلا ،
وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بمد ذلك أن بعض الأمراء قال : إنا نخاف أن يجري
علينا في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا ، ثم يأخذون بلاد الاسلام بلداً بلداً ، والمصلحة أن
نلتقيهم بظاهر البلد ، فان هزمنام أخذنا بقية بلادهم ، وإن تكن الأخرى سلم العسكر ومضى بحاله ،
ويأخذون القدس ونحفظ بقية بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة ، وبمشوا إلى السلطان يقولون
له : إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار الفرنج ، فكن أنت معنا أو بعض أهلك ، حتى يكون
الجيش تحت أمرك ، فان الأكراد لا تطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراد . فلما بلغه ذلك شق
عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهموماً كثيراً يفكر فيما قالوا ، ثم أنجلى الأمر واتفق الحال على
أن يكون الملك الأجد صاحب بعلبك مقبلاً عندهم نائباً عنه بالقدس ، وكان ذلك نهو الجمعة ، فلما
حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن للظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين ، وسجد وابتهل إلى الله
تعالى ابتهاً عظيماً ، وتضرع إلى ربه ، وتمسك وسأله فيما بينه وبينه كشف هذه الضيقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت من الغد جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا
فيما بينهم ، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأنفقنا الأموال المدينة في تخليص
بيت المقدس وردة إلينا ، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة ، فقال الانكليز إن هذا البلد شق علينا
حصاره ، لأن المياه حوله قد عدت ، وإلى أن يأتي الماء من المشقة البعيدة يعطل الحصار ، ويتلف
الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم ، فردوا أمرهم إلى اثني عشر
منهم ، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل ، فلم
يتمكن مخالفتهم فسحبوا راجعين لعنهم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم
الفرقة والرملة ، وذلك في بكرة الحسادى والعشرين من جمادى الآخرة ، وبرز السلطان بمجيئه إلى
خارج القدس ، وسار نحوهم خوفاً أن يسيروا إلى مصر ، لكثرة ما معهم من الظهر والأموال ،
وكان الانكليز يلهج بذلك كثيراً ، فخذلهم الله عن ذلك ، وترددت الرسل من الانكليز إلى السلطان

في طلب الأمان ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين ، وعلى أن يعيد لهم عسقلان وبهب له كنيسة بيت المقدس وهي القمامة ، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قمامة ، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم ، فامتنع الانكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان ، ويعمر سورها كما كانت ، فصمم السلطان على عدم الاجابة . ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً ، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم مراكب الانكليز على وجه البحر ، فقويت رؤسهم واستعصت نفوسهم ، فهجم الهمين فاستعاد البلد وقتل من تأخر بهما من المسلمين صبراً بين يديه ، وتقهر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما وراءها خوفاً على الجيش من معرفة الفرنج ، فجعل ملك الانكليز يتمعجب من شدة سطوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين ، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين ، ولكن ماظنت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلة بمجرد قدومي ، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا جرائد بلا سلاح ، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم ، فامتنع السلطان ، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الانكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً ، وحوله قليل من الرجالة فأكب بجيشه حوله وحصره حصاراً لم يبق معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكثوا كلهم عن الحملة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض ، فكلمهم بمنع كما بمنع المريض من شرب الدواء .

هذا وملك الانكليز قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله ، وأهبة نزاله ، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة ، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان ، ولا نهره بطل من الشجعان ، فعند ذلك كر السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً . ثم حصل لملك الانكليز بعد ذلك مرض شديد ، فبعث إلى السلطان يطلب فأكفه وتلجأ فأمدته بذلك من باب الكرم ، ثم عوفي لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده ، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان ، ورضى بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان ، وأكدت العهود والمواثيق من كل ملك من ملوكهم ، وحلف الأمراء من المسلمين وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً ، وأظهروا سروراً كثيراً ، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى أن يقرم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة ، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة

أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج من بها من الفرنج .

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطدها ، وسدد أموره وأكدها ، وزاد وقف المدرسة سوقاً بدكا كينها وأرضا بيساتينها ، وزاد وقف الصوفية ، وعزم على الحج عامه ذلك ، فكتب إلى الحجاز واليمن ومصر والشام ليعلموا بذلك ، ويتأهبوا له ، فكتب إليه القاضي الفاضل ينهيه عن ذلك خوفاً على البلاد من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها ، وفساد الناس والمسكر وقلة نصيحهم وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك عامك هذا ، والعدو نخيم بعد بالشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقوا ويكثروا ، ثم يعمروا ويندروا ، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقبياً بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقرآن ، وكما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة فعل معه غاية الأكرام ، تأليفاً لقلوبهم ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متنكراً ، ويحضر سماط السلطان فيمن حضر من جمهورهم ، بحيث لا يرى . والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلاً ، ولهذا كان يعاملهم بالأكرام ، ويربهم صنفاً جديلاً ، وبراً جزيلاً .

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في العساكر فبرز من القدس قاصداً دمشق ، واستتاب على القدس عز الدين جورديك ، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي ، فاجتاز على وادي الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح في نابلس فنظر في أحوالها ، ثم رحل عنها ، فجعل يمر بالقلع والحصون والبلدان فينظر في أحوالها ويكشف المظالم عنها ، وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته يميند صاحب إنطاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالاً جزيلاً وخلصاً ، وكان العماد الكاتب في صحبته ، فأخبر عن منزله منزلة إلى أن قال : وعبر يوم الاثنين عين الحر إلى مرج بيوس ، وقد زال البوس ، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأمثالها ، ونزل يوم الثلاثاء على المراة ، وجاءه هناك التحف والملتقون على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بجمعة دمشق داخلين ، بسلام آمدين ، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين ، فأخرجت دمشق أطفالها ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، واجتمع أولاده الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، والعمل بالاحسان والفضل . ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها :

وأبها لولا تفرُّلُ عينها * لما قلتُ في التنزلِ شعرا
ولكانت مدائحُ الملكِ لنا * صر إلى ما فيه أعملُ فكرا
ملكٌ طبَّقَ الممالكَ بالمد * ل منلما أوسع البريةَ برا

فجعل الأعياد صوماً وفطراً * ويلقى الهنا برأً وبحراً
 يأمر بالطاعاتِ لله إن * أضحي ملكاً على المناهى مصرا
 نلت ما تسى من الدين والدنيا * فتبها على الملوكِ وغرا
 قد جمعت المجدين أصلاً وفرعاً * وملكك الدارينِ دنيا وأخرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين ، فأظفروه الله بهم هذه السنة ، فكسروهم وقتل خلقاً منهم وأسر خلقاً ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلاً ، من جملتها الذي كان جرحه ، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانته ولم يكرمه ، واستحوذ على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحقير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

وفيها اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين ، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة ، وكان في غاية حسن السيرة ، واتهم بأنه يكتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بغداد ، فانه ليس بينه وبينها أحد يمانه عنها ، وقد كان مكذوباً عليه ، ومع هذا أهين وحبس وصودر .

قصة القاضي

ومن توفي فيها من الأعيان القاضي شمس الدين .

محمد بن محمد بن موسى

المعروف بابن الفراش ، كان قاضي المساكر بدهشق ، وبرزله السلطان إلى ملوك الآفاق ، ومات بمطية .

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر ، ثم صار من كبراء أمراء صلاح الدين ، وهو الذي كان نائباً على عكا لما أخذوها الفرنج ، فأسروه في جملة من أسروا فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار ، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها ، وولاه نابلس . توفي يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس ، ودفن في داره .

صاحب بلاد الروم عز الدين قلع أرسلان بن مسعود

ابن قلع أرسلان ، وكان قد قتم جميع بلاده بين أولاده ، طمعا في طاعتهم له ، فخالفوه ونجبروا وهتوا عليه ، وخفضوا قدره وارتفعوا ، ولم يزل كذلك حتى توفي في طمه هذا . وفي ربيع الآخر توفي الشاعر أبو المرفف .

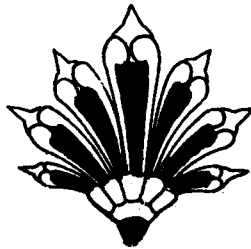
نصر بن منصور النميري

سمع الحديث واشتغل بالأدب ، أصابه جدري وهو ابن أربعة عشرة سنة فنقص بصره جداً ، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه فأيسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفلح ، وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول :

أحبُّ علياً والبتولَ وولدها * ولأجحدُ الشيخين فضلَ التقدمِ
وأبرأُ ممن نالَ عثمانُ بالأذى * كما أتبرا من ولاءِ ابنِ ملجمِ
ويمجيني أهلُ الحديثِ لصدقهم * فلستُ إلى قومٍ سواهم بمنسى
توفى بيضداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى .



بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير
وبليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية



فهرست الجزء الثاني عشر من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
١١	٢
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة	ثم دخلت سنة ست وأربعمائة
أبو سعد الماليني	الشيخ أبو حامد الاسفرايني
الحسن بن الحسين	أبو أحمد القرظي
الحسن بن منصور بن غالب	الشريف الرضي
الحسين بن عمرو	باديس بن منصور المحبري
محمد بن عمر	٤
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد	ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة
أبو عبد الرحمن السلمي	أحمد بن يوسف بن دوست
أبو علي الحسن بن علي الدقاق	الوزير فخر الملك
النيسابوري	٦
صريع الدلال الشاعر	ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة
١٢	شباشي أبو نصر
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة	٧
ابن البواب الكاتب	ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة
علي بن عيسى	رجاء بن عيسى بن محمد
١٥	عبد الله بن محمد بن أبي علان
محمد بن أحمد بن محمد بن منصور	علي بن نصر
ابن النعمان	عبد الغني بن سعيد
١٦	محمد بن أمير المؤمنين
ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة	محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد
الحسن بن الفضل بن سهلان	ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة
الحسن بن محمد بن عبد الله	أحمد بن موسى بن مردويه
علي بن عبد الله بن جهضم	هبة الله بن سلامة
القاسم بن جعفر بن عبد الواحد	٩
١٧	ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة
محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن	صفة مقتله لعنه الله
عبد الجبار	١٠
محمد بن أحمد	

صحيفة

- ٢٥ ثم دخلت سنة تسع عشرة واربعمائة
 حمزة بن ابراهيم بن عبد الله
 محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد
 مبارك الانماطي
 ابو الفوارس بن بهاء الدولة
 ابو محمد بن الصاد
 ابو عبد الله المتكلم
 ابن غلبون الشاعر
- ٢٦ ثم دخلت سنة عشرين واربعمائة
 الحسن بن ابي القين
 علي بن عيسى بن الفرج بن صالح
 اسد الدولة
- ثم دخلت سنة احدى وعشرين واربعمائة
 ٢٩ احمد بن عبد الله بن احمد
 الحسين بن محمد الخليج
 الملك الكبير العادل
- ٣١ ثم دخلت سنة ائنتين وعشرين واربعمائة
 خلافة القائم بالله
 الحسن بن جعفر
 عبد الوهاب بن علي
- ٣٢ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين واربعمائة
 ٣٤ روح بن محمد بن احمد
 علي بن محمد بن الحسن
 محمد بن الطيب
 ٣٥ علي بن هلال
- ثم دخلت سنة اربع وعشرين واربعمائة
 احمد بن الحسين بن احمد
- ثم دخلت سنة خمس وعشرين واربعمائة
 ٣٦ احمد بن محمد بن احمد بن غالب

صحيفة

- هلال بن محمد
 ثم دخلت سنة خمس عشرة واربعمائة
 احمد بن محمد بن عمر بن الحسن
 ١٨ احمد بن محمد بن احمد
 عبيد الله بن عبد الله
 عمر بن عبد الله بن عمر
 محمد بن الحسن ابو الحسن
 ثم دخلت سنة ست عشرة واربعمائة
 ١٩ سابور بن ازدشير
 عثمان التيسابوري
 محمد بن الحسن بن صالحان
 الملك شرف الدولة
 التهاجي الشاعر
- ٢٠ ثم دخلت سنة سبع عشرة واربعمائة
 احمد بن محمد بن عبد الله
 ٢١ جعفر بن ايات
 عمر بن احمد بن عبدويه
 علي بن احمد بن عمر بن حفص
 صاعد بن الحسن
 القفال المروزي
- ٢٢ ثم دخلت سنة ثمان عشرة واربعمائة
 ٢٣ احمد بن محمد بن عبد الله
 الحسين بن علي بن الحسين
 محمد بن الحسن بن ابراهيم
 ابو القاسم الدلكاني
 ٢٤ ابو القاسم بن امير المؤمنين القادر
 ابن طباطبا الشريف
 ابو اسحاق
 القنوري

صحيحة	صحيحة
هبة الله بن علي بن جعفر أبو زيد الدبوسي	٣٧ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو علي البندنيجي
٤٧ الحوفي صاحب إعراب القرآن ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة إسماعيل بن أحمد بشرى الفاتني محمد بن علي	عبد الوهاب بن عبد العزيز غريب بن محمد ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ٣٨ أحمد بن كليب الشاعر ٣٩ الحسن بن أحمد الحسن بن عثمان
٤٨ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة محمد بن الحسين ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بهرام بن منافيه ٥٠ محمد بن جعفر بن الحسين مسعود الملك بن الملك محمود	ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ٤٠ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة القنوي أحمد بن محمد الحسن بن شهاب ٤١ لطف الله أحمد بن عيسى محمد بن أحمد محمد بن الحسن مهيार الديلمي الشاعر ٤٢ هبة الله بن الحسن أبو علي بن سينا
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة أبو زر الهروي ٥١ محمد بن الحسين ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أبو كاليبجار يملك بغداد بعد أخيه جلال الدولة الحسين بن عثمان عبد الله بن أبي الفتح ٥٢ الملك جلال الدولة ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة الحسين بن علي عبد الوهاب بن منصور ٥٣ الشريف المرتضى محمد بن أحمد	ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ٤٣ الثعالبي صاحب يتيمة الدهر الاستاذ أبو منصور ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة ٤٥ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الحسن بن حفص الحسين بن محمد بن الحسن ٤٦ عبد الملك بن محمد محمد بن الحسين بن خلف محمد بن عبد الله الفضل بن منصور

- قرواش بن مقلد
مودود بن مسعود
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة
٦٣ محمد بن محمد بن أحمد
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة
الحسن بن علي
علي بن الحسين
القاضي أبو جعفر
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة
أحمد بن عمر بن روح
إسماعيل بن علي
عمر بن الشيخ أبي طالب المكي
محمد بن أحمد
محمد بن أبي تمام
ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة
الحسن بن جعفر بن محمد
عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن
ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة
الحسين بن علي
علي بن الحسن بن علي
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة
٦٨ علي بن أحمد بن علي بن سلك
٧٠ هلال بن الحسن
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة
٧٢ أحمد بن عبدالله بن سليمان
٧٦ الأستاذ أبو عثمان الصابوني
ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة
٧٩ الحسن بن محمد أبو عبدالله الوبي

- أبو الحسن البصري المعتزلي
٥٤ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة
خديجة بنت موسى
أحمد بن يوسف السليكي المنازي
٥٥ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة
الشيخ أبو محمد الجويني
٥٦ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة
أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد
عبد الواحد بن محمد
محمد بن الحسن بن علي
محمد بن أحمد بن موسى
٥٧ المظفر بن الحسين
محمد بن علي بن إبراهيم
الشيخ أبو علي السنجي
ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة
٥٨ الحسن بن عيسى بن المقتدر
هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان
علي بن الحسن
محمد بن جعفر بن أبي الفرج
محمد بن جعفر بن إبراهيم
٥٩ الملك أبو كاليجار
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة
٦٠ أحمد بن محمد بن منصور
علي بن الحسن
عبد الوهاب بن القاضي الماوردي
الحافظ أبو عبد الله الصوري
٦١ ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وأربعمائة
٦٢ علي بن عمر بن الحسن
عمر بن ثابت

صحيحة	صحيحة
٩٠ زهير بن علي بن الحسن بن حزام سعيد بن مروان الملك أبو طالب	داود اخو طفرليك أبو الطيب الطبري القاضي الماوردي ٨٠
ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة	رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة منصور بن الحسين
٩١ ابن هزم الظاهري	ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
٩٢ عبد الواحد بن علي بن برهان	٨٢ فصل
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة	٨٣ مقتل البساسيري على يدي السلطان طفرليك
٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة	٨٤ ترجمة أرسلان أبو الحارس البساسيري التركي
٩٤ الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي الحسن بن غالب	الحسن بن الفضل
القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي ابن سيده ٩٥	علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره محمد بن علي ٨٥
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة	الوئي الفرضي
٩٦ محمد بن اسماعيل بن محمد	ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وأربعمائة
ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة	أبو منصور الجيايي الحسن بن محمد محمد بن عبيد الله
٩٧ عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور	قطر الندى
أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي	ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة
ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة	٨٧ أحمد بن مروان
٩٨ الفوراني صاحب الأبانة	ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة
ثم دخلت سنة إثنين وستين وأربعمائة	٨٨ ثمال بن صالح
الحسن بن علي	الحسن بن علي بن محمد الحسين بن أبي يزيد محمد بن محمد بن منصور
١٠٠ محمد بن أحمد بن سهل	ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة
١٠١ أحمد بن علي	دخول الملك طفرليك علي بنت الخليفة
١٠٣ حسان بن سعيد	
أمين بن محمد بن الحسن بن حمزه	
الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النوري	
ابن زيدون	
١٠٥ كريمة بنت أحمد	

- يوسف بن محمد بن الحسن
ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة
اسفهدوست بن محمد بن الحسن بن
منصور الديلمي
ظاهر بن أحمد بن باشاذ
عبدالله بن محمد بن عبد الله
حيان بن خلق ١١٧
أبو نصر السجزي الواهلي
محمد بن علي بن الحسين
ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة
أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ١١٨
أحمد بن محمد
أحمد بن عبد الملك
عبد الله بن الحسن بن علي
عبد الرحمن بن منده
عبد الملك بن محمد
١١٩ الشريف أبو جعفر الحنبلي
محمد بن محمد بن عبد الله
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة
سعد بن علي ١٢٠
سليم بن الجوزي
عبدالله بن شمعون
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة
عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حيرون
محمد بن محمد بن أحمد
هياج بن عبدالله
١٢١ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة
أحمد بن محمد بن عمر
الصليحي

- ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة
زكريا بن محمد بن حيد
محمد بن أحمد
محمد بن أحمد بن شاره
ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة
١٠٦ وفاة السلطان ألب ارسلان وملك ولده
ملكشاه
١٠٧ السلطان ألب ارسلان
أبو القاسم القشيري
١٠٨ ابن صربر
محمد بن علي
ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة
١٠٩ غرق بغداد
أحمد بن محمد بن الحسن السمناني
عبد العزيز بن أحمد بن علي
المالودية
ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة
١١٠ موت الخليفة القائم بأمر الله
خلافة المقتدي بأمر الله
١١٢ الخليفة القائم بأمر الله
الداوودي
أبو الحسن علي بن الحسن
ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة
١١٣ محمد بن علي
محمد بن القاسم
محمد بن محمد بن عبد الله
محمد بن نصر بن صالح
مسعود بن الحسن
١١٤ الواحدي المفسر
ناصر بن محمد

صحيفة

محمد بن الحسين

١٢٢ يوسف بن الحسن

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

داود بن السلطان بن ملك شاه

القاضي أبو الوليد الباجي

١٢٣ أبو الأغر ديهس بن علي بن مزيد

عبد الله بن أحمد بن رضوان

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

عبد الوهاب بن محمد

ابن ماسكولا

١٢٤ ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي

١٢٥ طاهر بن الحسين

محمد بن أحمد بن اسماعيل

محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة

١٢٦ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

أحمد بن محمد بن دويست

ابن الصباغ

١٢٧ مسعود بن ناصر

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

أحمد بن محمد بن الحسن

الحسن بن علي

١٢٨ أبو سعد المتولي

إمام الحرمين

١٢٩ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

أبو عبد الله الدامقاني القاضي

١٣٠ محمد بن علي بن المطلب

محمد بن طاهر العباسي

منصور بن ديبس

هبة الله بن أحمد بن السبي

صحيفة

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

١٣١ الأمير جعفر بن سابق القشيري

١٣٢ الأمير جنغل قتلغ

علي بن فضال المشاجعي

علي بن أحمد التستري

يحيى بن اسماعيل الحسيني

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

١٣٣ اسماعيل بن إبراهيم

طاهر بن الحسين البندنيجي

محمد بن أمير المؤمنين المقدي

محمد بن محمد بن زيد

١٣٤ محمد بن هلال بن الحسن

هبة الله بن علي

أبو بكر بن عمر أمير المثلثين

فاطمة بنت علي

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

١٣٥ أحمد بن السلطان ملكشاه

عبد الله بن محمد

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

عبد الصمد بن أحمد بن علي

علي بن أبي يعلى

١٣٦ عاصم بن الحسن

محمد بن أحمد بن حامد

محمد بن أحمد بن عبدالله

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

الوزير أبو نصر بن جبير

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

١٣٨ عبد الرحمن بن أحمد

محمد بن أحمد بن علي

- محمد بن عبدالله بن الحسن
ارتق بن الب التركاني
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة
١٤٠ جعفر بن يحيى بن عبدالله
نظام الملك الوزير
١٤١ عبد الباقي بن محمد بن الحسين
١٤٢ مالك بن أحمد بن علي
السلطان ملكشاه
١٤٤ باني التاجيه ببغداد
هبة الله بن عبد الوارث
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة
١٤٥ جعفر بن المقتدي بالله
سليمان بن ابراهيم
عبد الواحد بن أحمد بن الحسن
علي بن أحمد بن يوسف
علي بن محمد بن محمد
أبو نصر علي بن هبة الله ، ابن
ماكولا
١٤٦ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة
صفة موته
شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله
خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس
١٤٧ اقسنقر الأتابك
أمير الجيوش بدر الجمالي
١٤٨ الخليفة المقتدي
الخليفة المستنصر الفاطمي

- محمد بن أبي هاشم
محمود بن السلطان ملكشاه
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة
١٤٩ الحسن بن أحمد بن خيرون
تنش أبو المظفر
١٥٠ رزق الله بن عبد الوهاب
أبو سيف القزويني
أبو شعاع الوزير
١٥١ القاضي ابو بكر الشاشي
١٥٢ أبو عبدالله الحميدي
هبة الله ابن الشيخ أبي الوفا بن عقيل
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة
١٥٣ عبدالله بن ابراهيم بن عبد الله
عبد المحسن بن أحمد الشنجي
عبد الملك بن ابراهيم
محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور
أبو المظفر السمعاني
١٥٤ ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة
من الهجرة
أحمد بن محمد بن الحسن
١٥٥ المعمر بن محمد
يحيى بن أحمد بن محمد البستي
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة
طراد بن محمد بن علي

صحيفة

١٥٦ المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء
أبو القاسم

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة
وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

١٥٧ السلطان إبراهيم بن السلطان محمود
عبد الباقي بن يوسف

أبو القاسم ابن إمام الحرمين

١٥٨ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة
عبد الرزاق الفزنوي الصوفي

١٥٩ الوزير عميد الدولة بن جبير
ابن جزلة الطبيب

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة
١٦٠ أحمد بن محمد

عبد الله بن الحسن

عبد الرحمن بن أحمد

عزيز بن عبد الملك

١٦١ محمد بن أحمد

محمد بن الحسن

محمد بن علي بن عبيد الله

محمد بن منصور

محمد بن منصور القسري

نصر بن أحمد

١٦٢ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

أبو القاسم صاحب مصر

صحيفة

محمد بن هبة الله

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة
١٦٣ أحمد بن علي

أبو المعالي

السيدة بنت القائم بأمر الله

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة
١٦٤ أزدشير بن منصور

إسماعيل بن محمد

العلاء بن الحسن بن وهب

محمد بن أحمد بن عمر

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة
السلطان بركيارق بن ملكشاه

١٦٥ عيسى بن عبد الله

محمد بن أحمد بن إبراهيم

أبو علي الخيالي الحسين بن محمد

محمد بن علي بن الحسن بن أبي

الصقر

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

١٦٦ أبو الفتح الحاكم

محمد بن أحمد

محمد بن عبيد الله بن الحسن

مهارش بن مجلى

ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة

صحيفة

- محمد بن محمد بن محمد
 ١٧٤ ثم دخلت سنة ست وخمسمائة
 ١٧٥ صاعد بن منصور
 محمد بن موسى بن عبدالله
 المعمر بن المعمر
 أبو علي المعري
 نزهة
 أبو سعد السمعاني
 ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة
 ١٧٦ إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن
 الحسين البيهقي
 شجاع بن أبي شجاع
 محمد بن أحمد
 محمد بن طاهر
 ١٧٧ أبو بكر الشاشي
 ١٧٨ المؤتمن بن أحمد
 ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة
 ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة
 ١٧٩ إسماعيل بن محمد
 منجب بن عبدالله المستظري
 عبد الله بن المبارك
 يحيى بن تميم بن المعز بن باديس
 ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة
 عقيل بن الإمام أبي الوفا

صحيفة

- ١٦٧ قتل فخر الملك أبو المظفر
 ١٦٨ أحمد بن محمد بن المظفر
 جعفر بن محمد
 عبد الوهاب بن محمد
 ١٦٩ محمد بن إبراهيم
 يوسف بن علي
 ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من
 الهجرة
 ١٧٠ تميم بن المعز بن باديس
 صدقة بن منصور
 ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة
 الحسن العلوي
 الحسن بن علي
 الروباني صاحب البحر
 ١٧١ يحيى بن علي
 ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة
 أحمد بن علي
 عمر بن عبد الكريم
 ١٧٢ محمد ويعرف بأخي حماد
 ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة
 ادريس بن حمزه
 علي بن محمد
 ١٧٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

صحيفة

١٨٠ علي بن أحمد بن محمد
محمد بن منصور
محمد بن أحمد بن طاهر
محمد بن علي بن محمد
مخفوظ بن أحمد

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة
١٨١ القاضي المرتضى
محمد بن سعد

١٨٢ أمير الحاج
وفاة الخليفة المستظهر بالله

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة
وفاة الخليفة المستظهر بالله
خلافة المسترشد أمير المؤمنين

١٨٣ الخليفة المستظهر

أرجوان الأرمنية

بكر بن محمد بن علي

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

يوسف بن أحمد أبو طاهر

أبو الفضل بن الخازن

١٨٤ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ابن عقيل

١٨٥ أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني

المبارك بن علي

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

صحيفة

١٨٧ أحمد بن عبد الوهاب بن السني

عبد الرحيم بن عبد الكبير

١٨٨ عبد العزيز بن علي

ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسمائة

ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي

بن جعفر بن محمد

أبو القاسم شاهنشاه

١٨٩ عبد الرزاق بن عبدالله

خاتون السفريه

١٩٠ الطغراني

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

١٩١ عبدالله بن أحمد

علي بن أحمد السميري

الحريري صاحب المقامات

١٩٣ البغوي المفسر

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

أحمد بن محمد

١٩٤ ثم دخلت سنة ثمان عشر وخمسمائة

أحمد بن علي بن برهان

عبدالله بن محمد بن جعفر

أحمد بن محمد

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

١٩٥ أقسنقر البرثقي

بلال بن عبد الرحمن

صحيفة

- الحسن بن سليمان
حماد بن مسلم
٢٠٣ علي بن المستظهر بالله
محمد بن أحمد
عمود السلطان بن السلطان
ملكشاه
هبة الله بن محمد
ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة
٢٠٤ أحمد بن عبيد الله
محمد بن محمد بن الحسين
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة
٢٠٥ أحمد بن ملامه
أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل
ابن الزاغوني الهنبلي
الحسن بن محمد
علي بن يعلي
محمد بن أحمد
محمد بن محمد
٢٠٦ أبو محمد عبد الجبار
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة
أحمد بن علي بن إبراهيم
أبو علي الفارقي
٢٠٧ عبد الله بن محمد
محمد بن أحمد

صحيفة

- القاضي أبو سعد الهروي
ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة
١٩٦ أحمد بن محمد بن محمد
أحمد بن علي
١٩٧ بهرام بن بهرام
صاعد بن ميار
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة
١٩٨ محمد بن عبد الملك
فاطمة بنت الحسين بن الحسن
ابن فضلويه
أبو محمد عبد الله بن محمد
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة
١٩٩ الحسن بن علي بن صدقه
الحسين بن علي
طغتكين الأتابك
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة
٢٠٠ أسعد بن أبي نصر
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة
قتل خليفة مصر
٢٠١ إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد
الحسين بن محمد
محمد بن سعدون بن مرجا
٢٠٢ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة
أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوي

محمد بن عبد الواحد الشافعي
 أم خليفه
 ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة
 خلافة الراشد بالله
 ٢٠٩ أحمد بن محمد بن الحسين
 إسماعيل بن عبدالله
 دبيس بن صدقه
 طغرل السلطان بن السلطان
 محمد بن ملكشاه
 علي بن محمد النروجاني
 الفضل أبو منصور
 ٢١٠ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة
 خلافة المقتفى لأمر الله
 فائدة حسنه ينبغي التنبه لها
 ٢١١ محمد بن حمويه
 محمد بن عبدالله
 محمد بن الفضل
 ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة
 ٢١٢ أحمد بن محمد بن ثابت
 هبة الله بن أحمد
 ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة
 ٢١٣ أحمد بن محمد
 عبد المنعم بن عبد الكريم
 محمد بن عبد الملك
 الخليفة الراشد

٢١٤ أنوشروان بن خالد
 ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة
 زاهر بن طاهر
 ٢١٥ يحيى بن يحيى بن علي
 ٢١٦ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة
 ٢١٧ أحمد بن جعفر
 عبد السلام بن الفضل
 ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة
 إسماعيل بن محمد
 محمد بن عبد الباقي
 ٢١٨ يوسف بن أيوب
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة
 إسماعيل بن أحمد بن عمر
 يحيى بن علي
 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة
 ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
 ٢١٩ عبد الوهاب بن المبارك
 علي بن طراد
 الزمخشري محمود
 ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة
 إبراهيم بن محمد بن منصور
 سعد بن محمد
 عمر بن إبراهيم
 ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة
 أحمد بن محمد
 علي بن أحمد

موهوب بن أحمد

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

وخمسمائة

٢٢١ زكي بن أقسقر

سعد الخير

٢٢٢ شافع بن عبد الرشيد

عبد الله بن علي

عباس - شحنة الري

محمد بن طراد

وجيه بن طاهر

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

٢٢٣ أسعد بن عبدالله

أبو محمد عبدالله بن محمد

نصر الله بن محمد

هبة الله بن علي

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

٢٢٤ إبراهيم بن محمد

شاهان شاه بن ايوب

٢٢٥ علي بن الحسين

أبو الحجاج يوسف بن درباس

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

٢٢٦ أحمد بن نظام الملك

أحمد بن محمد

٢٢٧ عيسى بن هبة الله

غازي بن أقسقر

٢٢٨ قطز الخادم

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

الحسن بن ذي النون

عبد الملك بن عبد الوهاب

عبد الملك بن أبي نصر بن عمر

الفقيه أبو بكر بن العربي

٢٢٩ ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

برهان الدين أبو الحسن بن علي البلخي

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

٢٣٠ المظفر بن اردشير

مسعود السلطان

يعقوب الخطاط الكاتب

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

٢٣١ بالفردق وجريو

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق

٢٣٢ الرئيس مؤيد الدولة

عطاء الخادم

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة

هجريه

فتح بطلبك بيد نور الدين الشهيد

٢٣٣ محمد بن ناصر

مجلي بن جميع أبو المعالي

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

٢٣٤ حصار بغداد

صحيفة

علي بن الحسين

٢٣٥ محمود بن إسماعيل بن قادوس

الشيخ أبو البيان

عبد الغافر بن إسماعيل

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

٢٣٩ أحمد بن محمد

أحمد بن بختيار

٢٢٧ السلطان سنجر

محمد بن عبد اللطيف

محمد بن المبارك

يحيى بن عيسى

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

٢٣٨ عبد الأول بن عيسى

نصر بن منصور

يحيى بن سلامه

٢٤٠ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

أحمد بن معالي

السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه

٢٤١ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله

خلافة المستنجد بالله أبو المظفر

يوسف بن المقتضى

٢٤٢ الفائز خليفة مصر الفاطمي

خسر وشاه بن ملكشاه

صحيفة

ملكشاه بن السلطان محمود بن

محمد بن ملكشاه

قياز بن عبد الله الأرجواني

٢٤٣ الأمير مجاهد الدين

الشيخ عدي بن مسافر

عبد الواحد بن أحمد

محمد بن يحيى

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

٢٤٥ حمزة بن علي بن طلحة

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

شجاع شيخ الحنفية

صدقة بن وزير الواعظ

زمرد خاتون

٢٤٦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

أبو محمد عبد المؤمن بن علي

٢٤٧ طلحة بن علي

محمد بن عبد الكريم

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

٢٤٨ وقعة حارم

جمال الدين

٢٤٩ ابن الخازن الكاتب

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

عمر بن بليقا

محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد

٢٥٠ مرجان الخادم

ابن التلميذ

الوزير ابن هبيرة

٢٥١ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

الحسن بن العباس

عبد العزيز بن الحسن

٢٥٢ الشيخ عبد القادر الجيلي

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فتح الأسكندرية على يدي أسد

الدين شيركوه

٢٥٣ برغش أمير الحاج سنين متعددة

أبو المعالي الكاتب

الرشيد الصدي

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

جعفر بن عبد الواحد

أبو سعد السمعاني

عبد القاهر بن محمد

محمد بن عبد الحميد

٢٥٥ يوسف بن عبدالله

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة

٢٥٧ صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين

ذكر قتل الطواشي

٢٥٨ وقعة السودان

سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي

٢٥٩ شاور بن مجير الدين

شيركوه بن شادي

٢٦٠ محمد بن عبدالله بن عبد الواحد

محمد للفارقي

المعمر بن عبد الواحد

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

٢٦١ الملك قطب الدين مودود بن زنكي

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

خلافة المستضيء

٢٦٤ طاهر بن محمد بن طاهر

يوسف القاضي

يوسف بن الخليفة

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر

موت العاضد آخر خلفاء العبديين

٢٦٩ عبدالله بن احمد

محمد بن محمد بن محمد

ناصر بن الجوني الصوفي

نصر الله [بن عبدالله] أبو الفتوح

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

٢٧١ إيلدكز التركي الاتابكي

الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي

٢٧٢ الحسن بن ضافي بن بزذن التركي

٢٧٣ ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

٢٧٤ مقتل عمارة بن أبي الحسن

٢٧٦ وعمار اليميني الشاعر

ابن قسرول

فصل ٢٧٧

في وفاة الملك نور الدين محمود زنكي
وذكر شيء من سيرته العادة

٢٨٤ صفة نور الدين رحمه الله تعالى

فصل ٢٨٥

٢٨٦ الحسن بن الحسن

الأهوازي

محمود بن زنكي بن آقسنقر

٢٨٧ الخضر بن نصر

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

فصل ٢٨٨

فصل

٢٩١ روح بن أحمد

شملة التركماني

قياز بن عبد الله

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فصل ٢٩٢

٢٩٤ علي بن الحسن بن هبة الله

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

٢٩٦ علي بن عساكر

محمد بن عبد الله

٢٩٧ الخطيب شمس الدين

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

٢٩٨ صدقة بن الحسين

٢٩٩ محمد بن أسعد بن محمد

محمود بن تمش شهاب الدين الحارمي

فاطمة بنت نصر العطار

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

٣٠١ أسعد بن بلدرك الجبريلي

الحيص بيص

٣٠٢ محمد بن نسيم

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

٣٠٣ ذكر تخريب حصن الأحزان

٣٠٤ وفاة المستضيء بإمر الله وشيء من ترجمته

إبراهيم بن علي

٣٠٥ إسماعيل بن موهوب

المبارك بن علي بن الحسن

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس

أحمد بن المستضيء

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

٣٠٦ وفاة السلطان توران شاه

الحافظ أبو طاهر السلفي

٣٠٨ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد

صاحب حلب وما جرى بعده من الأور

٣١٠ الشيخ كمال الدين أبو البركات

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

٣٢٩ الأمير شمس الدين محمد بن عبد

الملك بن مقدم

محمد بن عبيد الله

نصر بن فتيان بن مطر

أبو الحسن الداغاني

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

٢٣٠ فصل في فتح صفد وحصن كوكب

٢٣١ الأمير الكبير سادلة الملوك والسلاطين

٢٣٢ أبو محمد عبد الله بن علي

الحازمي الحافظ

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

قصة عكا وما كان من أمرها

٢٤٣ القاضي شرف الدين أبو سعد

٢٣٤ أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري

المبارك بن المبارك الكرخي

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

٢٣٧ فصل

٢٣٨ فصل

فصل

٢٣٩ فصل

٢٤٠ فصل

فصل

٣١١ فصل

فصل في وفاة المنصور عز الدين

٣١٢ الشيخ أبو العباس

الشيخ بن عبد الملك بن مسعود بن

بشكوال

العلامة قطب الدين أبو المعالي

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

٣١٤ فصل

فصل

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

٣١٧ عبدالله بن أسعد الموصل

الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه

المحمودي بن محمد بن علي بن اسماعيل

الأمير سعد الدين مسعود

الست جقاتون عصمت الدين

٣١٨ الحافظ الكبير أبو موسى المديني

السبيلي أبو القاسم

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

٣١٩ أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

٣٢٣ فتح بيت المقدس في هذه السنة

٣٢٤ أول جمعه أقومت ببيت المقدس بعد فتحه

٣٢٦ نكته غريبة

٣٢٧ فصل

٣٢٨ الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربي

صحيفة

٣٤١ ملك الألمان

محمد بن محمد بن عبد الله

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

٣٤٢ فصل

في كيفية اخذ العدو عكا من يد السلطان

٣٤٥ فصل

فيما حدث بعد اخذ الفرنج عكا

٣٤٦ الملك المظفر

٣٤٧ الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين

الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي

صحيفة

الصفى بن الفاض

الطبيب الماهر أسعد بن المطران

الجيو شاتي الشيخ نجم الدين

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

٣٥٢ فصل

محمد بن محمد بن موسى

سيف الدين علي بن أحمد المشطوب

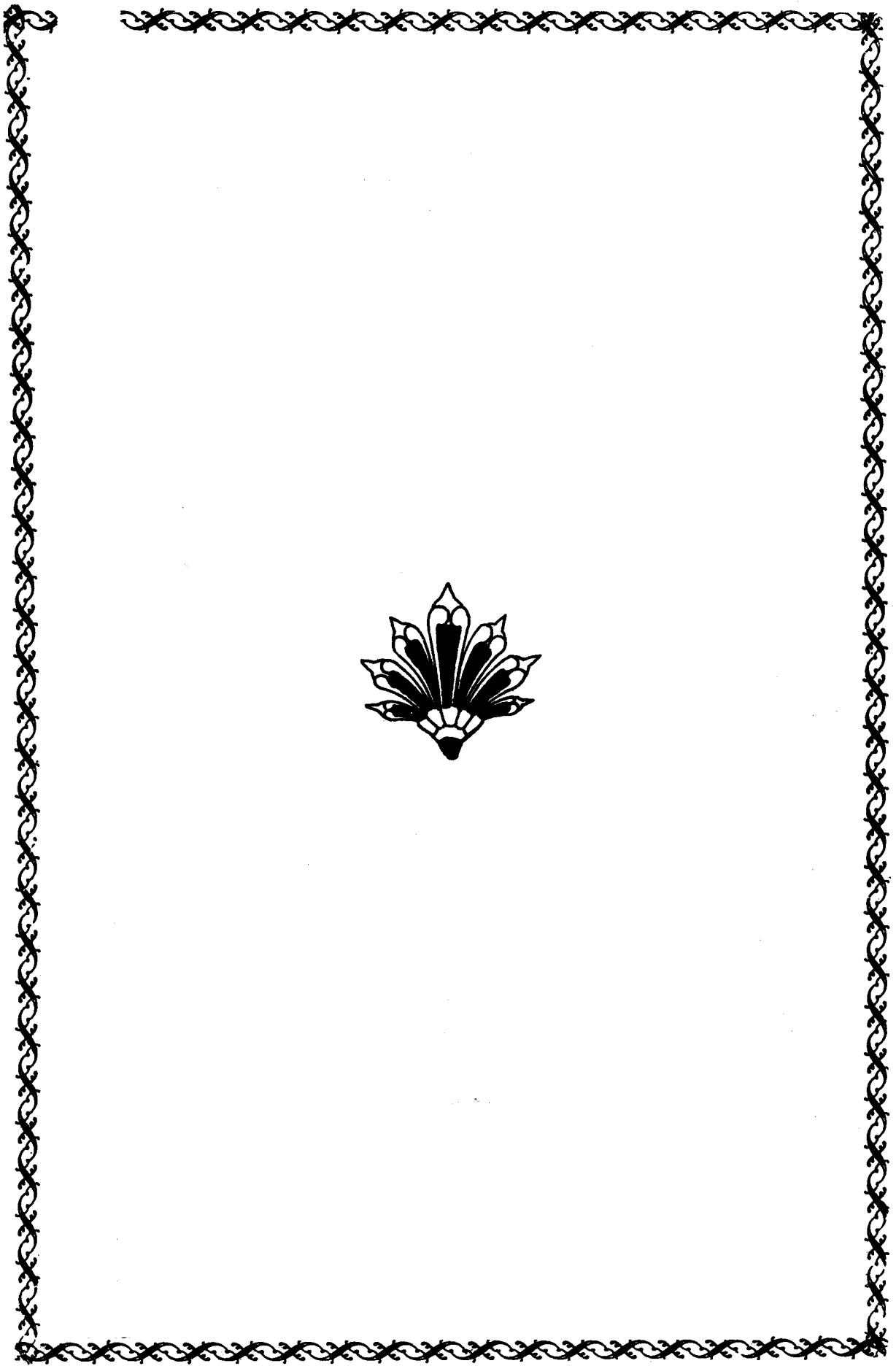
صاحب بلاد الروم عز الدين قلعج

أرسلان بن مسعود

نصر بن منصور النميري

انتهى الفهرست







جميع الحقوق محفوظة

للمنشر

مكتبة المعارف
بيروت